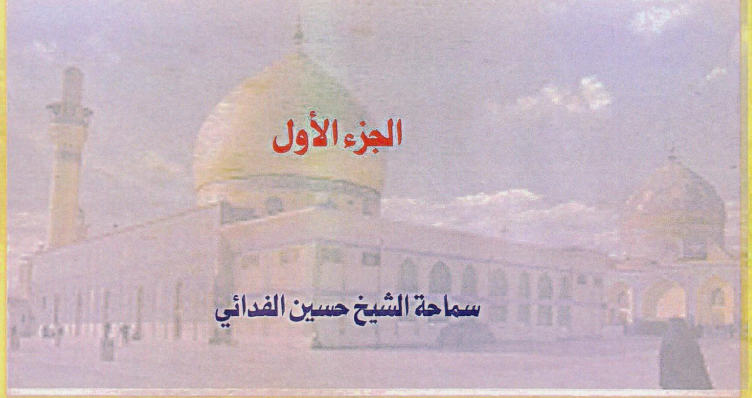
الإمام علي الهادي

عليه السلام

رمز سعادة الحياة وكرامة الإنسان



الجزء الأول

سماحة الشيخ حسين الفدائي

الإمام علي الهادي

عليه السلام

رمز سعادة الحياة وكرامة الإنسان

المجلد الأول



سماحة الشيخ حسين الفدائي

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

منشورات

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

العراق / النجف الأشرف

الإمام علي الهادي (عليه السلام)

رمز سعادة الحياة وكرامة الإنسان

ج١

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ

الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ

الرّحْمَـنِ الرّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ

إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم

وَلاَ الضّآلّينَ

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

منه وإليه..

واحاتٌ غنّاء تطفح بالبلاغة والفصاحة، والجمال اللفظي والمعنوي، من «زيارة الجامعة» المروية عن الإمام علي الهادي (عليه السلام) نقدمها إليه:

مولاي أبا الحسن علي بن محمد الهادي، أشهد أنك وآباءك الطاهرين التسعة وابنَيك المعصومَين، الأئمةُ الراشدون، المهديّون المعصومون، المكرمون، المقربون، المتقون، الصادقون، المصطفون، المطيعون لله، القوامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته..

وأشهد أنكم معدن الرحمة، وخُزّان العلم، ومنتهى الحِلم، وأصول

الكَرَم، وقادة الأُمم، وأولياء النِعَم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصِفوة المرسلين، وعترة خِيَرة رب العالمين..

وأشهد أنكم أئمة الهُدى، ومصابيح الدُجى، وأعلام التُقى، وذووا النُهى، وأولوا الحِجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحُسنى، وحجج الله على أهل الدنيا، والآخرة والأولى..

وأشهد أن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً، فجعلكم بعرشه محدقين، حتى منّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلواتنا عليكم، وما خصنا به من ولايتكم، طيباً لخَلقنا، وطهارةً لأنفسنا، وتزكيةً لنا، وكفارة لذنوبنا..

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، ذِكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور.

ـ ولكن يميزكم عن الجميع أنه:

فما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم، وأجلّ خطركم، وأوفى عهدكم، وأصدق وعدكم.

كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير،

وعادتكم الإحسان، وسجيتكم الكرم، وشأنكم الحق والصدق والرفق، وقولكم حكم وحتم، ورأيكم علم وحلم و حزم، إن ذُكر الخير كنتم أوله وأصله، وفرعه ومعدنه، ومأواه ومنتهاه[1].

فإليكم يا سادتي جميعاً، وأنت يا سيدي ومولاي يا أبا الحسن الهادي - صلوات الله عليك وعليهم أجمعين - يا ابن رسول الله، جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إن الله يجزي المتصدقين.

المؤلف

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٧٢.

تمهيدات أولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، وعترته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

لقد غطّت الجاهلية الأولى بجهلها الآفاق، وأطبقت بظلامها على البلاد والعباد، ولولا نور الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) ـ الذي بشر به الأنبياء حتى موسى وعيسى (عليهم السلام) ـ ونور ما جاء به من تعاليم السماء، وبلّغه أهل بيته المعصومون (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام الهادي (عليه السلام) بأحسن البلاغ، لاستمر جهل تلك الجاهلية الجهلاء وظلامها الدامس حتى يومنا هذا.

فما نراه اليوم من نور العلم المادي والعصري، ونور العلم المعنوي والإنساني، المثمر لسعادة الحياة والإنسان، فهو من نور فضلهم وعلمهم، وجمال سيرتهم وأخلاقهم، فالبشر هذا اليوم مدينون لهم (عليهم السلام) ومسؤول

عن هذا النور، وعن إبقائه وإيصاله إلى جميع البشر المعاصر والقادم، وإيصال أبطاله الأسوة والقدوة، ومنهم الإمام الهادي (عليه السلام) إلى الناس أجمعين حتى قيام الإمام المهدي (عليه السلام).

وهذا الكراس نبذة مختصرة من حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، وبيان وجيز وعابر عن دوره (عليه السلام) في إسعاد الحياة وكرامة الإنسان، وفقنا الله لذلك جميعاً، وتقبل منا، آمين رب العالمين.

المدخل

نعم، ما أوردناه في الإهداء هو عبارة عن مقتطفات يانعة، وثمار جنيّة، وقبسات متلألئة، وأنوار متألقة، وندى من بحر، وقطر من وابل بلاغة الإمام الهمام، أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) وفصاحته، وجمال أدبه، وعذوبة بيانه، وطريف حكمته، ووفور علمه، الذي أفاض به على واحد من أصحابه، وهو: "موسى بن عمران النخعي" حين سأله أن يعلمه زيارة كاملة وجامعة، يمكنه أن يزور بها ايّ واحد شاء من الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

فعلّمه (عليه السلام) هذه الزيارة البليغة، المعروفة بالجامعة الكبيرة، والتي جاءت كإسمها جامعة وكاملة، تعطي للإنسان المسلم الذي يضم بين حناياه المحبّة والولاء، والمودّة والوفاء، الخالي من التعصّب الأعمى، ومن الخلفيات الخاطئة، أجمل دروس الولاية والإمامة، وأصدق معالم الخلافة والقيادة، وأفضل معاني الإدارة والسياسة، وأزكى ترجمة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأجلى تعرفة لأبناء الرسول المعصومين (صلوات الله عليم أجمعين).

كما وترسم له أروع مناظر الصلات المعنوية، وأوثق عرى الروابط الروحية، وأبلغ صور العصمة والطهارة البشرية، وأفصح مظاهر الولاية

التكوينية والتشريعية، التي تربط الأرض بالسماء، والخليقة بالخالق، والبشرية بالوحي، والعبد بالمولى، والمحكوم بالحاكم، والمقهور بالقاهر، فإنهم العباد المكرمون، الذين لايسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون.

وتتجلى هذه المعاني بوضوح، عندما نقرأ في هذه الزيارة[١]:

"السَّلاَمُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعَادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللهِ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه..

"السَّلاَمُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ، وَالأَدِلاَّءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ، وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللهِ، وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللهِ، وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللهِ، وَالْمُظْهِرِينَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لاَيَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ..

"السَّلاَمُ عَلَى الأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ، وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ، وَالسَّادَةِ الْوُلاَةِ، وَالذَّادَةِ الْحُمَاةِ، وَأَهْلِ الذِّكْرِ، وَأُولِي الأَمْرِ، وَبَقِيَّةِ اللهِ، وَخِيَرَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ، وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ، وَنُورِهِ وَبُرْهَانِهِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.. إلى آخر ما جاء فيها..

ولا عجب من أن يفصح الإمام الهادي (عليه السلام) عن مثل هذه القبسات النيرّة، والمعاني الخيرّة، التي تذهب بصدأ النفوس، وتحيي ميت القلوب، وتهدي الإنسان لمعرفة إمامه، وحجة الله عليه وعلى خلقه أجمعين.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص١٧٣.

ثم لا عجب وهو (عليه السلام) ابن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وحفيد الوحي، وربيب القرآن، وسليل أهل البيت (عليهم السلام)، وأحد المعصومين الأربعة عشر، وواحد من الأئمة الاثني عشر، الذين نصّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: «إن هذا الأمر يملكه بعدي اثنا عشر إماماً، تسعة من صلب الحسين، أعطاهم الله علمي وفهمي، ما لقوم يؤذونني فيهم، لا أنالهم الله شفاعتي»[1].

(١) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٣٤٠ ح٢٠٢.

حكمة انتخاب العدد

ويبدو أن في هذا العدد المنتخب: اثنى عشر إماماً، إشارة وهداية إلى نقطة هامّة، ووجه شبهٍ دقيق، وترابط وثيق بين المجال التكويني والمجال التشريعي، والمجال الطبيعي والمجال الاجتماعي.

فكما أن بالشهور الإثني عشر، تتقوم السنة، وينتظم الوقت، ويتحدّد الزمان، ويتسق النظام الزمني، فكذلك بالأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) ينتظم الكون، وتتسق الحياة، ويتقوم الاجتماع البشري، وتتحدد المكارم ومعالم الإنسانية.

ولاغرو، إذ الحياة الكونية، والمجتمعات الإنسانية، صورة مكبرة من حياة بدن الإنسان ومجموعه التركيبي والمؤلف من الأعضاء والجوارح، والحواس الظاهرة والباطنة، وغير ذلك[1].

فكما أن البدن ومجموعه التركيبي، لا يستقيم إلا بالقلب، ولا ينتظم حواسه وحركاته إلا بحياة القلب، ونبضاته الدقيقة، المستمدّة من الروح، كذلك الحياة الكونية والمجتمعات الإنسانية، لا يمكنها أن تستقيم بدون الإمام، ولا تنتظم في حركاتها وسكناتها، ولا في إدارتها وسياستها، وجلب

---

(١) وقد أشار إلى ذلك ما نسب إلى الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) كما في الديوان:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

خيرها ودفع ضرّها، إلا بحياة الإمام المعصوم، وإرشاداته الحكيمة، وتعاليمه القدسية، المكتسبة من الوحي والسماء، والمعتمدة على القرآن الكريم والسنة الشريفة.

هشام يناقش فقيه البصرة

وإن تعجب فهلمّ معي لنقرأ ما قررّه واستجوده الإمام الصادق (عليه السلام) من نقاش هشام بن الحكم ـ تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) ـ مع فقيه البصرة عمرو بن عبيد، ولنستمع إلى ذلك حسبما جاء في كتاب الاحتجاج للطبرسي[1]، وهو كما يلي:

"قال يونس بن يعقوب: كان عند أبي عبدالله (عليه السلام) جماعة من أصحابه فيهم: حمران بن أعين، ومؤمن الطاق، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة آخرين فيهم: هشام بن الحكم وهو شاب، فالتفت اليه أبوعبدالله (عليه السلام) قائلاً: هشام!.

هشام: لبيك يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام): ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد؟ وكيف سألته؟.

هشام: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أُجلّك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص١٢٥، بتصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام): نعم.. ولكن إذا أمرتكم بشيء فافعلوه.

هشام: سمعاً وطاعة، صحيح، فإن الامتثال خير من الأدب.. لقد بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد، وجلوسه في مسجد البصرة يُفتي الناس برأيه فعظم ذلك عليّ، وعزمت الخروج إليه.

ولما دخلت البصرة كان يوم جمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة من الناس وفيهم عمرو بن عبيد، وعليه شملة من صوف سوداء قد اتّزر بها، وشملة أخرى مثلها، مرتدٍ بهما، وهم يرشقونه بوابل أسئلتهم واستفهاماتهم، فاستفرجت الناس، فأفرجوا لي، وفسحوا المجال لجلوسي، فجلست في آخرهم على ركبتي، حتى إذا استوى بي المجلس، التفتّ إلى عمرو بن عبيد وقلت:

أيها العالم، أنا رجل غريب، ولي مسائل أريد أن أسألك عنها، فهل تأذن لي؟

عمرو: نعم.. سل ما بدا لك.

هشام: أخبرني ألك عين؟

عمرو ـ متعجباً ومندهشاً ـ: بُنيّ، أي شيء هذا من السؤال؟ وكيف تسأل مثلي عن مثل هذا؟

هشام: هذه مسألتي، وقد أذنت لي فيها.

عمرو ـ منددّاً ـ: بنيّ، سل، وإن كانت مسألتك حمقى.

هشام: إذن أجبني فيها.

عمرو ـ مردّداً ـ: أعد سؤالك.

هشام: يعيد سؤاله ويقول ـ: أخبرني أيها العالم! ألك عين؟

عمرو: نعم.. لي عين.

هشام: ما تصنع بها؟

عمرو: أرى بها الألوان والأشخاص، والأرض والسماء.

هشام: وهل لك أنف؟

عمرو: نعم.. لي أنف.

هشام: ما تصنع بها؟

عمرو: أشم به الروائح.

هشام: وهل لك ـ أيها العالم ـ لسان؟

عمرو: نعم، لي لسان.

هشام: ما تصنع به؟

عمرو: أتكلم به.

هشام: وهل لك ـ يا صاحب الفضيلة ـ أُذُن؟

عمرو: نعم يا ولدي، لي أذُن.

هشام: وما تصنع بها؟

عمرو: أسمع بها الأصوات، والكلام.

هشام: أخبرني ـ يا فضيلة الأستاذ ـ ألك يدان؟

عمرو: نعم يا عزيزي، لي يدان.

هشام: وما تصنع بهما؟

عمرو: أبطش بهما، وأعرف بهما اللّين من الخشن.

هشام: أخبرني ـ أيها الشيخ ـ هل لك رجلان؟

عمرو: نعم يا ولدي، لي رجلان.

هشام: أخبرني ما تصنع بها؟

عمرو: أمشي بهما، وأنتقل من مكان إلى مكان.

هشام: وهل لك أن تخبرني ـ أيها الأستاذ ـ بأن لك فماً؟

عمرو: نعم بنيّ، لي فم.

هشام: وما تصنع به؟

عمرو: أعرف به المطاعم والمشارب على اختلافها.

هشام: وهل لك ـ يا فضيلة الشيخ ـ قلب؟

عمرو: نعم يا ولدي، لي قلب أعيش بسببه.

عمرو: أخبرني ما تصنع به؟

عمرو: أميّز به كل ما ورد على هذه الجوارح.

هشام: أليس في هذه الجوارح، غنىً عن القلب؟

عمرو: كلا.. الجوارح لا يمكنها أن تغني الإنسان عن القلب.

هشام: كيف ذاك، والجوارح كلها صحيحة وسليمة؟

عمرو: اعلم يا بنيّ! أن الجوارح على سلامتها، قد تشك في شيء شمّته، أو رأته، أو ذاقته، فتردّه إلى القلب فيبطل الشك، ويحصل بها اليقين.

هشام: تقصد من كلامك: بأن الله تعالى إنما أقام القلب لشك الجوارح؟

عمرو: نعم يا ولدي.

هشام: ومعنى كلامك هذا: أنه لابد للإنسان من القلب، وإلا لم تستيقن الجوارح؟

عمرو: نعم.. إنه لكذلك.

الضرب على الوتر الحساس

هشام: مبادراً وقد انتهز كلام الشيخ ليُفحمه به ـ: نعم يا أبا مروان، الأمر كما تقول، فإن الله تبارك وتعالى لم يترك جوارحكم حتى جعل لها إماماً، يصحّح لها الصحيح، وينفي ما شكّت فيه، ولكن هل من الصحيح يا أبا مروان أن يترك الله تعالى هذا الخلق كله، في حيرتهم وشكهم، واختلافهم، ولا يقيم لهم إماماً، يردّون إليه شكهم وحيرتهم واختلافهم، بينما يقيم لك يا أبا مروان إماماً لجوارحك، تردّ إليه حيرتك وشكّك؟

عمرو ـ وهو لا يحير جواباً، فيُطأطئ برأسه، ويعلوه صمت وسكوت، وتغمره فكرة ليست بالطويلة، يرفع رأسه بعدها ليقول: يا هذا! هل أنت هشام؟

هشام: يتغافل السؤال ويتجاهل نفسه ويقول ـ: لا.

عمرو: وقد عمي عليه المخرج يقول ـ إذا لم تكن هشاماً، فهل صحبته وجالسته؟

هشام ـ وللمرة الثانية يتغافل السؤال ويتشرد عن الجواب فيقول مكرراً ـ: لا.

عمرو ـ وقد التبس عليه أمر هذا الشاب الأريب، وهو يحاول كشفه، فألجأه بهذا السؤال ـ: أخبرني إذن يا ولدي! من أيّ بلد أنت؟ فلقد ادعّيت في أول كلامك: أنك غريب عن هذا البلد..

هشام ـ وهو يتناسى تغافله وتجاهله، فيصرح قائلاً ـ: صحيح، أنني غريب ـ كما قلت ـ عن بلدكم هذا، لأني من أهل الكوفة.

عمرو ـ وقد اطمأن إلى أن هذا الشاب الكوفي لا يعدو أن يكون غير هشام، فقام إليه وهو فاتح باعه ليضمه إليه، وهو يقول ـ: إذن أنت هو، إنك هشام بن الحكم.

هشام ـ يبتسم لفراسة الشيخ وحُسن ذكائه ويقول ـ: نعم، أصبت يا شيخ، أنني هشام.

عمرو ـ يكرم الشاب ويجلسه في مجلسه، ثم يجلس هو بين يديه متأدباً

خاشعاً، وساكتاً صامتاً، وتمرّ على الحفل لحظات هامدة وهادئة، لم يسمع فيها صوت ولا حركة، حتى كسر الشاب الكوفي هالة السكون والهدوء، بصوته الجهوري وهو يودّع الشيخ والحفل معاً، ليقفل راجعاً نحو الكوفة.

فيجيب الشيخ وداعه قائلاً: صحبتك السلامة والعافية، وحرستك عين السماء، وأهلاً وسهلاً، وفي أمان الله..

وهكذا أنهى هشام قصته مع عمرو بن عبيد، والإمام الصادق (عليه السلام) مصغٍ إليها بدقة، فابتدره الإمام (عليه السلام) بعدها بابتسامته الخلاّبة، وأقرّه على فعله ذلك بضحكه الباسم وثغره المفلج وهو يقول:

يا هشام! من علّمك هذا؟

هشام: يا ابن رسول الله! جرى على لساني.

الإمام الهادي (عليه السلام): اعلم يا هشام أن هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى".

خلاصة المناقشة

نعم، من هذا كله يتضح وخاصة من تصريح الإمام الصادق (عليه السلام): بأن هذا المعنى قد جاء بنصه في صحف إبراهيم وموسى ـ أن وجه الشبه بين بدن الإنسان ومجموعته التركيبية، تتطابق تماماً ـ تطابقاً كونياً، وسنّة إلهية لن تجد لها تبديلاً ـ مع حياة الكون ومجتمعه البشري، وأنه كما لابد لبدن الإنسان من قلب يمدّه بالحياة، ويميّز له المبهمات، ويكشف له الحقائق والواقعيات، كذلك لابد لحياة المجتمع من إمام يفيض عليه حياة العلم، ونور الإيمان، ويزيح عنه ريب الشكوك، وضنك الخلاف، ويمّده بالسعادة والهناء، وخير الرفاه.

ولنعم ما قيل فيهم:

لهم أيدٍ جبلن على سماح .. وأفعال طبعن على سداد

بهم عرف الورى سبل المعالي .. وهم دلّوا الأنام على الرشاد[1]

---

(١) ناسخ التواريخ: ج١ ص١٥.

الإمام الباقر عليه السلام يفسّر الاثني عشر

ثم لنرحل بعد هذا، إلى رحاب الإمام الباقر (عليه السلام)، وننظر كيف يوفّق حكم الشبه بين عدة الشهور التي عيّنها الله تعالى نظاماً للوقت والزمان، وبين عدد الأئمة المعصومين الذين نصبهم الله خلفاء في أرضه، قواماً للحياة والإنسان؟

لقد جاء في تفسير نور الثقلين[1]، عن كتاب "الغيبة" لشيخ الطائفة: الشيخ الطوسي (قدس سره) وهو يروي عن جابر الجعفي قائلاً:

"سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن تأويل قول الله عزوجل:

"إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ.."[2].

فتنفّس سيدي الصعداء وقال:

"يا جابر! أما السنّة، فهي جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشهورها اثناعشر شهراً، وهو:

١: أمير المؤمنين (عليه السلام).

---

(١) نور الثقلين: ج٢ ص٢١٥، بتصرف.

(٢) سورة التوبة: ٣٦.

٢ : الحسن (عليه السلام).

٣ : الحسين (عليه السلام).

٤ : علي (عليه السلام).

٥ : إليّ - يعني نفسه أي الإمام الباقر (عليه السلام).

٦ : إلى ابني جعفر.

٧ : ابنه موسى.

٨ : ابنه علي.

٩ : ابنه محمد.

١٠ : ابنه علي.

١١ : إلى ابنه الحسن.

١٢ : وإلى ابنه محمد الهادي المهدي.

هؤلاء اثنا عشر إماماً، حجج الله في خلقه، وأمناؤه على وحيه وعلمه.

والأربعة الحُرُم، الذين هم "الدين القيّم" يخرجون من الأئمة باسم واحد، وهم:

١. علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

٢. أبي: علي بن الحسين (عليه السلام).

٣. علي بن موسى الرضا (عليه السلام).

٤. علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

فالإقرار بهؤلاء هو: «الدين القيّم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم» أي قولوا بهم جميعاً، «تهتدوا»[١].

وقد نظم الزاهي هذا المعنى وقال:

تلك النجوم الزهر في أبراجها..... ومن السنين بهم تتمّ شهورها[٢].

تطابق التأويل والتفسير

وهكذا تطابق التأويل مع التفسير، وتوافق الباطن مع الظاهر، حيث إن الآية المباركة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ...﴾ ظاهرة في أن السّنة الزمنية ـ تماماً كالسَّنة الكونية المنتظمة بالأئمة الاثني عشر ـ تتكامل دورتها بمرورها اثني عشر شهراً وهي:

١: محرم الحرام

٢: صفر الخير

٣: ربيع الأول

٤: ربيع الثاني

٥: جمادى الأولى

---

(١) وفي رواية أخرى ص٤١ من غيبة الطوسي ما يلي: (والحُرُم منها: أمير المؤمنين علي، الذي اشتق الله تعالى له اسماً من اسمه العلي، كما اشتق لرسول الله اسماً من اسمه المحمود، وثلاثة من ولده أسماؤهم: علي بن الحسين، وعلي بن موسى، وعلي بن محمد، فصار لهذا الاسم المشتق من اسم الله عزوجل حُرمة به).

(٢) يراجع الغدير: ج٣ ص٣٩٨.

٦ : جمادى الثانية

٧ : رجب الأصبّ والحرام

٨ : شعبان المعظم

٩ : رمضان المبارك

١٠ : شوال المكرّم

١١ : ذو القعدة الحرام

١٢ : ذو الحجة الحرام

وقال الزاهي في قصيدة له بالمناسبة ، منها ـ كما مرّ آنفاً ـ :

تلك النجوم الزهر في أبراجها ومن السنين بهم تتم شهورها[١]

الزمخشري يؤكّد

وعن الكشاف ، تفسير الزمخشري قال : إن النبي (صلى الله عليه وآله) خطب في حجة الوداع خطبة جاء فيها ما مضمونه : السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات :

١ : ذو القعدة الحرام.

٢ : ذو الحجة الحرام.

٣ : محرم الحرام.

---

(١) تاريخ سامراء : ج٣ ص٧١.

٤ : و رجب الحرام، الذي بين جمادى وشعبان[١].

نعم، كما أن الزمان والنظام الزمني والحسابي يقوّمه شهور مختلفة في الاسم، متنوعة في الخصائص، حيث شهر أفضل من شهر، وبعض أشرف من الآخر، لكن كلها تتّحد ماهية وجنساً، وأصلاً وفصلاً، كذلك الإنسان والنظام الكوني والاجتماعي، يقوّمه أئمة اثنا عشر، مختلفة أساليبهم، متنوعة خصائصهم ـ رغم اتحاد ماهيتهم ونورهم، وأرواحهم وطينتهم ـ.

(١) الكشاف للزمخشري: ج٢ ص٢٦٩.

دور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

فواحد (يعني: الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام)) يكون حَلَس بيته، وجليس داره مدة توازي ربع قرن كامل ـ علماً بأن الله تعالى قد نصّ في كتابه الكريم على خلافته وولايته[1] وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) من المسلمين البيعة له بإمرته وإمامته، وإمامة الأئمة المعصومين من ذريته، ونصّ عليهم بأسمائهم وولايتهم[2]، وعرّف بأمر الله الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

---

(١) بقوله تعالى في سورة المائدة الآية ٥٥: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وقوله في سورة النساء الآية ٥٩: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، راجع الكافي: ج٢ ص٤٠.

(٢) يراجع كلمة الرسول الأعظم: ص٧٨، من موسوعة الكلمة، وجاء فيه أنه: سُئلت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الأئمة، فقالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي (عليه السلام): "يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسين فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى موسى فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى محمد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى الحسن فالقائم المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها، فهم أئمة الحق وألسنة الصدق، منصور من نصرهم مخذول من خذلهم".

وأيضاً في نفس المصدر ص٧٧، عن البحار: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «الأئمة بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل، وحواريي عيسى، من أحبهم فهو مؤمن، ومن أبغضهم فهو منافق، هم حجج الله في خلقه، وأعلامه في بريّته.

بأنه المؤهّل الوحيد في أمّته للقيام بأعباء الإمامة، والضليع بشئون الخلافة، والأمين على الدين والملّة، والحكيم في القضاء والقيادة ـ[١].

نعم، ولمدة ربع قرن كامل، لازم (عليه السلام) بيته، كي يعزز بناء الإسلام، ويُرسي دعائمه، ويعالج النزوات والأطماع التي طغت على الإسلام باسم الإسلام، ويزيح عنه بِدَعهم وشبهاتهم، وذلك بحكمة وسداد، ورفق وأناة، حتى لا يتصدّع جمع المسلمين، ولا يتفرق شملهم، فيظفر بهم عدوهم المترصد لهم فرصة التشتت والتفرق، والمتربّص غفلة التشاجر والتنازع الداخلي، ليميل عليهم ميلة واحدة، يقضي فيها على الإسلام وآخر معالمه.

ففضّل (عليه السلام) مصلحة الإسلام والمجتمع الإسلامي على مصلحته الشخصية، وصبر وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، حتى تمكن بهذا الأسلوب الحكيم، أن يحفظ الإسلام من الضياع، والقرآن من الاندراس، والمسلمين من التمزق والفناء[٢].

وهكذا يتم الإمام الأول دوره في تقويم المجتمع وإصلاحه، كما يتم الشهر الأول في تقويم الوقت وانتظامه، ليسلّم دوره إلى الذي يليه من بعده.

---

(١) وذلك في مواقف كثيرة، أشهرها خطبته (صلى الله عليه وآله) في يوم الغدير ١٨ ذى الحجة من عام حجة الوداع حين نزل جبرئيل بالآية ٦٧ من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

(٢) يراجع نهج البلاغة، الخطبة المعروفة بالشقشقية، وهي الخطبة الثالثة منه. وكذا الخطبة: ٧٤، لما عزموا على بيعة عثمان.

دور الإمام الحسن عليه السلام

ويأتي دور الإمام الثاني: "الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)" ليواجه مارد المكر والخداع، وعفريت الكيد والدهاء، وبؤرة النفاق والمراوغة، والشجرة الملعونة في القرآن[1]: معاوية بن أبي سفيان، الذي تمكن من دهائه ومكره، أن يعرّف نفسه إلى الناس بأنه أمير المؤمنين وخالهم، وخليفة الرسول وكاتب وحيه، ويصور لهم من نفسه بريشته المراوغة هيكلاً جميلاً، ومظهراً خلاباً، يعلوه سكينة الإيمان ووقاره، وحكمة الإسلام وبهائه، ويغطي على باطنه الأسود، وما ينطوي عليه من حقد ونفاق، وكيد وعداء للإسلام والمسلمين، وما ينويه من سوء وشر، ويتربصّه في دفن التوحيد، وإعفاء اسم الرسول (صلى الله عليه وآله)[2]، وما يستهدفه من إحياء الجاهلية، وإثارة العصبية القبلية، والنعرة القومية والطائفية، وإبادة الأخلاق الإنسانية والقيم الروحية، وإلى غير ذلك..

وهكذا أصيب المجتمع الإسلامي، بل الإنساني والبشري بغدّة سرطانية

---

(١) انظر سورة الإسراء: ٦٠، في تفسير الفخر الرازي: ج٢٠ ص٢٣٧، والدر المنثور: ج٤ ص١٩١، والقرطبي: ج١٠ ص٢٨٦، والآلوسي: ج١٥ ص١٠٧، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج٤ ص٣٩.

(٢) يراجع الغدير: ج١٠ ص٢٨٣، حيث ذكر بالخصوص ماكان يضمره معاوية بالنسبة لنبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله)، وللعلم مفصّلاً بحقيقة معاوية يراجع الجزء١٠ و١١ من كتاب الغدير، القسم المرتبط بأحوال معاوية بن أبي سفيان.

خطرة، لو تركت وشأنها، ولم يقدم عليها طبيب خبير، يعالجها بحكمة وأناة، لأتت على الكيان البشري ـ وليس الإسلامي والإنساني فحسب ـ من الجذور، ولأودت بحياته وسعادته، لكن شاءت مقادير السماء أن تبقى البشرية وتبقى فيها أتعاب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) حيّة طرية، ويبقى الإسلام وتعاليم السماء فيما بينها مثمراً ويانعاً، فاختار الله لها الإمام الحسن (عليه السلام)، ليعالجها بحكمته البالغة، ويعفي أثرها بمعالجته الناجحة، ويقتلعها من الجذور، ويطهّر المجتمع البشري من خطرها ودمارها، وذلك عبر معاهدة الصلح والمهادنة التي أبرمها معه، ضمن شروط وعهود تكفّل معاوية الالتزام بها والوفاء بمضامينها.

نعم جاء الصلح هذا معجزة بيضاء من معجزات الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام). حيث كان خير علاج يمكن ان يعالج به غدة سرطانية خطرة كهذه، وأنجح دواء يتصور أن يداوى به داءاً عضالاً مسرياً كهذا..

ولاغرو، فإن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) حجة الله في الأرض، وسبط رسول الله الأكبر، والإمام بعد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، والحافظ لحدود الله تعالى، والمحامي عن حرم المسلمين..

إذن، فلا عجب أن استطاع (عليه السلام) عبر تسليط الأضواء الكشافة من خلال الصلح، تعرية معاوية على الرأي العام، وكشف واقعه السّيء للتاريخ والأجيال، وفضح ما كان يضمره تجاه الدين الإسلامي، والأمة الإسلامية من حقد وعداء، حتى أنه لّما رقى منبر الكوفة بعد إبرام معاهدة الصلح وتوقيعها،

رقاه رقيّ الظافر الفاتح، وهو نشوان ثمل، فرحان جذل، قد غلبته سكرة الملك والكرسي، ليقول للناس بكل صراحة:

"والله إني ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتزكّوا، .. وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم لها كارهون"، ثم أضاف قائلاً:

"ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته، فتحت قدميّ هاتين..."[١].

أجل بهذا الأسلوب الحكيم من الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، ومعجزة الصلح الخالدة التي انتخبها (عليه السلام) لمواجهة معاوية ونفاقه، تعرّى معاوية على واقعه، وانكشف عن باطنه وضميره، وتقشعت مكائده ودسائسه، واخذ المجتمع الإسلامي بل الإنساني ينظر اليه شزراً، ويشير إليه بإصبع الاحتقار، ويعرّفه بمارد الدهاء والجدل، وعفريت المكر والخداع، وإمام الضلال والكفر، الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ..﴾[٢].

وقال سبحانه في وصفهم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[٣].

---

(١) يراجع: كلمة الامام الحسن (عليه السلام): ص٨٤، الهامش نقلاً عن اليعقوبي والمدائني.

(٢) سورة التوبة: ٢١.

(٣) سورة القصص: ٤١.

وأنه ليس أكثر من طليق ابن طلقاء ـ منّ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فتح مكة بقوله له ولذويه حينما نصره الله عليهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" ـ قد تطفل على الإسلام والمسلمين[١].

وهكذا أتم الإمام الثاني "الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)" دوره في إصلاح المجتمع، وإنقاذه من الدمار والشقاء كما يتم الشهر الثاني دوره في تنظيم الوقت وتحديده، ليسلّم دوره إلى الذي يليه ويأتي من بعده..

(١) يراجع: كلمة الإمام الحسن (عليه السلام): ص٨٦.

دور الإمام الحسين عليه السلام

ويأتي دور الإمام الثالث "الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام)" ليواجه صنم الفسق والفجور، والرعونة والمجون، والرفث والعبث، والخمر والميسر، والظلم والعدوان: فرع الشجرة الملعونة في القرآن[١]: يزيد بن معاوية، متربعاً على كرسيّ الخلافة، متقمّصاً قميصها، لابساً ثوبها، منتحلاً اسم أمير المؤمنين، والحافظ لشئون المسلمين، وهو يعاقر الخمرة جهاراً، ويلهو بلعب الشطرنج والقمار علانية[٢]، ويلاعب القرود والكلاب عياناً، ويقيم الحفلات الساهرة ومجالس البطالين، ويتعدّى على المقدسات وحرم المسلمين، وينتهك الحدود والأعراض، ولم تفلت من نزوته الطائشة، حتى عمته بنت أبي سفيان، وهو يردّد قوله المعروف: "فاز باللذات من كان جسوراً".

نعم إنه كان كما قال، جسوراً متهوراً في غياهب الجريمة والفساد، جباناً متخاذلاً في ميادين البطولة والجهاد[٣].

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢) يراجع كتاب: (ثقوب في الثوب الأسود: ص٦)، حيث يقول مؤلفه وهو دكتور في علم النفس: "الشطرنج لعبه عنيفة، لأنها تتطلب تركيز عقلك في صراع مع زميلك في اللعب" والظاهر أن يزيد كان يتدرب بممارسة الشطرنج والغلبة على ندمائه في اللعب، على العنف، وقسوة المجابهة لكل من ينافسه أو يتحدّاه ـ حسب نظره ـ في مجال الحكم، وحتى لكل من يوجّه اليه انتقاداً أو نصيحة.

(٣) يراجع كتاب: الشعائر الحسينية: ص١٢.

فلقد تمارض عندما كُلّف بالاشتراك في جيش "سفيان بن عوف" الذي جهّزه أبوه معاوية إلى القسطنطنية لغزو الروم، وتثاقل حتى رحل الجيش، وفي الطريق ابتلي الجيش بالوباء والجوع، وشاع خبره حتى وصل ذلك الخبر الفجيع إلى يزيد، فترنم يزيد نشوة وفرحاً لإنفلاته من المأزق وأنشا يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمّى ومذموم

إذا اتّكأت على الأنماط مرتفعاً بدير"مرّان" عندي ام كلثوم

فسار خبر البيتين في الناس سير الأثير في الهواء، وأخذ في الناس كل مأخذ، حتى كادوا ان يفيقوا من غرّتهم، فاضطر معاوية إلى تدارك الوضع، وإلحاق يزيد بالجيش، امتصاصاً للنقمة، وتغطية على النوايا الشريرة، والفضائح المنكشفة، والضمائر السوداء المفتضحة.

فيزيد هذا الطائش، الخارج على سنن الخلافة والانسانية، بل البشرية أيضاً، القائل فيه عبدالله بن حنظلة ـ وعبدالله هذا ابن غسيل الملائكة الذي استشهد بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم أحد وكان صبيحة زفافة ـ: "والله ما خرجنا على يزيد، حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء"[1].

كان بطيشه قد عكس عن الإسلام صورة شوهاء، وعن الخلافة شبحاً مخيفاً، وعن القيادة رعونة ومجوناً، وعن الحكومة استبداداً ودكتاتورية، بحيث لو بقيت على مسارها، ودامت في طريقها، دون من يشير إلى خطئها وسقمها،

(١) انظر كتاب: تاريخ الخلفاء، للسيوطي: ص٢٠٩.

ويضع اليد على نقاط ضعفها وتهوّرها، ويعلن برائة الإسلام منها، لتسربت كل هذه الشبهات إلى الإسلام والمسلمين، ولتسلّلت إلى أحكام دين الله ومناهجه، ولتصور المسلمون أنها من أصول الإسلام وفروعه، ومن أحكام الدين وسننه، ومن رموز خلافته وقيادته، ولضاع الإسلام في حجور بني أمية وقصورها، كما ضاعت المسيحية واليهودية في أحضان الكهنة، وأصحاب الدم الأزرق لمّا لم يوجد هناك من يذود عنها.

لكن شاء الله الذي شرّع الإسلام، وأنزل القرآن، وسنّ أحكامه وبيّن معالمه، أن يبقى الإسلام غضاً، والقرآن مصوناً، والأحكام محفوظة، والمعالم مشرقة، رغم كيد المناوئين وعبث العابثين، فاختار له الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام)، ليغسل عن وجه الإسلام الشبهات، ويذود عنه الوساوس والتسولات، ويجلي عنه الفتن والبدع، وذلك عبر دماء الشهادة، ونزيف المُهَج، في واقعة كربلاء وأرض الطفوف.

وكانت الشهادة هذه، التي اختارها الله تعالى للإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) ـ في فلسفة إلهية حكيمة بعيدة المدى ـ وتقبّلها الإمام الحسين (عليه السلام) من أعماقه وبكل وجوده رغم صعوبتها وشدّتها، وكذلك الأسر الذي تحمله لأهل بيته وبنات رسول الله (صلى الله عليه وآله)، السبيل الوحيد، والمعجزة الباهرة للإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) في مكافحة يزيد وكشف واقعه، والذب عن الإسلام وحفظ أصوله، كما كان الصلح معجزة الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) من قبل

في مواجهة معاوية وتعريته وتوعية المجتمع البشري وهدايته.

وهكذا أتمّ الإمام الثالث "الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام)" دوره في سبيل صحوة المجتمع ويقظته، وإصلاحه وتقويمه كما يتم الشهر الثالث دوره في ضبط الوقت وتحديده، وانتظامه وتعديله، ليسلّم دوره إلى الذي يليه من بعده.

أدوار البقية من الأئمة عليهم السلام

ثم يأتي دور الإمام الرابع، ثم الإمام الخامس، ثم الإمام السادس، ـ كما يأتي دور الشهر الرابع، والشهر الخامس، والشهر السادس في السنة الزمنية ـ وهكذا إلى أن يأتي دور الإمام الثاني عشر، ليكمل عدة الأئمة الاثني عشر(عليهم السلام)، الذين هم من أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله) وذريته، وخاصّته وذويه.

فتنتهي السّنة الكونية التي عبّر عنها الإمام الباقر(عليه السلام) في تأويل الآية الكريمة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً﴾ قائلاً: "أما السَّنة، فهي جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشهورها اثنا عشر شهراً.."[1].

وعندما تكمل أدوارهم، ، بظهور الإمام الثاني عشر، وإكمال دوره في إصلاح المجتمع وتقويمه، واظهار الدين الإسلامي على الأديان كلها، وتعميم العدل في أرجاء المعمورة، والسعادة لكل البشرية، تكمل السَّنة وتنتهي

(١) تفسير نور الثقلين: ج٢ ص٢١٥، وبحار الأنوار: ج٢٤ ص٢٤٠ ح٢.

بشهادته (عليه السلام)، ثم تبدأ سنة جديدة، بالكّرة من جديد، كما في عشرات الروايات مشفوعة بالكتاب الكريم في مسألة الرجعة[١].

نقاط البحث

وفي هذا التأويل إشارة إلى نقاط تالية:

١: جاء في تفسير الإثني عشري[٢] نقلاً عن المفسر الكبير أبي الفتوح الرازي بقوله: العجب من أن عدد الشهور التي بها صلاح معايش الناس لم يكن مفوّضاً إلى الناس، فكيف بعدد الأئمة وخلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) الذين بهم صلاح دين الناس كافة، ودنياهم وآخرتهم، يكون مفوضاً اليهم؟ حاشا وكلا، فإن نصب الأئمة وتعيينهم أولى وأحق، وقد فعل سبحانه ذلك والأخبار به كثيرة.

٢: كما أن انتخاب الأشهر واختيارها ليس بيد الناس، بل بيد خالق الزمان ومدبّره، كذلك انتخاب الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) وتعبينهم، لم يكن بيد الناس، بل هو كانتخاب عددهم بيد الله تعالى وبأمره، فهو إذن أمر إلهي، وانتخاب سماوي، كانتخاب الرسول تماماً وتعيينه، وليس للبشر فيه منفذ، ولا للأرض إليه طريق.

٣: كما أن عدد شهور السنة هو اثنا عشر شهراً، بلا زيادة ولا نقيصة،

---

(١) يراجع: عقائد الإمامية، للمظفر: ص٨٠، بحارالأنوار: ج٥٣ ص٣٩.

(٢) تفسير الاثني عشري: ج٥ ص٨٤.

كذلك عدد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لم يكن ليزداد على الاثني عشر إماماً، ولا أن ينقص منه شيئاً.

٤: كما أن أسماء الشهور الاثني عشر، وصفاتها الخاصة، وكيفية تعاقبها وترتبها، الشهر الفلاني اثر الشهر الفلاني مثلاً، معروفة ومشهورة قبل مجيئها وتحققها، كذلك أسماء الأئمة الاثني عشر(عليهم السلام)، وصفاتهم الخاصة، وكيفية تعاقبهم وترتبهم، الإمام الفلاني خلفاً للإمام الفلاني مثلاً، معروفة ومنصوصة عليها من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) قبل أوانهم وتواجدهم[١].

٥: في هذا التأويل حسب قوله (عليه السلام): "أمّا السَّنة فهي جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشهورها اثنا عشر شهراً.."

إشارة إلى أن الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) لابد أن يكونوا من خاصّة الرسول (صلى الله عليه وآله) وذريته[٢] وسنخه ونظيره، من حيث العصمة والطهارة ولا يجوز أن يكونوا من غيره، فان النبي (صلى الله عليه وآله) لما أرسل أبا بكر إلى مكة بسورة البراءة، نزل عليه جبرائيل ليقول له: " السلام يخصك بالسلام

(١) يراجع: أصول الكافي، للكليني: ج٢ ص٤٦٨، وسنورد بعضها فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) يراجع: بحار الأنوار: ج٩٦ ص٢٤٤، عن كنزالكراجكي: أن عمر بن الخطاب، خطب إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ابنته، فاعتل عليه بصغرها، وقال: إني أعددتها لابن أخي جعفر، فقال عمر: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: " كل حسب ونسب فمنقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي، وكل بني انثى عصبتهم لأبيهم، ما خلا بني فاطمة فاني انا ابوهم وأنا عصبتهم".

ويقول لك: لا يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك"، فأتبعه علياً (عليه السلام) ليستلمها منه ويبلّغها بنفسه، فكيف بالإمامة والخلافة اللذين هما امتداد للرسالة؟ كما أن الأشهر الاثني عشر هي من سنخ السنة ونظيرها من حيث الجنس والماهية.

٦: أن للأشهر الاثني عشر على اختلاف أسمائها وصفاتها، مهمة واحدة، ودور واحد، يتمثل في تنسيق الوقت وتنظيم الزمان، وصلاح معايش الناس، فكما أن للأشهر الاثني عشر هذا الدور كذلك للأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) على اختلاف ظروفهم وملابسات عصرهم هدف واحد ودور واحد، وهو الحفاظ على قيم الحياة، وتوازن المجتمع، وصلاح امر الناس دنيا وآخره، وجسماً وروحاً وذلك عبر الحفاظ على أحكام الإسلام والقرآن، وتعاليم الرسول وأوصيائه (عليهم الصلاة وأزكى السلام).

خلاصة الكلام

وخلاصة الكلام: أنه لا عجب من أن يكون حكم الأئمة الإثني عشر (عليه السلام) مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قوام المجتمع وإصلاحه، حكم السنة وشهورها الإثني عشر في نظام الوقت وتحديده، فان للنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) دوراً أكبر من ذلك، إنهم يشكّلون نواة الإصلاح، وجذر المكارم في المجتمع والحياة، كما تشكّل الأيام نواة الوقت، واساس الزمان بالنبسة إلى الأسبوع والشهر والسنة، لذلك صاروا (عليهم السلام) كالأيام ونُزّلوا

منزلتها، بل وعُبّر عنهم في لسان الأحاديث بالأيام نفسها.

ولا أراك تستثقل هذا المعنى، وان شئت الزيادة والاطمئنان، كما قال إبراهيم الخليل (عليه السلام): "..ليطمئن قلبي.."[1]، فتعال معي أيها القارئ الكريم، لننزل سوّية بفناء البحر الزاخر، والغيث الماطر، ومن في رحاب شخصيته الفذة، حططنا رحال الوفادة. ومهّدنا الكلام لبيان ما بوسعنا من تقديم بضاعة مزجاة في دوره الإيجابي لإسعاد الحياة والإنسان: الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، لنرى كيف يؤوّل دور النبي (صلى الله عليه وآله)، والأئمة المعصومين (عليهم السلام) في الحياة، ويوفّقه مع الأيام ودورها في الأسبوع.

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

الإمام الهادي عليه السلام يُشبّه أدوارهم بالأزمنة

يقول الشيخ الصدوق (رحمه الله) في كتابه "كمال الدين وتمام النعمة"[١]، مسنداً عن الصقر بن أبي دلف ما معناه:

لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن (عليه السلام)، جئت لأسأل عن خبره، فوقع نظر حاجب المتوكل المدعو باسم "رازقي" عليّ، وأمر بإدخالي عليه، فأدخلت، وجرى بيني وبينه ما يلي:

الحاجب: يا صقر! ما شأنك؟

صقر: خير إن شاء الله، أيها الأستاذ.

الحاجب: أجلس وإسترح. فجلست ولكن أخذني الفكر فيما تقدم من الأمور من ظنّه التشيّع بي، وفيما تأخر ممّا يترتب على مجيئي هذا، وقلت في نفسي: لقد اخطأت في المجيء... مضت لحظات وإذا به يقطع عليّ تفكيري - بعد ان صرف الناس من حوله وأعجلهم في الذهاب - بقوله مكرّراً: ياصقر! ماشأنك وفيم جئت؟.

صقر - فاتقيته على نفسي وقلت -: لخبرٍ مّا.

الحاجب: لعلك جئت تسأل عن خبر مولاك؟

صقر - متجاهلاً -: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين..

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٨٢، بتصرف.

الحاجب: اسكت، مولاك هو الحق، لا تتحشّمني فإني على مذهبك.

صقر ـ يطير فرحاً ويقول ـ: إذن الحمد لله على التوفيق والهداية.

الحاجب ـ وهو يردّ على شكره ويقول ـ: يا صقر أتحب أن ترى مولاك؟

صقر ـ وهو يصل إلى أمنيّته ـ: نعم، أيها الأستاذ، ولذلك جئت.

الحاجب: في خدمتك، ولكن لحظات ليخرج صاحب البريد.

صقر: على الطوع والرغبة.

وهنا بعد لحظات خرج صاحب البريد، وذلك بعد أن أنهى مهمّته من جمع الرسائل وإيصالها إلى أصحابها، عندها توجّه الحاجب إلى غلام له هناك يخدمه قائلاً:

أيها الغلام! خذ بيد أخينا "صقر" وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، وخلِّ بينه وبينه.

الغلام: سمعاً وطاعة.

الصقر يلتقي بالإمام الهادي عليه السلام

قال صقر: ثم أخذ الغلام بيدي وسار بي حتى أدخلني الحجرة، وأومأ لي إلى بيت فيها، ثم تركني وقفل راجعاً.

صقر يواصل كلامه ويقول: فدخلت البيت فإذا أنا بأبي الحسن الهادي (عليه السلام) وهو جالس على صدر حصير، وبحذاه قبر محفور، فقلت:

السلام عليكم ورحمة الله.

أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ـ يرفع رأسه نحوي ويجيب ـ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلاً ومرحباً، اجلس يا صقر.

وبعد أن استقر بي المجلس، التفت (عليه السلام) إليَّ بعطفٍ وحنان وقال: ما اتى بك يا صقر إلى هذا المكان؟

صقر: جئت يا سيدي لأتعرف خبرك، ثم وقع نظري على القبر، فلم أتمالك نفسي وأجهشت بالبكاء.

أبوا لحسن الهادي (عليه السلام) ـ يتلطف بي ويسلّيني قائلاً ـ: لا عليك، إنهم لن يصلوا إلينا بسوء.

صقر: ففرحت بذلك وقلت: الحمد لله على سلامتكم، ثم أردفت: يا سيدي حديث يُروى عن جدكم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لا أعرف معناه.

أبو الحسن الهادي (عليه السلام): ما هو ذلك الحديث؟.

صقر: هو قوله (صلى الله عليه وآله): "لا تعادوا الأيام فتعاديكم".

أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ـ يؤيّد صحة الحديث ويقول ـ: نعم. سأشرح لك معنى الحديث بواقعه وحقيقته، فالتفِت إليه جيّداً:

أعلم يا صقر، أن الأيام نحن، بنا قامت السماوات والأرض، أي: لم يمنحنا الله تعالى الولاية التشريعية فحسب، بل الولاية التكوينية أيضاً.

فالسبت: اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والأحد: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

والاثنين: الإمامين الهمامين الحسن والحسين (عليهما السلام).

والثلاثاء: علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق (عليهم السلام).

والأربعاء: موسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وأنا (أي: الإمام أبو الحسن الثالث عليّ بن محمد الهادي) (عليهم السلام).

والخميس: ابني الحسن العسكري (عليه السلام).

والجمعة: ابن ابني (أي: الإمام المنتظر (عليه السلام)) واليه تجتمع عصابة الحق، وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ثم قال (عليه السلام): فهذا يا صقر معنى الأيام، فلا تعادوهم في الدنيا، فيعادوكم في الآخرة، ثم التفت (عليه السلام) وللمرة الأخيرة إلى صقر وقال: ودّع يا صقر واخرج، فاني لا آمن عليك.

صقر ـ وقد فرح بما أوضح له الإمام (عليه السلام) من معنى الحديث، يجمع نفسه، ويتأهب للوداع امتثالاً، مع أنه كان يشق عليه مفارقته، ثم يلثم يد الإمام (عليه السلام) ويقبّله ويعلن وداعه بقوله ـ: استودعكم الله يا سيدي يا أبا الحسن.

أبو الحسن الهادي (عليه السلام) ـ يشيّعه مجيباً ـ: في حفظ الله وحراسته.. وأهلاً ومرحباً بك يا صقر.

صقر يرجع القهقرى وهو يشير بيديه محيّياً إياه تحيات الوداع، حتى إذا توارى عن الإمام، اقبل نحو الحاجب ليرفع إليه آيات شكره على ما سمح له من لقاء مولاه، ثم بعد ذلك يودّعه وينصرف.

الحاجب يجيب على تحيات الوداع ويتمتم قائلاً: أشكر الله تعالى وأحمده على قضاء حاجة أخينا "صقر" ومسرته.

الدور الأعمق والأدق

وإن تعجب من أنه كيف يكون دور الأئمة (عليهم السلام) في الحياة والمجتمع دور الأيام في الأسبوع، فاستعدّ وتهيّأ لأخبرك عن أن لهم (عليهم السلام) دوراً أعمق وأدق من ذلك بكثير.

ولعلك تسأل وتقول: وهل يكون ذلك، وكيف؟.

وأُجيبك: نعم، إن ذلك ممكن.

فإن دورهم (عليهم السلام) في تقويم الحياة وإصلاح المجتمع، دور الساعات في اليوم، فكما لا يكون اليوم لولا القطع المتوالية من الزمان المعبّر عنها بالساعات، ولا ينتظم النهار إلا بتتابع الساعات وتعاقبها، كذلك لم تكن الحياة لولا الأئمة الإثنا عشر (عليهم السلام)، ولم يستقر حجر على حجر إلا بتتابعهم وتعاقبهم.

فإنه في الحديث الشريف: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت» وأنه: «لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله».

و: «إن الله لم يدع الأرض بغير عالم (أي: الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله تعالى) ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل»[١].

ولك أن تطالبني بالدليل على هذا الإدعاء، وتسألني عن مستندٍ لإثباته، فأقول ما يلي:

المحدّث القمي والأعلام الثلاثة

نعم، عليك أن ترحل معي إلى رحاب المحدّث الكبير: الشيخ عباس القمي، في كتابه "الباقيات الصالحات" المطبوع في هامش الكتاب المعروف والكثير التناول: "مفاتيح الجنان" لنقرأ معاً نص هذا المعنى، نقلاً عن الأعلام الثلاثة: شيخ الطائفة: الشيخ الطوسي، والسيد إبن باقي، والشيخ الكفعمي، في كتبهم المختصة بالأدعية المأثورة عن المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)[٢]، فانه ذكر عنهم قائلاً:

لقد قسّم هؤلاء الأعلام الثلاثة ـ استناداً إلى ما روي عن المعصومين (عليهم السلام) ـ اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة، ونسبوا كل ساعة منها إلى واحد من الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام)، ثم ذكروا لكل ساعة من هذه الساعات دعاءاً يشتمل على التوسل بذلك الإمام المخصوص.

---

(١) راجع الكافي: كتاب الحجّة، باب (أن الأرض لا تخلو من حجة).

(٢) راجع مفاتيح الجنان، الهامش ص١٧٣، وبحار الأنوار: ج٨٦ ص٣٣٩.

المحدث القمي: كيف يتم هذا التقسيم؟ وما هو شكله وكيفيته؟

الأعلام الثلاثة: نعم، التقسيم يكون كما يلي:

الساعة الأولى: وتبتدئ بطلوع الفجر وتنتهي مع طلوع الشمس، وهي تختص وتنسب إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

الساعة الثانية: وتبتدئ من طلوع الشمس إلى ذهاب الحمرة من السماء، وهي تنسب إلى الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام).

الساعة الثالثة: وتبتدئ من ذهاب الحمرة الشمسية إلى ارتفاع النهار، وهي تختص بالإمام الحسين الشهيد (عليه السلام).

الساعة الرابعة: وتبتدئ من ارتفاع النهار إلى زوال الشمس وحلول الظهر، وهي تنسب إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام).

الساعة الخامسة: وتبدأ بزوال الشمس والظهر الشرعي إلى مقدار صلاة أربع ركعات نافلة منه، وهي تختص بالإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام).

الساعة السادسة: وتبدأ بعد مقدار التنفل بأربع ركعات إلى صلاة الظهر المفروضة، وهي تنسب إلى الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام).

الساعة السابعة: وتبدأ بصلاة الظهر الواجبة إلى مقدار التنفل بأربع ركعات قبل العصر، وهي تختص بالإمام الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام).

الساعة الثامنة: وتبدأ بعد مقدار التنفل بأربع ركعات بعد الظهر إلى صلاة العصر المفروضة، وهي تنسب إلى الإمام الرضا علي بن موسى (عليه السلام).

الساعة التاسعة: وتبدأ من صلاة العصر الواجبة إلى الأصيل ـ والأصيل: الوقت بين العصر والمغرب ـ وهي تختص بالإمام الجواد محمد بن علي (عليه السلام).

الساعة العاشرة: وتبدأ من الأصيل حتى قُبيل اصفرار الشمس، وهي تنسب إلى الإمام الهادي أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام).

الساعة الحادية عشرة: وتبدأ قبيل اصفرار الشمس إلى وقت صفرتها، وهي تختص بالإمام العسكري الحسن بن علي (عليه السلام).

الساعة الثانية عشرة: وتبدأ مع اصفرار الشمس حتى غروبها، وهي منسوبة إلى الإمام المهدي الحجة بن الحسن(عليه السلام).

وفي هذا التمثيل التقريبي لهذه الحقيقة ما يشير إلى أنه: كما أن الساعات الإثنتي عشرة، تملأ دورة النهار وتكملها، وتسكب على اليوم ضياءاً ونوراً، وحرارة ونشاطاً، ليأتي من بعدها الليل الدامس، وظلامه الحالك، فيقضي على آخر معالم النور، وطاقات الحرارة والنشاط، كذلك يملأ الأئمة الإثنا عشر (عليهم السلام) دورة الحياة والمجتمعات بنور العلم والإيمان، ويفيضون عليها حرارة المحبة والألفة، ويصبغونها بالصفاء والهناء، والنشاط والحركة، والتسابق البنّاء على كسب الفضائل والمكارم، ونشر الخير والعدل.

الدور الأمثل والأدق

ثم لا عجب من هذا الدور الدقيق، والأثر البالغ للأئمة المعصومين (عليهم السلام) في الكون والحياة، فان لهم بتصريح القرآن وتوضيح من النبي (صلى الله عليه وآله) دوراً أهم وأعظم، وأمثل وأكمل من ذلك، وهو: دور السماء وبروجها الإثني عشر في نظام الكون، وإعتدال العالم، فكما لايكون كون ولا عالَم، لولا السماء وبروجها الإثنا عشر، كذلك لم يكن مجتمع إنساني صالح، ولا حياة عامرة سعيدة، لو لا النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، والأئمة الإثنا عشر (عليه السلام).

وإن كنت تسألني عن دليله، فهو من حقك، وسأنقله لك بكامله، فهيّا بنا اليه..

الشيخ المفيد و رواية ابن عباس

نعم هذا هو الشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي من أعلام القرن الرابع الهجري يحدّثنا في كتابه: "الاختصاص" عن المفسّر الكبير والصّحابي الجليل: إبن عباس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ذِكر الله عزوجل عبادة، وذكري عبادة، وذكر علي عبادة، وذكر الأئمة من ولده عبادة.

ثم أضاف (صلى الله عليه وآله) قائلاً:

والذي بعثني بالنبوة، وجعلني خير البريّة، إن وصيّي لأفضل الأوصياء، وإنه لحجة الله على عباده، وخليفته على خلقه، ومن وُلده: الأئمة الهداة بعدي.

بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض، وبهم يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبهم يُمسك الجبال أن تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يُخرج النبات.

أولئك أولياء الله حقاً، وخلفائي صدقاً، وعدّتهم عدّة الشهور، وهي اثنا عشر شهراً، وعدّتهم عدّة نقباء موسى بن عمران.

ثم تلا (صلى الله عليه وآله) هذه الآية: "والسماء ذات البروج" والتفت بعدها إليّ وقال:

أتقدّر يا ابن عباس! إن الله يُقسم بالسماء ذات البروج، ويعني به السماء وبروجها؟

ابن عباس: يا رسول الله: فما ذاك، وما عنى الله سبحانه منها؟

النبي (صلى الله عليه وآله): اعلم يا ابن عباس! أما السماء: فأنا، وأما البروج: فالأئمة بعدي، أولهم عليّ، وآخرهم المهديّ (صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

وهكذا يفسّر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الآية الكريمة من سورة البروج بنفسه والأئمة المعصومين من أهل بيته، ويشير إلى أن دورهم (عليهم السلام) في قوام الحياة وصلاح المجتمع بمكان من الأهمية والعظمة بحيث يُقسم الله تعالى به، وأنه يضاهي دور السماء وبروجها الإثني عشر في بناء الكون ونظام العالم.

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد: ص٢٢٣.

أهل البيت عليهم السلام : النقطة المركزية

وهنا سؤال يدور في ذهن البعض، ويطرح نفسه بإلحاح ليقول:

هل لتوضيح دور الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) في عصر الذرة وغزو الفضاء مثال تقريبي ونموذج توضيحي يلائم العصر، ويعّرفنا أهمية دور أهل البيت (عليهم السلام) في استمرار الحياة واستقرار الكون؟

والجواب: نعم، فإنه ما أكثر الأمثلة والنماذج العصرية التي اكتشفها العلم وأثبتها بالأرقام في هذا المجال، ولكن أخبرني هل قرأت عن هذه الحقيقة شيئاً، وانه كيف يعم الحياة والكون، بما فيها من اكبر الأجرام السماوية، كالمنظومة الشمسية إلى أصغر حجم في الأجسام الأرضية: كالذرة، نظام واحد، ومنهج شامل، وأسلوب عام يجري في الجميع، وهو:

وجود نقطة محورية، ومركز ثابت، يدور حوله البقية.

فمثلاً: الشمس في المنظومة الشمسية، تشكل نقطة المحور، ومركز الثقل، ليدور حولها باقي السيارات، فمنظومتنا الشمسية، نقطة مركزها الشمس، ويدور حولها أفراد أسرتها البالغ عددهم ما يقرب من أربعين عضواً، سيارات تسع، وواحد وثلاثون قمراً.

وترى في الذرة: "البروتون والنوترون" يشكلان معاً النقطة المركزية فيها لتدور حولها الإلكترونات، فنظام الذرة وبناؤها كنظام المنظومة الشمسية تماماً،

وحركة الإلكترونات فيها حول المحور، تشبه السيارات الحائمة حول الشمس في المنظومة الشمسية كاملاً، لكن مع فارق السرعة المدهشة الموجودة داخل الذرة، فإنها تفوق كثيراً السرعة التي تدور بها السيارات حول الشمس.

وهذا النظام كما أشرنا إليه جارٍ في كل الأجرام والأجسام، ولا ينفلت منها شيء أبداً، ومن الواضح أن النقطة المحورية ومركز الثقل فيها هو الركن والأساس في تماسكها والاحتفاظ بكيانها، بحيث لو فُقدت لانعدمت من أساسها، أو على الأقل لتبعثرت وتناثرت، ولتمزق وحدتها وتماسكها.

فمثلاً: لولا الشمس لم تكن هناك منظومة شمسية قائمة على قدم وساق، ولولا النواة المركزية المتمثلة في البروتون والنوترون لم تكن عندنا ذرة، وهكذا لولا الإمام المعصوم المنتخب من قبل السماء، لم يكن هناك إنسان ولا مجتمع ولا حياة.

فكما لو فرضنا أن الشمس إذا انعدمت، انعدم معها كل السيارات، وانقرضت المنظومة الشمسية، وأن "البروتون والنوترون" إذا قضينا عليهما داخل الذرة وأطلقناهما، تهدمت الذرة وتفجرت، ودمرت ما يحيط بها، كذلك الأرض بما فيها الإنسان، لو خلت من الإمام المعصوم المنصوص عليه عبر السماء، لتدمرت وأهلكت أهلها وساكنيها ولقضي على آخر معلَم من معالم الحياة فيها.

وإلى هذا المعنى أشار - من ذي قبل - الحديث الشريف المزبور القائل: «لو

بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[١].

استفادة طريفة

ويمكننا أن نستفيد من هذا التمثيل، معنى دقيقاً، وإشارة لطيفة إلى نقطتين:

١: كما لم تكن للمنظومة الشمسية أن تختار شمسها بنفسها وتعيّنه بمشيئتها، أو ترفضها بإرادتها، ولم تكن للذرة أيضاً أن تنتخب نقطة مركزها أو ترفضه حسب هواها ومشتهاها، بل خصّهما الله تعالى الذي خلقهما بها بلا اختيار منهما وإرادة.

كذلك يكون الإمام المعصوم، الذي له المكانة الكبيرة، والنقطة المركزية، للحياة والمجتمع البشري، فإنه لابد وأن يكون منصوصاً عليه من خالق الإنسان، ولم يكن للبشر فيه حق انتخاب، أو حق رفض أو قبول.

٢: وكما اعترف العلم الحديث ـ في عالم الماديات ـ بوجود قاعدة عامة، ونظام شامل، لا يشذّ عنه جرم من الأجرام السماوية، ولا جسم من الأجسام الأرضية، وهو: وجود: نقطة مركزية يتمحور حولها سائر أجزائها، ويكتسب منها التماسك والبقاء.

كذلك يكون في عالم المعنويات، فإنه لابد وأن يكون هذا النظام جارياً،

---

(١) انظر الكافي: كتاب الحجة، باب (أن الأرض لا تخلو من حجة).

وهذه القاعدة مطّردة، لا يشذ عنها معنى واحداً من المعنويات، ولا حقيقة واحدة من الحقائق والواقعيات الكونية وهو: وجود نقطة مركزية يتمحور حولها سائر الحقائق والمعنويات، ويستمد منها الحياة والبقاء، وقد شاء الله تعالى خالق المعنويات والواقعيات في هذا الكون الرحيب، أن يجعل النقطة المركزية لذلك، الأئمة المعصومين الإثني عشر (عليهم السلام)، فيمدّوا الكون بالحقائق والمعنويات، والإنسانية بالفضائل والمكرمات، والحياة بالسعادة والهناء.

الخلاصة

وهكذا اتضح لنا، أن دور الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين الإثني عشر (عليه السلام) في الحياة والمجتمع يمثّل:

١: دور القلب في الإنسان ـ كما نص عليه الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد: لأنه جاء بنصه في صحف إبراهيم وموسى ـ ومن المعلوم: أنه لولا القلب لما كان للإنسان أن يحيى ويعيش، فكيف به أن ينال السعادة والهناء؟ وكذا شأن الحياة والمجتمع لولا وجود الإمام المنصوص عليه من الله تعالى.

٢: دور الشهور الإثني عشر بالنسبة إلى السَّنة الزمنية ونظام الوقت ـ كما في تأويل الإمام الباقر (عليه السلام) للآية المباركة: "إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً.." ـ ومن الطبيعي أنه لولا الشهور المنتظمة لما صلح للناس معايشهم، ولا

انتظمت أمورهم، كذلك لولا وجود الأئمة الإثني عشر (عليه السلام) وجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لما صلح المجتمع البشري ونال السعادة والرخاء، ولما صلحت الحياة وانتظمت ليهنأ في ظلّها الإنسان ويعيش المكارم والإخاء، ولكان قد أتى عليها الظلام الجاهلي الحالك، وأسدل على كل جوانبها وقطاعاتها حجبه السوداء، وستوره الدكناء، كما قال تعالى: ﴿... **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...**﴾[1].

٣: دور الأيام من الأسبوع ـ كما في تفسير الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا تعادوا الأيام فتعاديكم" ـ ومن البديهي أنه لولا الأيام التي هي وحدات الأسبوع ومفردات الشهر، لما عرف الأسبوع ولا الشهر ولا السنة، ولضل الناس وتاهوا في معايشهم، كذلك لولا أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لما عرف الخير والصلاح في المجتمع البشري، ولم تتقوّم الحياة على شيء من المكارم والفضائل، والمحبة والوئام، والخير والسلام.

٤: دور الساعات في اليوم ـ كما أشار إليه المحدّث القمي في كتابه القيّم: "الباقيات الصالحات" نقلاً عن المشايخ الثلاثة، وأعلام الأمّة ـ ومن الواضح أنه لولا تعاقب الساعات وتواليها، لما تشكلت المجموعة الزمنية التي تدعى باليوم ولما صلحت وانتظمت تركيبته، كذلك لولا وجود الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وتعاقبهم، الواحد تلو الآخر، لما تشكلت المجموعة الكونية بما فيها الحياة

(١) سورة النور: ٤٠.

والإنسان، ولما صلحت لأن يعيش فوقها متنفّس، أو يرى لها نظام وجمال.

٥: دور السماء وبروجها الإثني عشر ـ كما في تفسير ابن عباس وتأويل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) للآية المباركة من سورة البروج ـ ومن المعلوم لدى كل إنسان، أنه إذا استثنينا السماء وبروجها الإثني عشر من النظام الكوني، كان معناه: عدم الكون وفناء العالم، كذلك إذا استثنينا المعصومين (عليهم السلام) من النظام الإنساني، كان معناه: عدم الإنسان وفناء الحياة، مما يعني: أن قوام الحياة وصلاح الإنسان إنما هو رهن وجود المعصومين من النبي الأكرم وفاطمة الزهراء والأئمة الإثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين).

٦: دور المحور والنقطة المركزية في الأجرام والأجسام ـ كما أشار إليه العلم الحديث عندما اكتشف المجرّات الكبيرة، الحاوية لملايين المنظومات الشمسية، وعندما استطاع أن يفلق الذرة ويشطرها، وعندما اكتشف نظام الجاذبة والدافعة الحاكمة على الأجرام والأجسام ـ ومن أوضح الواضحات أنه لولا النقطة المركزية، والنظام القائم في الأجرام والأجسام على حساب المركز والمحور، لما كان من الأجرام والأجسام شيء يذكر، كذلك لولا وجود الأئمة المعصومين وجدّهم الرسول الكريم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، الذين لهم دور المركز والمحور في هذا الكوكب المسكون، لما كان للحياة والإنسان فوقه شيء يتصور، بل لكان كما أشار اليه القرآن الكريم: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُورا**﴾[1].

---

(١) سورة الإنسان: ١.

إذن: فلا غرو بعد هذا كله، أن جعلهم الله تعالى: خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته، وأنصاراً لدينه، وحفظة لسره، وخزنة لعلمه، ومستودعاً لحكمته، وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشهداء على خلقه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلاء على صراطه.

كما لا عجب من أن عصمهم الله تعالى من الزلل، وآمنهم من الفتن، وطهّرهم من الدنس، وأذهب عنهم الرجس: أهل البيت، وطهّرهم تطهيرا.

السعادة الواقعية

وهنا سؤال يعترض في الذهن، ويختلج بالبال، ليقول:

إذا كان دور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، كما تدّعون، وهدفهم في الحياة كما تزعمون: من إسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة، فلماذا لم نسمع عنهم من أحد، يحدثنا: بأنهم اخترعوا لنا شيئاً من المخترعات الجديدة، أو صنعوا لنا بعضاً من الصناعات الحديثة، التي نوفر على الإنسان الراحة والسعادة، في الحضر والسفر، وفي البيت والمحل، والمدرسة والإدارة، والسوق والشارع، والمصنع والمزرعة، والمعمل والمختبر، وفي كل مرافق الحياة، من الآلات والمكائن، والوسائل والأجهزة، التي تُرفّه الحياة وتُرغد العيش، وتُوفر على الإنسان الوقت والراحة، وتُضفي عليه النزهة والنضارة؟

والجواب عليه يتم عبر نقاط تالية:

١: إن كل الاختراعات الحديثة، والصناعات الجديدة، مدينة للأئمة المعصومين (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، لأنهم هم الذين وضعوا أسس الحضارة والمدنيّة، وقواعد العلم والاكتشاف، وأصول التقدم والرقي، ومناهج الفكر والتحرّي، وهم الذين أرشدوا الناس إليها، ودلوهم عليها، ويكفيك في هذا المجال علماً، بأن تراجع تصريحاتهم (عليهم

السلام) العلمية، وتطّلع عليها في مظانها، كما أنه يغنيك في هذا الحقل مراجعة كتاب "الشيعة وفنون الإسلام" للسيد حسن الصدر.

٢: هاك جملة من تلامذة الأئمة (عليهم السلام) الذين دوّنوا ما اكتسبوه من العلوم العصرية عنهم (عليهم السلام) وأفادوا العالم بها: من أمثال: جابر بن حيان الكوفي المعروف بأبي الكيمياء، وأستاذ الفيزياء، الذي كتب في هذين الفنّين أربعة آلاف رسالة، وكلها نقلاً عن أستاذه: الإمام الصادق (عليه السلام) سادس الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام)، وقد ابتنت عليها حضارة الغرب الجديدة.

وأمثال أبو شاكر الديصاني، الذي كتب رسائل مسهبة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معرفة المعادن، وكشف ذخائر الأرض وكنوزها من ذهب وغيره، وكيفية التوصل إليها والإطلاع عليها، ثم تعليم طريقة ذوب الفلزات وصَهرها والاستفادة منها.

وأمثال زرارة بن أعين، والمفضّل بن عمر، وهشام بن الحكم، الذين كتبوا رسائل كثيرة، ونقلوا روايات جمّة، في أهم العلوم العصرية من أصول وعقائد، وفقه وسياسة، واقتصاد واجتماع، ونحو ذلك.

إنهم (عليهم السلام) جاءوا لنا أيضاً بما هو خير من ذلك، جاءوا لنا بالأصول والقواعد، والأسس والضوابط، التي يبتنى عليها الفروع والأغصان، جاءوا لنا بما يضفي على الروح السعادة والسلامة، وعلى النفس الطمأنينة والعافية، وعلى الضمير الراحة والهناء، وعلى الوجدان الفوز والفلاح، ومن المعلوم:

أن سعادة الروح والنفس، والضمير والوجدان، هي أساس سعادة الإنسان، والأصل في تنعّمه ورفاهه، والقاعدة لسلامته وعافيته.

أرأيت لو أن إنساناً لديه كل وسائل الراحة المادية، ورفاه التنعم الجسمي، لكن روحه كانت مضطربة ونفسه كانت قلقة، فهل تنفعه كل هذه الوسائل المادية شيئاً، أو تدفع عنه عذاب القلق الروحي، وعناء الاضطراب النفسي؟ وهل يمكنه ان يتحسّس معنى الرفاه الجسمي، ويتذَوّق الهناء المادي المحيط به في كل مكان؟

كلا وألف كلا، فهذا العالم الصناعي نراه اليوم - رغم تقدمه في المجال الترفيه المادي - يغور في بؤرة التوتر النفسي، ويموج في لجج الاضطراب الروحي، وقد كشفت عنه وفضحته نسبة الأرقام العالية للجرائم والانتحارات، والأمراض الروحية، والعاهات النفسية المزمنة.

فالأئمة المعصومون (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) مضافاً إلى إلقائهم لتلامذتهم العلوم الحديثة والعصرية، قد ركّزوا على الأصل وهو: الروح ووضعوا الحجر الأساس لذلك، ورصفوا اللبنات الأولية منها، ثم صبّوا على ذلك الأساس المتين، كل الخطوط العريضة التي تتكفل سعادة الإنسان روحاً وجسماً، ومعنى ومادة، طبعاً لو عملنا بها، وانتهجنا سيرتهم، واحتذينا حذوهم (عليهم السلام).

على الأعتاب

وهنا حيث وصل بنا الكلام إلى ما وصل، وانتهى بنا الحديث إلى ما انتهينا إليه، فلعلّ أحداً يستنكر شيئاً من ذلك ويستعظمه ويقول: لقد بالغت ـ حسب الظاهر ـ فيما نسبته إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من دور في الحياة والمجتمع، وسعادة الإنسان وكرامته، فهل لك أن تبيّنّ لنا شطراً من هذا الدور الكبير، ليكون دليل صدق على ما ادعيته، وشاهد عيان على عدم المبالغة فيه؟

وأجيبك: نعم، هذه غايتي ومناي من كتابة هذه الأوراق، وبُغيتي ورجواي من تأليف هذا الكراس، ولكن عليك أيها القارئ الكريم ان تنزل معي وبصحبتي برفق وثبات لنحطّ معاً في رحاب الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، الذي وضع الكراس من أجله وتخطو معي بتؤدة وأناة، ودقة ورويّة، لنقف معاً على لطائف سجاياه الكريمة، وسيرته الفاضلة، وسلوكه الجميل، وننهل من معينه العذب الرقراق، ورحيقه السلسل الزلال، جرعةً سائغة، تروينا من الظمأ والصدى، وتنزلنا شواطئ الأمن والإيمان..

ولنبدأ ـ حسب المستطاع ـ بما يلي:

أولاً: بالإرهاصات قبل الولادة، وهو الفصل الأول.

وثانياً: مسايرة الحوادث التي توالت مع الولادة وهو الفصل الثاني.

وثالثاً: متابعة الأمور التي تعاقبت بعد الولادة، وبشكل خاص البرهة الزمنية، التي تحمّل فيها (عليه السلام) مسئولية الإمامة، وقام بأعبائها وهو الفصل الثالث من الكتاب.

فمعاً إلى أرض الميعاد، وسوية على ساحل المكرمات، والمرفأ الدافيء بالحياة والنشاط، والدافق بالفضائل والخيرات..

معاً إلى الفصل الأول من هذا الكتاب وهو: الإرهاصات قبل الولادة، أي قبل ولادة صاحب العسكر: الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

الفصل الأول

الإرهاصات قبل الولادة

إرهاصات قبل الولادة

حياة العظماء حافلة بالعظمة، زاخرة بالمعجزات، مشحونة بالكرامات، مملوءة بالامتيازات والاستثناءات، وخصوصاً إذا كان هؤلاء العظماء من طراز المعصومين، الذين انتخبهم الله تعالى وانتجبهم من بين خلقه، ليكونوا خلفاءه في أرضه، وحججه على بريته، وأُمناءه على وحيه وشرعه، وحفظة لدينه وكتابه، وبالتالي: الهدف الذي من أجلهم خلق الله تعالى الكون والحياة[1].

وطبيعي لمن له مثل هذا الدور الكبير في شيء، وهو: دور الغائية والهدف، أن تظهر علاماته في ذلك الشيء وتبدوا إشاراته في كل نقطة وعلى كل ناحية من ذلك الشيء.

أرأيت لو فكرت أن تبني لنفسك داراً تسكن فيها، كانت إشارات السكنى تلوح في هندسة الدار، وتظهر في كل زاوية من زواياها؟ فالدار التي هي غاية للسكن، صارت مسرحاً لعلامات تشير إلى أنك تريد أن تسكنها، ومحّلاً لإشارات تعلن انك ستتخذها مأوىً ومأمناً، يعني أن دور الغائية والهدف من بناء الدار، أخذ يتجلّى في تصميمها وبنائها، ثم في عرصاتها وغرفاتها..

كذلك الكون بما فيه الحياة، فقد خلقه الله تعالى لأجل الأئمة الإثني عشر

---

(١) إرشاد القلوب، للديلمي: ج٢ ص٤١٤، وكمال الدين وتمام النعمة: ج١ ص٢٥٤، وتاريخ سامراء: ج٣ ص١٠ عن فرائد السمطين للحموي الشافعي.

المعصومين (عليهم السلام)، ولجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمهم فاطمة الزهراء (عليها السلام)[١]، فهم الغاية والهدف من خلق الكون، وطبيعي حينئذ أن تبدو على خارطة الكون معالمهم، وتطفح على وجناته تباشيرهم، وتظهر في هندسته ملامحهم، وتلوح في كل زاوية من زواياه مآثرهم ومناقبهم، وتغطي كل أرجائه أنوارهم وفضائلهم.

سؤال و جواب

ولعلك تسأل وتقول: إن كان الكون بما فيه الحياة، خُلق - كما تقول - من أجل المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وهدفاً وغاية لهم، فلماذا لا نحسّ بما يشير إلى ذلك، ولا نلمس علاماته بوضوح؟

وأجيبك: أجل يا قارئ الكريم، أنك لا تحسّ أيضاً بما يشير إلى السكن في الدار، التي فرغت من بنائها. ولا تلمس علامات ذلك، لأن الهدف من بناء الدار في غاية من الوضوح والبداهة، بحيث يجعلك لا تلتفت إليه كما لا نلتفت إلى الأوكسجين وحياتنا متوقفة على تنفسه، لبداهته، غير أنك لو دققت نظرك إلى هندسة الدار، ورأيت الغرف المبنيّة والمشتملات فيها، والساحة المعبّدة وما تحتوي عليها، من حديقة غناء يتعالاها أريج الزهور، وزغاريد الطيور، وحوض ماء جميل تتلاعب فيه الأسماك، ومصابيح مترامية في أطرافها، تنشر

(١) ارشاد القلوب، للديلمي: ج٢ ص٤١٦. وملحق مفاتيح الجنان: ص١ نقلاً عن عوالم العلوم في حديث الكساء المعروف.

النور الباهت المريح، لرأيت أنها تفصح جميعاً، بأنها قد فتحت باعها لتحتضنك برحبها، وتظلك بغرفها، وتقيك من قر الشتاء وحر الصيف، ووهج الشمس ولفح السموم، وترغد عليك العيش والسكن.

كذلك لو أسهبت النظر في الكون بما فيه الحياة، لرأيت بوضوح أن هذا الكون الرحيب، خلقه اللهُ تعالى لأجل الإنسان، فالشمس والقمر، والبحار والأنهار، والنبات والحيوان، والماء والهواء، وكل شيء في هذا الكون قد تكاتف وتضامن ليوفر على الإنسان رغد العيش، وسعادة الحياة، واستمرار البقاء..

والإنسان ـ كما نرى ـ منه الفاضل والأفضل، والخاسر والأخسر، وطبيعي أن تكون مسيرة الحياة وتداومها من أجل الأفضل، كما أن الزارع يسقي بستانه من أجل الثمر، وإن كانت الأشواك ترتوي منه أيضاً، فهي موجودات متطفلة على الثمار، كذلك الإنسان كله موجود متطفل على حياة ذلك الإنسان الأفضل.

من هو الأفضل؟

ومن هو يا ترى أفضل من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وابنته المعصومة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وذريته المعصومين الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) الذين أفاضوا على الحياة السعادة والهناء، وأمدّوا الإنسان بالعلم والمعرفة، والآداب والفضائل، وفتحوا عليه أبواب كل خير بإذن الله تعالى.

ويكفيك ـ أيها القارئ العزيز ـ ويكفي كل من له قلب، أو ألقى السمع

وهو شهيد - في فضلهم، مراجعة سريعة، ومطالعة ولو عابرة في التاريخ، وخصوصاً التاريخ الإسلامي، وعلى الأخص تاريخهم (عليهم السلام) وكذلك مراجعة ما روي عنهم من أحاديث وروايات، كنهج الفصاحة، ونهج البلاغة، وغرر الحكم ودرر الكلم، والصحيفة السجادية، ورسالة الحقوق، ومكارم الأخلاق، وتحف العقول، والكتب الأربعة، والاحتجاج، والبحار، وغيرها من المصادر الموثوقة، لترى اعتراف التاريخ بذلك، ولتطمئن عبر سيرتهم ومن خلال أحاديثهم (عليهم السلام) إلى أنهم أفضل من كل إنسان.

كيف لا، والمسيح روح الله وكلمته (على نبينا وآله وعليه السلام) على فضله وكرامته ينزل من السماء ليقتدي بالإمام الثاني عشر(عليه السلام) عند ظهوره.

والكليم موسى بن عمران النبي العظيم، على جلالته وقدره (على نبينا وآله وعليه السلام) يبشر في توراته برسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولاية أوصيائه الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) ويذكرهم بأسمائهم وصفاتهم، ويدعو من آمن به إذا أدرك زمانهم وعاصرهم إلى الإيمان بهم وإتّباعهم.

رؤاد السعادة الروحية

ثم لو دققت النظر في كل هذه الأشياء الكونية، المسخّرة للإنسان، لرأيت أنها تسعى جميعاً، لمواصلة حياة الجسم وماديات الإنسان، فمن الذي يسعى لمواصلة حياة الروح ومعنويات الإنسان؟

أليس الإنسان جسماً وروحاً، وليس جسماً فحسب، يفرح ويحزن، ويستبشر ويكتئب وهو في سلامة من جسمه، وصحة من بدنه؟

وأليس الإنسان إنساناً بروحه أكثر مما هو بجسمه، فإذا فارق الروح الجسد، أصبح الجسمُ هامداً لا حركة فيه، والبدنُ خامداً لا حس له؟.

وأليست سعادة الإنسان الروحية، أكبر شأناً وأجل قدراً من الرفاه المادي والسعادة الجسمية؟ وإلا فلماذا لا يتهنّأ بالحياة، ولا يتحسّس بردها، أو ينال بقاءها، أصحاب الثروات المادية، مع ما يتسنّى لهم من السعادة الجسمية والرفاه المادي؟

إذن: فمن هم أولئك الذين يُفيضون على الروح السعادة، ويضمنون له البقاء المعنوي؟

طبعاً أولئك هم القمة في الإنسانية، والطود في المكارم والفضيلة، والبحر في السجايا الخلقية، ألا وهم الأئمة الإثنا عشر (عليهم السلام)، الذين تتوفر فيهم هذه المواصفات الكريمة، دون أي إنسان سواهم.

إذن، فالأئمة الإثنا عشر (عليهم السلام) مع جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبيبته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، هم المحور والمركز، والقطب الذي يدور الكون حولهم ومن أجلهم، وتسعد الحياة بتعاليمهم، وكما أشرنا آنفاً: أن من له دور المركزية والمحورية بل الهدف والغائية في شيء، لابد وأن تظهر علائمه وملامحه في ذلك الشيء.

كذلك لابد وأن تظهر ملامحهم ومعالمهم (عليهم السلام) في هذا الكون الرحيب قبل ولادتهم واستهلالهم.

وهذه الملامح والعلامات، والتباشير والإشارات، إرهاصات تنبئُ وتخبر عن المستقبل، وحيث إن الإمام العاشر: الإمام أبا الحسن الثالث، علي بن محمد الهادي (عليه السلام) هو عاشر حلقة من الحلقات الإثني عشر، وله ما للباقين من دور وأثر، فلابد من وجود إرهاصات قبل ولادته واستهلاله (عليه السلام) ظهرت في الكون، تبشر بمستقبله المشرق الوضاء، وتخبر بمقدمه الميمون المبارك نشير إلى بعض منها بإذن الله تعالى وعونه إن شاء الله:

الله جل جلاله و أنوار المعصومين عليهم السلام

هناك في المعراج حيث يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا..﴾[1]، أطلع الله تبارك وتعالى نبيّه وحبيبه (صلى الله عليه وآله) على المقام الشامخ للأئمة المعصومين (عليهم السلام) بمن فيهم الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، وأراه أنوارهم القدسية وأخبره بمكانتهم وولايتهم على الملائكة والناس أجمعين وعلى الكون والحياة، فلنستمع معاً إلى الحوار التالي المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

النبي ـ يتحدث لأمير المؤمنين (عليه السلام) ويقول: لما أسري بي إلى السماء، أوحى إلي ربي جل جلاله فقال:

يا محمد، إني اطلعت إلى الأرض اطلاعاً، فاخترتك منها، فجعلتك نبياً، وشققت لك من اسمي اسماً.

فأنا المحمود، وأنت محمد.

ثم اطلعت الثانية، فاخترت منها علياً، وجعلته وصيك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريتك، وشققت له اسماً من أسمائي.

فأنا العلي الأعلى، وهو علي.

---

(١) سورة الإسراء: ١

وجعلت فاطمة، والحسن، والحسين من نوركما.

ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقربين.

يا محمد، لو أن عبداً عبدني، حتى ينقطع ويصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم، ما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد: أتحب أن تراهم؟

النبي: نعم يا ربي.

الله جل جلاله: ارفع رأسك.

النبي: رفعت رأسي، فإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي "وعلي بن محمد" والحسن بن علي، والحجة بن الحسن، القائم في وسطهم، كأنه كوكب دري، فقلت متسائلاً:

يا ربي! من هؤلاء؟

الله جل جلاله: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحلّ حلالي، ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين..[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٥٨ بتصرف. وتاريخ سامراء: ج٣ ص٤٥ نقلاً عن مناقب الخطيب الخوارزمي الحنفي موفق بن أحمد المكي، باختلاف يسير. وإرشاد القلوب للديلمي: ج٢ ص٤١٦ باختلاف قليل.

الفترة الطويلة قبل آدم

لقد كشف القرآن ـ عندما نزل قائلاً: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا"[١] ـ عن حقيقة تاريخية غامضة لم يعرفها البشر، وهو وجود فترة زمنية كبيرة، لم يكن للإنسان فيها عين ولا أثر.

غير أن القرآن الكريم، لم يحدد لنا هذه الفترة الزمنية الغابرة، بل ترك تحديدها إلى من نزل الوحي عليهم، والقرآن في بيوتهم، وهم النبي وأهل بيته المعصومون (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ولعلّه حيث إنهم (عليهم السلام) أُمروا أن لا يحمّلوا الناس فوق طاقاتهم، وأن يكلمّوهم على قدر عقولهم ومستواهم العلمي والثقافي، عبّروا ـ حسب مستوى السائل ـ عن هذه الفترة تارة بأربعين ألف عام، وأخرى بأربعة عشر ألف عام، وثالثة بسبعة آلاف عام، وهكذا.

علماً بأن في اختلاف التحديد نفسه، إشارة ودلالة على مدى عمق تلك الفترة الزمنية الغابرة، وطول توغّلها في الماضي البعيد، القابلة للتعبير عنها بصيغ مختلفة، وتحديدات متفاوتة.

كما أن المعصومين (عليهم السلام) قد استهدفوا من هذا الأسلوب الحكيم في البيان والتحديد، تنشيط العقول وإيقاظها، وتحريك الأفكار وهدايتها، نحو التطلع إلى التحقيق والتنقيب، عن أسرار الكون، وغوامض الحياة، حيث

---

(١) سورة الإنسان: ١.

إنهم (عليهم السلام) قد فتحوا نوافذ تلك التطلعات، وأبواب الاستشراف على الحقائق والوقائع التاريخية، والأسرار والغوامض الكونية، على البشرية، وعلّموهم أسلوب النقب، وطريقة التحقيق، واستنهضوهم بعد القرآن الكريم ـ القائل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾[1] ـ في هذا المجال الخطير، الذي يفتح على الإنسان آفاقاً واسعة، وعوامل شاسعة، تخرجه من ضيق التفكير، ومحدودية الأفق، والتقوقع النفسي، والانطواء الذاتي، إلى الانطلاق والانشراح، والرحابة والانفتاح..

وعلى أثر ذلك كله، جاءت التحديدات متفاوتة، فلنقرأ معاً بعض نصوصها:

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

أربعون ألف عام قبل آدم

يحدثنا الديلمي في إرشاده، عن حوار جرى بين الصحابي الجليل والمفسر الكبير: ابن عباس، وبين ابن مهروان، حيث سأله ابن مهروان قائلاً: أخبرنا يا ابن عباس عن تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[1] ماهو؟

ابن عباس ـ يتهيّأ للجواب ويقول ـ: نعم، إن هنا لقصة طريفة، فلقد كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم من الأيام، إذ أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلما رآه النبي المكرّم، تبسمّ في وجهه وقال:

مرحباً بمن خلقه الله تبارك وتعالى قبل كل شيء، ثم أردف قائلاً:

خلقني الله وعلياً، قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بأربعين ألف عام.

ابن عباس ـ وهنا قاطعت النبي (صلى الله عليه وآله) وقلت متعجباً ـ: يا رسول الله! كان الابن قبل الأب؟.

النبي (صلى الله عليه وآله): نعم، إن الله تبارك وتعالى خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم بهذه المدة، وخلق نوراً فقسمه نصفين، خلقني من نصف، وخلق علياً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور علي، ثم جعلنا عن يمين العرش.

---

(١) سورة الصافات: ١٦٥ و١٦٦.

ثم خلق الملائكة، فسبّحنا وسبّحت الملائكة، وهلّلنا وهللت الملائكة، وكبّرنا وكبّرت الملائكة، وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي (عليه السلام).

ابن عباس: ثم واصل النبي (صلى الله عليه وآله) كلامه في شيعة علي (عليه السلام) إلى ان قال في مدحهم:

فهم على بيّنة من ربهم، ومن نبيهم، ومن وصيّي، ووصيّي: علي بن أبي طالب، ومن ابنتي الزهراء، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم الأئمة من ولد الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

ابن عباس ـ وقد استبشرت باستبشار النبي المكرّم وقلت متسائلاً ـ:

يا رسول الله، كم هم؟.

النبي (صلى الله عليه وآله): أحد عشر، أبوهم علي بن أبي طالب.

ابن عباس: وهنا اختتم النبي (صلى الله عليه وآله) كلامه بقوله: الحمدلله الذي جعل محبة علي والإيمان سببين[1].

وهكذا قرن النبي (صلى الله عليه وآله) نور علي وفاطمة والأئمة الأحد عشر من ولد علي(عليهم السلام)، بمن فيهم الإمام العاشر أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، بنوره، وبشّر بهم قبل تواجدهم وولادتهم، وأخبر ضمن ذلك عن الفترة الزمنية الغابرة التي سبقوا بها أباهم آدم صفي الله، وعبّر عنها، بأنها كانت أربعين ألف عام.

---

(١) إرشاد القلوب، للديلمي: ج٢ ص٤٠٤، بتصرف.

وهناك تحديدات أخرى لهذه الفترة، جاءت في الأحاديث المنيفة والروايات الشريفة أيضاً، فلننظر كم يكون مقدارها.

خمسة عشر ألف عام قبل آدم

كانت عظمة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وجلالة قدرهم مملوسة ومحسوسة لدى من عاصرهم، مما أصبحت مثاراً للتساؤل عن أسرار تلك العظمة والجلالة.

فمثلاً: يروي لنا قبيصة بن يزيد الجعفي ـ أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ـ قائلاً:

دخلت على الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) وعنده جماعة من أصحابه، فسلّمت عليهم وجلست، ولما ان استقر بي المجلس، التفتّ إلى سيدي ومولاي الإمام الصادق (عليه السلام) وقلت:

يا ابن رسول الله: قد أتيتك مستفيداً فهل تسمح لي بالسؤال؟

الإمام الصادق (عليه السلام): سل عما بدا لك، ولكن أوجز في السؤال.

قبيصة: أخبرني يا ابن رسول الله: أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءاً مبنيّة، وأرضاً مدحيّة، وظلمة ونوراً؟

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ بعد نقاش لطيف حول السؤال يجيب قائلاً ـ:

كنا أشباح نور حول العرش، نسبّح الله، قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر

ألف عام.

فلما خلق الله آدم، فرّغنا في صلبه، فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم طاهر، حتى بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله).

فنحن يا قبيصة عروة الله الوثقى، من استمسك بنا نجا، ومن تخلّف عنا هوى، لا ندخله في باب ضلالة، ولا نخرجه من باب هدى..

قبيصة ـ يشكر الله على نعمة الولاية لأهل البيت(عليهم السلام) ويقول ـ: لوجه ربي الحمد[1].

نعم، قبل آدم صفي الله بمدة تبلغ خمسة عشر ألف عام، يخلق الله تعالى أنوار المعصومين وفيهم نور الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام).

كان هذا هو التحديد الثاني، فلننتقل بعده إلى التحديد الثالث بإذن الله تعالى.

---

(١) تاريخ السامراء: ج٣ ص٥، نقلاً عن بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢، بتصرف.

أربعة عشر ألف عام قبل آدم

كان الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) في أخلاقه الحميدة وسيرته الكريمة، كواحد من الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) إذا اجتمع بأصحابه أخذ معهم بأطراف الحديث، فإذا سألوا عن شيء أجابهم، وإن لم يسألوا ابتدأهم، فكان مما ابتدأهم به ذات مرة، أن قال لهم:

إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً، قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا.

أحد الصحابة ـ يتسائل عن هذه الأنوار ويقول ـ: يا ابن رسول الله! ومن الأربعة عشر؟

الإمام الصادق (عليه السلام) يجيبه قائلاً: هم: محمد، وعلي، وفاطمة، وحسن، وحسن، والأئمة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته، فيقتل الدجال، ويطهّر الأرض من كل جور وظلم[1].

وفي هذا الحديث ـ كما رأيت ـ يحدثنا الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)، بأن أنوار المعصومين الأربعة عشر ـ بما فيها نور الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) ـ قد خلقها الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق آدم صفوته، بل قبل ان يخلق الخلق ـ كما هو نص الحديث ـ بأربعة عشر ألف عام.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج٢ ص٣٣٥ ح٧، بتصرف.

هذا هو التحديد الثالث وهناك تحديد رابع لهذه الفترة ينقلها الينا انس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمعاً إلى التعرف على التحديد الرابع.

سبعة آلاف عام قبل آدم

حوار جميل كان يدور في حضور من النبي (صلى الله عليه وآله) بين أربعة من الصحابة وهم:

أنس بن مالك، أبوذر، سلمان، زيد ين أرقم.

أنس يقول: كنّا بهذه الحال، إذ دخل علينا الحسن والحسين (عليهما السلام)، فرحب بهما جدهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفتح باعه، وضمهما اليه، وأخذ يقبلهما..

عندها قام أبوذر وانكبّ عليهما وقبّل أيديهما، ثم رجع الينا، فاعترضنا عليه في عمله هذا، وأنّبناه به.

أبوذر ـ يبرّر موقفه بحديث طريف يرويه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقهما وحق أبيهما ويقول:

لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفعلتم لهما أكثر مما فَعلت، ثم يقوم وينصرف.

أنس: فلما قام أبوذر وخرج من عندنا، تقدمنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعرضنا عليه ماقاله أبوذر، وانتظرنا جوابه.

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ـ يصدّق أباذر، ويقول في حقه ـ: نعم، صدق والله أبوذر ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، ثم يردف قائلاً:

خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد، قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم (عليه السلام)، ثم نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطاهرين، وإلى أرحام الطاهرات.

أنس ـ قاطعنا كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) وتسائلنا متعجبين ـ: يا رسول الله: أين كنتم؟ وعلى أيّ مثال كنتم؟

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): كنا أشباحاً من نور، تحت العرش، نسبّح الله، ونقدسه ونمجّده.

ثم يواصل النبي (صلى الله عليه وآله) كلامه ويذكر المعراج وما رآه من المقام الشامخ لأهل بيته المعصومين(عليهم السلام)، وأن بولده المهدي يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً، ويشفي صدور قوم مؤمنين.

أنس ـ ازداد تعجبنا فقلنا ـ: بآبائنا وأمّهاتنا يارسول الله، لقد قلت عجباً.

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): وأعجب من هذا، أن قوماً يسمعون منّي هذا، ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله، ويؤذونني فيهم، مالهم، لا أنالهم الله شفاعتي[1].

---

(١) إرشاد القلوب، للديلمي: ج٢ ص٤١٥، بتصرف.

وهكذا عبّر رسول (صلى الله عليه وآله) عن نفسه وعن أهل بيته المعصومين: الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) ـ ومن بينهم الإمام الهمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ـ بانهم وحدة واحدة، ونور واحد، ذوو هدف واحد، ودور واحد، وان تعددت أجسامهم وأبدانهم، واختلفت أيامهم وطروفهم، وانهم قد خُلقوا قبل آدم بسبعة آلاف عام، يتنقّلون بأمر الله تعالى من أصلاب الطاهرين المؤمنين، إلى أرحام الطاهرات المؤمنات، لم تنجّسهم الجاهلية بانجاسها، ولم تلبسهم من مدلهمّات ثيابها.

هذا كما علمت يا قارئي الكريم التحديد الرّابع، ولنستمع إلى تحديد خامس يقدّمه لنا الراوي المعروف: داود بن كثير الرقي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، فمعاً إلى ذلك التقرير:

ألفا عام قبل آدم عليه السلام

مضى بعض الحديث ـ في التمهيدات تحت عنوان: الإمام الباقر (عليه السلام) يفسّر ـ حول الآية المباركة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾[1] وتأويلها في دور الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام).

والآن نستعرض تتمة للحديث ـ مما له صلة ببحثنا ـ ينقله الينا أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) والراوين عنه، يدعى باسم: داود بن كثير الرقي فلنستمع اليه وهو يقول:

دخلت على أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) بالمدينه، فرحّب بقدومي وتفقّدني قائلاً:

ما الذي أبطأ بك عنّا يا داود؟

داود: يا ابن رسول الله، حاجة عرضت لي بالكوفة عوّقتني عن التسرّع اليكم.

الإمام الصادق (عليه السلام): يسّر الله عليك أمرك يا داود.

ثم دار بينهما تساؤل وتلاطف، وتعاطف وتعارف، إلى ان قال داود:

---

(١) سورة التوبة: ٣٦.

فاستخرج أبو عبدالله (عليه السلام) رقّاً أبيض، ففضّه ودفعه إليَّ وقال:

يا داود: اقرأ ما فيه، واحفظه جيداً.

داود: أخذته بتلهّف، وقرأته بشوق كبير، فإذا فيه سطران:

السطر الأول: لا اله الا الله، محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)

السطر الثاني: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1]: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين، محمد بن علي، جعفر بن محمد، موسى بن جعفر، علي بن موسي، محمد بن علي، "علي بن محمد"، الحسن بن علي، الخلف الحجة.

عندها التفت اليَّ الإمام الصادق (عليه السلام) وقال:

يا داود: أتدري متي كتب هذا في هذا؟

داود ـ وهو يتطلع إلى معرفة ذلك شوقاً ويقول ـ: الله وسوله وأنتم أهل البيت أعلم.

الإمام الصادق (عليه السلام): نعم، انه قبل ان يخلق آدم بألفي عام[2].

وهكذا يحدّد الإمام الصادق (عليه السلام) تاريخ كتابة هذين السطرين في ذلك الرق الأبيض بما فيهما من تأويل الإثني عشر شهراً في الآية الكريمة بالأئمة

---

(١) سورة التوبة: ٣٦.

(٢) تفسير البرهان: ج٢ ص١٢٣ بتصرف، وغيبة النعماني: ص٤٢، وبحار الأنوار: ج٢٤ ص٢٤٣.

المعصومين (عليهم السلام).

ومعلوم أن عاشرهم هو الإمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

مع أن هذه الكتابة لعلها كتبت بعد أن خلق الله تعالى أنوار المعصومين (عليهم السلام) بمن فيهم الأئمة، بآلاف السنين.

وعليه: فلا منافاة بين هذا التحديد، والتحديدات الأخرى السابقة، إذ تلك التحديدات كانت بالنسبة إلى خلق الأنوار وخلق آدم، وهذا التحديد بالنسبة إلى الكتابة وخلق آدم.

هذا مضافاً إلى ما قلناه آنفاً من ملاحظة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) من يكلّمونه، وتنزيل كلامهم إلى مستوى مخاطبيهم الثقافي والفكري، وإلى معدل الردّ والقبول العملي والقولي لديهم.

كما ويهدفون منه اثارة العقول نحو التدبر والتحقيق لإكتشاف أسرار الكون، والتطلع على حقائقه وغوامصه.

كان هذا نزراً من النصوص الكثيرة، التي تشير إلى تحديد الفترة الزمنية الفاصلة بين خلق نور المعصومين (عليهم السلام) بمن فيهم نور الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) وبين خلق آدم أبي البشر، ننتقل بعدها إلى النصوص التي تشير إلى خلق أنوارهم (عليهم السلام) قبل آدم، بلا تحديد، فلنستمع معاً إلى نماذج منها:

قبل خلق الخلق

لقد برع في مجال الإيمان بالرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام)، بعد الإيمان بالله تعالى، رجالٌ ونساءٌ كثير، فاق بعضهم على بعض في درجاته، وخلد منهم في التاريخ بتفوّقه الكبير هذا رغم فناء الزمان.

ومن أولئك البارعين والخالدين، حبّابة الوالبية[1]، فلقد كانت قوية في إيمانها، وصلبة في عقيدتها بالله تعالى، صامدة في حبّها وولائها لأهل البيت (عليهم السلام)، حتى تأهلت لأن ترى منهم المعجزات الباهرات، ويطول عمرها كثيراً ببركة دعائهم (عليهم السلام) لها فتعيش خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى إمامة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وتتشرف بلقاء ثمانية من الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وتسألهم عن دليل إمامتهم ووصايتهم، وعن أسرار عظمتهم وولايتهم، وعلوّ قدرهم ومقامهم[2]، ومما سألت عنه الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام) هو الحديث التالي:

يقول الصحابي المعروف، والخلّ الوفي لأهل البيت (عليهم السلام): الثمالي، متحدثاً:

---

(١) للإطلاع الأكثر عن هذه المؤمنة، يراجع: كمال الدين وتمام النعمة: ج٢ ص٢٣٦ ـ ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٧٥ ـ ١٧٧ ح١.

كنت وجماعة عند الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام)، إذ دخلتْ عليه حبّابة الوالبية، وبعد أن أدلت بتحيتها، وردّ عليها الإمام (عليه السلام) التحية بالأحسن، قالت متسائلةً:

أخبرني يا ابن رسول الله، أيّ شيء كنتم في الأظلّة؟

الإمام الباقر (عليه السلام) ـ حيث يراها أهلاً للجواب، مع عظم سؤالها، يجيب قائلاً:

كنّا نوراً بين يدي الله تعالى، قبل خلق الخلق.

فلما خلق الخلق سبّحنا، فسبّحوا، وهلّلنا فهلّلوا، وكبّرنا وكبّروا[1].

هذا ويروي لنا الثمالي نفسه عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) حديثاً مشابهاً، أنه قال (عليه السلام):

إن الله عزوجل خلق محمداً وعلياً والأئمة الأحد عشر، من نور عظمته، أرواحاً في ضياء نوره، يعبدونه، قبل خلق الخلق، يسبّحون الله عز وجل ويقّدسونه، وهم الأئمة الهادية من آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)[2].

وكلا الحديثين يشير إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الإثني عشر ومن بينهم "الإمام الهادي أبو الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام)" الذي هو محط بحثنا، ومدار كلامنا، بانهم خُلقوا أنواراً قبل الخلق من دون تحديد.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٩ ح٧.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٩ ح٥.

آدم عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام

يحتلّ آدم (عليه السلام) من البشر، مقام الأساس من البنيان، والجذر من الشجر، فهو أبو البشر، وكل البشر أبناؤه، فآدم (عليه السلام) هو الوسيلة للتكاثر البشري، والسبب لإزدياده، كما نبّه عليه القرآن الكريم بقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء﴾[1].

بل هو الطريق المعِدّ، والقناة المؤدية إلى البحر الكبير، والمحيط الخضم، الذي هو الهدف والغاية، والعلة من إيجاد هذا الطريق، وإحداث هذه القناة.

والمعصومون الأربعة عشر (عليهم السلام)، هم ذلك البحر الكبير، والمحيط الهادر، والهدف والغاية، الذين من أجلهم خلق الله تعالى آدم والعالَم.

فآدم (عليه السلام) واسطة تكوينيّة، ووسيلة طبيعيّة، خلقه الله تعالى للتوصّل عبره إلى الهدف والمقصد، وهو تواجد المعصومين (عليهم السلام) واستهلالهم، وتوافدهم على كرة التراب، وأرض الطبيعة.

وطبيعي لوسيلة كريمة مثل آدم (عليه السلام) وهو يعقل ويدرك، أن يتعرّف على الهدف الذي من أجله خلقه الله تعالى وأوجده، وهم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) والحديث التالي يكشف لنا عن هذه الحقيقة، وينبؤنا عن كيفية

---

(١) سورة النساء: ١.

تعرّف آدم (عليه السلام) على المعصومين من ذريته (عليهم السلام):

يحدّثنا كتاب تاريخ سامراء عن فرائد السمطين للعلامة الحموي الشافعي عن أبي هريرة قائلاً:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما خلق الله تعالى آدم ابا البشر، ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرش، فإذا نور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً.

آدم يستغرب من هذا المنظر المثير للسؤال، فيسأل قائلاً:

يا رب! هل خلقت أحداً قبلي من طين؟.

الله تبارك وتعالى: لا يا آدم، أنت أول مخلوق خلقته من طين.

آدم ـ يطمئن من ذلك ويقول ـ:

يا رب! إذن فمن هؤلاء الخمسة الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟

الله تبارك وتعالى: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك.

يا آدم! هؤلاء خمسة، وقد شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنة، ولا النار، ولا العرش، ولا الكرسي، ولا السماء، ولا الأرض، ولا الملائكة، ولا الإنس ولا الجن.

يا آدم أنا المحمود وهذا محمد.

وأنا العالي وهذا علي.

وأنا الفاطر وهذه فاطمة.

وأنا الإحسان وهذا الحسن.

وأنا المحسن وهذا الحسين.

يا آدم: آليت بعزتي أن لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحدهم، إلا أدخلته ناري ولا أبالي.

يا آدم: هؤلاء صفوتي، بهم أُنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة، فبهؤلاء توسّل.

ثم التفت النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أصحابه وقال:

نحن سفينة النجاة، من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، ومن كان له إلى الله الحاجة، فليسأل بنا أهل البيت[1].

ومعلوم أن أهل البيت (عليهم السلام) يشمل الأئمة الإثني عشر بمن فيهم الإمام الهادي علي بن محمد(عليه السلام).

ثم إن هذا تصريح حول أن نور المعصومين (عليهم السلام) كان قد خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم، لكن من غير تحديد، ونقرأ بعده تصريح آخر، هو كما يلي:

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠ ح٩.

إبراهيم الخليل عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام

إبراهيم الخليل (عليه السلام) هو الجد الأقرب، والأب الأمثل للمسلمين، وخصوصاً المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) حيث أشار غير واحد منهم (عليهم السلام) إلى ذلك بقوله: "أنا ابن الذبيحين" يعني بهما: إسماعيل الذبيح ابن إبراهيم الخليل الذي جرى ذكره في القرآن الكريم[١] وعبد الله الذبيح ابن عبد المطلب الذي تحدث التاريخ عن قصته[٢].

ولقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى أيضاً وسمى إبراهيم الخليل أباً للمسلمين، وشريعته طريقة وملّة لهم، وتسميتهم بالمسلمين منحة ونحلة منه إليهم، وذلك بقوله تعالى: ﴿.. مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا..﴾[٣].

ولابد لمن هو كإبراهيم الخليل (عليه السلام) في القرب والإنتساب إلى المعصومين (عليهم السلام) بصورة خاصة، والأمة الإسلامية بصورة عامة، بحيث يأتي بالحنيفية البيضاء كقاعدة لدينهم، ويختار لهم اسم المسلمين، أن يكون على معرفة كاملة بهم، والحديث التالي ينصّ على هذا المعنى، ويشير إلى التعرّف الكامل

---

(١) سورة الصافات: ١٠٠ ـ ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ج١٥ ص٧٥ ـ ٩١، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص٢١٠.

(٣) سورة الحج: ٧٨.

لإبراهيم الخليل (عليه السلام) على المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) من ذريته.

يحدثنا أبو بصير عن جابر الجعفي أنه سأل من الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قائلاً:

يا ابن رسول الله، ما معنى قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾؟[1]

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ يبدأ بالجواب ويؤكّد على السائل بالانتباه الكامل ويقول:

إن الله سبحانه لما خلق إبراهيم، كشف له عن بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش، فتعجب وقال متسائلاً:

إلهي ما هذا النور؟

الله جل جلاله: هذا نور محمّد (صلى الله عليه وآله) صفوتي من خلقي.

ثم رأى نوراً إلى جنب ذلك النور، فتسائل ثانية:

إلهي وما هذا النور الآخَر؟.

الله جل جلاله: هذا نور علي بن أبي طالب (عليه السلام) ناصر ديني.

ثم رأى إلى جنبهم ثلاثة أنوار أخرى، فتسائل ثالثة:

إلهي وما هذه الأنوار الثلاثة؟

الله جل جلاله: هذا نور فاطمة، فطمت محبّيها من النار، ونور ولديها:

---

(١) سورة الصافات: ٨٣.

الحسن والحسين.

إبراهيم ـ وهو يرى تسعة أنوار قد حفّوا بهم فيقول ـ:

الهي وأرى تسعة أنوار قد حفّوا بهم، فما هذه يا رب؟

الله تبارك وتعالى: يا إبراهيم! هؤلاء الأئمة من ولد علي وفاطمة.

إبراهيم ـ يرى أنواراً كثيرة قد أحدقت بهم لا يحصى عددها فيتسائل ـ:

الهي وسيدي أرى أنواراً قد أحدقت بهم، لا يحصي عددهم إلا أنت، فما هي يارب؟

الله تبارك وتعالى: يا إبراهيم! هؤلاء شيعتهم: شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

إبراهيم ـ يشتاق اليهم والى معرفتهم، فيتسائل عن مواصفاتهم وعلائمهم ويقول ـ:

وبم نعرف شيعتَهُم يا رب؟

الله جل وعلا: بصلاة الإحدى والخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختم باليمين.

إبراهيم ـ يزداد شوقاً اليهم ويتمنّى ان يكون هو الآخر واحداً منهم فيدعوا الله ويقول ـ:

اللهم أجعلني من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام).

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ يردف قائلاً ـ: وما أن تمّ دعاء إبراهيم (عليه

السلام)، إلاّ واستجاب الله تعالى له دعاءه، وقبله واحداً منهم، ثم أخبر ذلك في كتابه فقال:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾[1].

فإبراهيم خليل الرحمان (عليه السلام) يتمنّى ويفتخر أن يكون واحداً من شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، بعد أن يتعرف عليهم وعلى مزاياهم وخصوصياتهم، التي بهرت حتى مثل إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وفي هذا ما هو كافٍ من التصريح في عظمتهم (عليهم السلام) وسبق نورهم على أبيهم إبراهيم وآدم، لكن بلا تحديد، فلنستمع بعده إلى تصريح آخر:

(١) بحار الأنوار: ج٨٥ ص٨٠، عن كتاب تأويل الآيات الباهرات، نقلاً من تفسير محمد بن العباس بن ماهيار، مسنداً عن أبي بصير، مع تصرف. وتفسير البرهان: ج٤ ص٢٠.

موسى الكليم عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام

أرايت كيف يبشّر المعلم طلّابه، والأستاذ تلامذته في الصفوف الإبتدائية، عندما يلمس ما يعانونه من صعوبة ومشقة حين يعلمهم الكتابة والقرائة والأوليات من العلوم والمعارف وهو يستشرف مستقبلهم الزاهر ويقول لهم: ان هذه مقدمات أولية، لمراتب علمية راقية، فإن لاقيتم في هذه المرحلة شيئاً من التعب والمشقة، فلا يحزنكم ذلك، فإنكم ستشعرون في المراحل الآتية، من الثانوية والجامعة براحة وغبطة، وانطلاق واسترسال، وهذا مما يخفّف وطئة التعليم على مشاعر الطلاب ويقوّى عزمهم على القبول، وتفتّحهم على المستقبل.

وزفّ مثل هذه البشائر دأب كل المعلّمين، مع طلابهم المبتدئين، وأسلوب جميع الأساتذة والعاملين على مستوى المقدمة، الممهدين للمستويات الراقية المترقبة، مع من يزاولون تعليمهم، ولا يمكن أن يتخلّى عن هذا العرف السائد والسيرة الحسنة، الأنبياء الكرام، الذين سبقوا نبينا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) من حيث الزمن، كالنبي موسى وعيسى، فإنهم الأساتذة العباقرة، والمعلمون الأوفياء للبشر، وشرائعهم كانت مرحلية حينية، تلائم التطور البشري المعاصر لهم، وليست الصيغة الأخيرة من التشريع، الملائم لآخر التطورات البشرية المتصورة ـ وان كان هناك أحد ممن هو في شكٍ من هذا، فليُراجع التشريع الإسلامي وبقية الأديان والشرائع، ويقارن بينهما، ليجد صحة هذه الدعوى ـ.

ولذلك فالأنبياء السلف، كانوا بتعاليمهم الإلهية، وشرائعهم السماوية تلك، يمهّدون الطريق للبشرية ويهيّئون الأرضية الصالحة لها، كمقدمة لرفع مستواها، وبشارة إلى توصلها وتقبّلها شريعة الإسلام الخالدة، الخاتمة لكل الشرايع السماوية، المهيمنة عليها، والمحتوية على آخر صيغة للتطور البشري، ونهاية قمته، الذي لا يتصور بعده مرقى، ولا فوقه من تطور، والحديث التالي يرمز إلى هذا المعنى ويشير إلى ما رآه موسى بن عمران في الطور:

يقول وهب بن منبه: إن موسى بن عمران نظر ليلة الخطاب إلى كل شجرة في الطور، وكل حجرونبات، وهو ينطق بذكر محمّد (صلى الله عليه وآله)، وإثني عشر وصياً له من بعده، فتعجب من ذلك وسأل ربه قائلاً:

إلهي: ما لي لا أرى شيئاً خلقته، الا وهو ناطق بذكر محمّد وأوصيائه الإثني عشر، فما منزلة هؤلاء عندك يا رب؟

الله جل جلاله: أعلم يا ابن عمران! إني خلقتهم قبل أن أخلق الأنوار، خلقتهم في خزانة قدسي، ترتع في رياض مشيّتي، وتتنسمّ من رَوح جبروتي، وتشاهد أقطار ملكوتي، حتى إذا شئت بمشيئتي انفذت قضائي وقدري.

يا ابن عمران! إني سبقت بهم السبّاق، حتى أزخرف بهم جناني.

يا ابن عمران! تمسك بذكرهم، فإنهم خزنة علمي، وعيبة حكمتي، ومعدن نوري[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٤٩.

الأئمة عليهم السلام في سفر التكوين

وجاء في سفر التكوين من التوراة، في الفصل الخامس والعشرين، الآية الإحدى والثلاثين تنصيصاً على الأئمة المعصومين الإثني عشر (عليهم السلام) بأسمائهم وهو كما يلي مفسراً بمعناه العربي:

١. بنايوت: علي (عليه السلام).

٢. قيدار: الحسن (عليه السلام).

٣. أرئيل: الحسين (عليه السلام).

٤. ميسام: علي (عليه السلام).

٥. ميشماع: محمد (عليه السلام).

٦. دوماه: جعفر (عليه السلام).

٧. مسا: موسى (عليه السلام)

٨. حدر: علي (عليه السلام).

٩. تيما: محمد (عليه السلام).

١٠. يطور: علي (عليه السلام)، أي الإمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

١١. نافيش: الحسن (عليه السلام).

١٢. قيدماه: المهدي (عليه السلام)[١].

وهكذا جاء اسمهم في التوراة وبشّر بهم النبي موسى الكليم، والزمه الله تعالى التمسك بهم وبذكرهم، مخبراً ايّاه بأنه قد خلقهم تعالى قبل خلق الأنوار، وأحلهم خزانة قدسه، وأشهدهم أقطار ملكه، فهذا أيضاً تصريح واضح ننتقل منه إلى تصريح آخر:

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٠.

الخضر عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام

يقص علينا القرآن الكريم، أروع القصص وأجملها، وأكثرها عطاءاً ومنحة، وأحسنها عظة وعبرة.

فمثلاً: يقص لنا قصة موسى الكليم، عندما أُمر بقطع المسافات الشاسعة، وتحمل أتعاب السفر، ومشاقّه الكثيرة، لينال شرف التلمّذ على النبي الكبير: "الخضر" الذي عناه القرآن الكريم بقوله:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[1].

ثم يواصل القرآن الكريم القصة عن النبي موسى والخضر فيقول:

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؟

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾؟

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾[2].

إلى آخر القصة، مما يدل على المقام العلمي الشامخ للخضر الذي أهّله لأن يكون معلّماً وأستاذاً لموسى الكليم.

---

(١) سورة الكهف: ٦٥.

(٢) سورة الكهف: ٦٦ ـ ٦٨

لكن الخضر هذا عندما يمنّ الله تعالى عليه بالعمر الطويل، ويلتقي بالأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام)، يتواضع إجلالاً لعظمتهم، ويخضع إحتراماً لقدرهم، ويذعن بأمر الله تعالى لهم، ويطلب شرف التلمّذ عليهم[١].

فهو في حين كان معلّماً لمثل النبي العظيم: موسى الكليم، وتشرف موسى بالتلمّذ عليه، يكون تلميذاً متواضعاً عند الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ويتشرف بالتلمّذ عليهم، وكم يا ترى في هذه القصة القرآنية البليغة، من دروس وعبر لقوم يؤمنون.

والحديث الذي سنذكره فيما يلي، يحدثنا عن الحوار الذي جرى بين التلميذ البار: خضر النبي، والأستاذ الوفي: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما ويخبرنا عن إعتراف الخضر وشهادته بإمامته (عليه السلام) وإمامة الأئمة من ذريته، والتصريح بأسمائهم واحداً بعد الآخر، مما يدل على انه كان قد تعرّف على أنوارهم (عليهم السلام) قبل ولادتهم ونشأتهم، واعتقد بهم وبعظمتهم كذلك، فمعاً إلى ذلك الحديث:

يحدثنا الشيخ الصدوق في كتابه، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال:

أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) ذات يوم، ومعه الحسن بن علي (عليه السلام)، وسلمان الفارسي "المحمّدي" (رضي الله عنه)، وأمير المؤمنين (عليه السلام) متكيء على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام، وإذا برجل حسن الهيئة واللباس، أقبل وقال:

---

(١) للتعرف على النبي خضر يراجع: كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق: ج٢ ص٣٨٥ ـ ٣٩٢.

السلام عليك يا أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين (عليه السلام) يجيب: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم يشير له بالجلوس.

الرجل ـ يجلس ثم يلتفت إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويقول:

يا أمير المؤمنين، جئت أسألك عن ثلاث مسائل، ان انت أخبرتني بها، علمت ان القوم قد ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم، بانهم ليسوا مأمونين في دينهم ولا في آخرتهم، وان لم تجبني عنها، علمت أنك وهم شرع سواء.

أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ يرمقه بنظره الأبوي الحنون ويقول ـ: نعم، سلني عما بدا لك.

الرجل ـ يتهيأ لطرح أسئلته، ثم يعدّدها قائلاً:

١: أخبرني عن الرجل إذا نام، أين تذهب روحه؟

٢: أخبرني عن الرجل، كيف يذكر وينسى؟

٣: أخبرني عن الرجل، كيف يشبه ولده الاعمام والأخوال؟

أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ يغتنم الموقف، ويحاول ان يجعل الجواب كالسؤال، حجة قائمة، ودليلاً مبيناً، لإثبات إمامتهم وولايتهم (عليهم السلام) التي فرضها الله تعالى على الأُمة الإسلامية.

لذلك يلتفت إلى ولده أبي محمد الحسن بن علي المجتبى (عليه السلام) ويقول له:

يا أبا محمد! أجِب الرجل.

أبو محمد: يجيب الرجل، ويحسن الجواب[1]، فيهتز الرجل سروراً وفرحاً، ويمتلئ إيماناً وغبطة ويقول:

أشهد أن لا إله إلا الله، ولم أزل أشهد بها.

وأشهد أن محمداً رسول الله، ولم أزل أشهد بذلك.

ثم أشار إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال:

وأشهد أنك وصي رسوله، والقائم بحجته، ولم أزل أشهد بها.

وبعدها التفت إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وأشار إليه قائلاً:

وأشهد أنك وصيّه، والقائم بحجّته بعده، ثم أردف وهو يخاطب الإمام المجتبى ويقول:

وأشهد ان الحسين بن علي وصي أبيك والقائم بحجته بعدك.

وأشهد على علي بن الحسين، إنه القائم بأمر الحسين بعده.

وأشهد على محمد بن علي، إنه القائم بأمر علي بن الحسين بعده.

وأشهد على جعفر بن محمد، إنه القائم بأمر محمد بن علي.

---

(١) يراجع الجواب في الصفحة ٦٦ ـ ٦٧ من عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١.

وأشهد على موسى بن جعفر، إنه القائم بأمر جعفر بن محمد.

وأشهد على علي بن موسى، إنه القائم بأمر موسى بن جعفر.

وأشهد على محمد بن علي، إنه القائم بأمر علي بن موسى.

وأشهد على "علي بن محمد" (وهو الإمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام))، إنه القائم بأمر محمد بن علي.

وأشهد على الحسن بن علي، إنه القائم بأمر علي بن محمد.

وأشهد على رجل من ولد الحسن بن علي (أي العسكري وهو المهدي (عليه السلام)) لا يكنّى ولا يسمّى حتى يظهر في الأرض أمره، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، أنه القائم بأمر الحسن بن علي.

وهنا أردف كلامه هذا بتحيات الوداع قائلاً:

والسلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله وبركاته، ثم قام ومضى.

أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ يجيب على تحياته، ثم يلتفت إلى ولده ويقول ـ:

يا أبا محمد! أتبع الرجل، فانظر أين يقصد.

أبو محمد: يمتثل أمر أبيه، فيخرج في أثر الرجل، لكن دون جدوى حيث لم ير له أثراً فيرجع إلى أبيه ويقول متعجباً:

يا أمير المؤمنين! ما كان من الرجل إلاّ أن وضع رجله خارجاً من المسجد، فما دريت أين أخذ من أرض الله عز وجل؟.

أمير المؤمنين (عليه السلام) ينهنه على ولده ويقول:

يا أبا محمد! لو عرفته لما تعجبت؟.

أبو محمد ـ يريد ان يسمع من لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) ويسمع الناس بذلك فيقول ـ: الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين أعلم.

أمير المؤمنين (عليه السلام): اعلم يا ولدي! أنه النبي خضر (عليه السلام)[١].

وهكذا يتم هذا التصريح..

لنقرأ معاً التصريح الذي بعده:

الأنبياء و نور أهل البيت عليهم السلام

القرآن هو الكتاب الإلهي الوحيد، الذي يكشف لنا عن الحقائق الكونية الثابتة، وأسرار الحياة الغامضة، والتي لم يكن ليتوصل اليها فكر بشر، ولا ليدركها عقل انسان، لولا ان يخبرنا القرآن بذلك.

فمثلاً: حينما يحدثنا القرآن عن رحلة النبي (صلى الله عليه وآله) الفضائية، وسفرته السماوية، وما التقى به هناك من عجائب وغرائب، ورأى فيها من آيات وعلامات، فانه بالإضافة إلى إثبات عظمة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) ومنزلته الكبيرة، ومقامه الشامخ عند الله، يثبت لنا قدرة الإنسان الهائلة والكبيرة على تسخير الكون، واستثمار الطبيعة، مما بعثت فيه روح الأمل، وفتحت عليه آفاقاً جديدة، إستطاع عبرها غزو الفضاء، والهبوط على سطح

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٦٥ ح٣٥، بتصرف.

القمر وغيره.

وفي اعتقادنا، ان هذا القرآن لو ترك تطبيقه وتفسيره إلى من نزل القرآن في بيتهم، من الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، كما أوكل الله تعالى ذلك اليهم ولم تبتز مناصبهم، وتغتصب حقوقهم، لارتقى الإنسان ـ ببدنه وجسمه، بعد أن يرتقي بنفسه وروحه إلى سماء الفضيلة والمكارم ـ في القرن الأول من ظهور الإسلام، ببركة تعاليمه، وحقائقه وواقعياته، إلى السماء، ولتعرّف على أسرارها وعظمتها، وما يدور ويجري فيها، ولنظّم رحلاته العلمية والاستكشافية، بل حتى سفراته السياحية والتنزهية، كما ينظّم اليوم سفرات مشابهة إلى البلدان النائية، والأقطار البعيدة، القابعة في أقاصي الكرة الأرضية. ونحن غير آيسين، بل نأمل بتحقيق هذا الحلم السعيد، في ظلال حكم الإمام المهدي (عليه السلام) العادل، وتطبيقه الكامل للقرآن، والشامل لكل أحكام الإسلام، وما ذلك اليوم ببعيد إن شاء الله.

ثم يحدّثنا القرآن الكريم، عن أسرار المعراج، ويشير إلى حدث هام منها، وهو التقاء النبي (صلى الله عليه وآله) بالأنبياء الذين سبقوه من حيث الزمان، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام). والتحدث معهم، ونقل الحوار الذي جرى بينه (صلى الله عليه وآله) وبينهم، بقوله تعالى:

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾[1].

---

(١) سورة الزخرف: ٤٥.

والحديث التالي، هو ما قصّه القرآن الكريم لنا وكشف الستار عنه:

يروي لنا الكراجكي في كتابه "كنز الفوائد" بإسناده عن جارود بن المنذر العبدي ـ وكان رجلاً قارئاً للكتب، عالماً بتأويلها على وجه الدهر، وسالف العصر، بصيراً بالفلسفة والطب، ذا رأي أصيل ووجه جميل ـ أنه قال:

وفدت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رجال من عبد القيس، ذوي أحلام وأسنان، وسماحة وبيان، وحجة وبرهان، فلما بصروا به (صلى الله عليه وآله)، راعهم منظره ومحضره، فصدّهم عن بيانهم، واعترتهم الرعشة في أبدانهم، فقال لي زعيم القوم:

دونك يا جارود: فما نستطيع ان نكلمّه.

جارود: تنازلت لطلبه، فاستقدمت دونهم اليه، فلما وقفت بين يديه (صلى الله عليه وآله) قلت:

السلام عليك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي.

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ وقد أقبل عليَّ بوجهه الكريم والنور يسطع منه وقال ـ: وعليك السلام يا جارود ورحمة الله وبركاته، أهلاً ومرحباً بك وبقومك.

جارود ـ أنتهزت الفرصة، وأنشأت أبياتاً بالمناسبة ومن جملتها ـ:

يا نبيّ الهدى أتتك رجالٌ ... لا تعدّ الكلال فيك كلالا

ثم لما رأتك أحسن مرأى ... أفحمت عنك هيبة وجلالا

فلك الحوض والشفاعة ... والفضل إذ ينصّ السؤالا

أنبـأ الأولـون باسمـك فينـا وبأسمـــاءٍ بعـــده تتتـــالا

الـنبي (صـلى الله عليـه وآلـه) ـ اسـتجاد الأبيـات واستحـسنها، وأخـذ يتفقّـدنا بقوله:

يا جارود، لقد تأخّر بك وبقومك الموعد؟.

جارود ـ أجبته قائلاً: يا رسول الله، إن قسّاً كـان ينتظرك وينتظر زمانك، ويهتف بإسمك، وأسماءٍ لست أصيبها معك، ولا أراها فيمن اتبعك، فهل تنبؤني يا رسول الله بأنباء هذه الأسماء، التي لم نشهدها وأشهدها القس؟

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ استقبل سؤالي هذا بحفاوة، وأجابني برحابة نفس وسعة صدر قائلاً:

نعم يا جارود، ليلة أُسري بي إلى السماء، أوحى الله عزوجل إليَّ ـ أي بعد أن صلى (صلى الله عليه وآله) بالأنبياء جماعة ـ: أن سل من أرسلنا قبلك من رسلنا: على ما بُعثتم؟

الرُسُل ـ أجابوني قائلين:

بُعثنا على نبّوتك، وولاية علي أبي طالب، والأئمة منكما.

ثم أوحى إليّ ربي: ان التفت إلى يمين العرش.

فالتفتّ، فإذا بي أرى:

علي بن أبي طالب (عليه السلام).

والحسن بن علي (عليه السلام).

والحسين بن علي (عليه السلام).

وعلي بن الحسين (عليه السلام).

ومحمد بن علي (عليه السلام).

وجعفر بن محمد (عليه السلام).

وموسى بن جعفر (عليه السلام).

وعلي بن موسى (عليه السلام).

ومحمد بن علي (عليه السلام).

و"علي بن محمد" (عليه السلام).

والحسن بن علي (عليه السلام).

والمهدي (عليه السلام)، في ضحضاح من نور.

النبي (صلى الله عليه وآله) يواصل حديثه ويقول: انبهَرتُ من هذا المنظر الفريد، وفكرت في نفسي وأنا أريد أن أسمع كلام ربي فيهم فتسائلت:

يا رب، من هؤلاء الأحد عشر؟

ومن هذا الثاني عشر الذي هو في ضحضاح من نور؟

الله جل جلاله: هؤلاء الحجج الأحد عشر: أوليائي، وهذا الثاني عشر: المنتقم من أعدائي[1].

وبهذا انتهى هذا التصريح، فلنقرأ معاً التصريح الذي بعده:

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٤٧ ح٣٣، بتصرف.

النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم و نور أهل البيت عليهم السلام

سلمان وما أدراك ما سلمان، إنه الرجل الأوحدي، الذي نال من درجات الإيمان أعلاها، ومن مراقي التقوى أرقاها، ومن كؤوس المحبة والولاء أزكاها وأصفاها.

إنه الرجل العظيم، الذي نال وسام الشرف، ونوط الكرامة، حينما قال في حقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ وقد تنازع فيه المهاجرون والأنصار في قضية حفر الخندق، وكل يدعّي سلماناً لنفسه، ويجرّه إلى جانبه، ويقول: سلمان منّا، فردّ عليهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بقوله:

«سلمان منا أهل البيت»[1].

نعم، إيمان سلمان الراسخ، وولاؤه الكبير لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام)، أهّله لينال هذا الوسام، كما أهّله ليكون مستودعاً أميناً للأسرار، ومخزناً حريزاً لعلوم أهل البيت (عليهم السلام).

والحديث التالي واحد من أحاديث السرّ، الذي أباحه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لسلمان، واتحفه به، وهو كما يلي:

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، مسنداً عن سلمان الخير، الفارسي

---

(١) نفس الرحمان في فضائل سلمان: ص٣٥.

"المحمّدي" أنه قال:

دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحيّيته بتحيّة الإسلام وقلت:

السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته.

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ حيّاني بأحسن منها وقال كما أمر الله تعالى[1] ـ:

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، أهلاً ومرحباً بك يا سلمان، ثم أشار اليّ بالجلوس على مقربة منه، وقال لي:

يا سلمان! ان الله عزوجل لم يبعث نبياً ولا رسولاً، الاّ جعل له إثني عشر نقيباً.

سلمان ـ أشرت برأسي مؤيّداً كلامه وقلت ـ "

نعم، يا رسول الله! قد عرفت هذا من الكتابين، ولعله يقصد بهما: التوراة والإنجيل.

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ يواصل حديثه ويقول ـ: يا سلمان! فهل علمت نقبائي الإثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟

سلمان ـ يجيب ـ: الله ورسوله أعلم.

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ يعلمه بذلك ويقول ـ:

يا سلمان! خلقني الله من صفاء نور عظمته، فدعاني فأطعته.

وخلق من نوري علياً، فدعاه إلى طاعته فأطاعه.

---

(١) سورة النساء: ٨٦ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

وخلق من نوري ونور علي، فاطمة، فدعاها فأطاعته.

وخلق مني ومن علي وفاطمة: الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه.

فسمّانا الله عزوجل بخمسة أسماء من أسمائه:

١: فالله المحمود، وأنا محمّد.

٢: والله العالي، وهذا عليّ

٣: والله فاطر، وهذه فاطمة.

٤: والله الإحسان، وهذا الحسن.

٥: والله المحسن، وهذا الحسين.

ثم خلق من نور الحسين، تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه، قبل ان يخلق سماءاً مبنية، وأرضاً مدحية، أو هواءً، أو ماءً، أو ملكاً، أو بشراً.

وكنا بعلمه أنواراً نسبحّه، ونسمع له ونطيعه.

سلمان ـ يستمع بدقة، وتظهر على قسمات وجهه علائم الإبتهاج والغبطة، فيبتدر متسائلاً ويقول ـ:

يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، ما لمن عرف هؤلاء، وأعترف بهم؟

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ يستحسن سؤاله فيجيبه قائلاً ـ:

يا سلمان! من عرفهم حقّ معرفتهم، واقتدى بهم، ووالى وليّهم، وتبرّأ من أعدائهم، فهو والله منا، يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن.

سلمان ـ يشعر بالفوز والسعادة، وهو يتلهّف، لمعرفة الأئمة التسعة من

ولد الحسين (عليهم السلام) فيسأل بشغف ـ :

يا رسول الله ! أيكون الإيمان بهم بغير معرفتهم ، ومعرفة أسمائهم ، وانسابهم؟

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ يردّ عليه بقوله :

لا ، يا سلمان ، وكيف يكون ذلك؟

سلمان ـ يزداد تلهفاً وعطشاً إلى التعرف عليهم (عليهم السلام) وعلى أسمائهم وأنسابهم ، فيسئل بشوق بالغ ويقول :

يا رسول الله ! أنّى لي بهم وبمعرفتهم؟

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ يلبّي طلبه ، ويجيب رغبته فيقول له ـ :

ياسلمان ! قد عرّفناهم لك إلى الحسين (عليه السلام).

ثم سيد العابدين : علي بن الحسين (عليه السلام).

ثم ابنه : محمد بن علي ، باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين.

ثم ابنه : جعفر بن محمد ، لسان الله الصادق.

ثم ابنه : موسى بن جعفر ، الكاظم غيظه صبراً في الله.

ثم علي بن موسى ، الرضا لأمر الله.

ثم محمد بن علي الجواد ، المختار من خلق الله.

ثم "علي بن محمد ، الهادي إلى الله".

ثم الحسن بن علي ، الصامت الأمين العسكري.

ثم ابنه: الحجة بن الحسن المهدي، الناطق القائم بأمر الله تعالى.."[١].

سلمان: يقرّ بإمامة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) ويحمد الله على ذلك ويقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وهكذا انتهينا من هذا التصريح، لنكون في رحاب التصريح الآتي بإذن الله تعالى.

على ساق العرش

أرأيت ان لكل ملك من الملوك، وحاكم من الحكام، ورئيس من الرؤساء، عرشاً، وكرسياً، ومنصة، يدعى بعرش الملك، وكرسي الحاكم، ومنصّة الرئيس، وهذا العرش والكرسي والمنصة، ليس أكثر من رمز يرمز إلى الملوكية، والحكومة، والرئاسة، ويشير إلى مقام السلطنة والسيطرة، والهيمنة على البلاد والعباد.

وطبيعي ان يكون هذا الرمز المتمثل في العرش، أو الكرسي، أو المنصة، مناسباً لعظمة الملك والحاكم والرئيس، فكلما كان سلطة الملك، وسيطرة الحاكم، وهيمنة الرئيس أكبر وأوسع، كان هذا الرمز أعظم وأهيب، أما سمعت حديث بساط سليمان بن داود (على نبينا وآله وعليهما السلام) ووصف عرش بلقيس ملكة سبا؟[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٦ عن كتاب المحتضر: ص١٣١، بتصرف.

(٢) تفسير الكشاف: ج٣ ص٣٥٣ ـ ٣٧٠.

وعليه: فالعرش والكرسي والمنصة، بكل ما جاء له من معنى في العرف واللغة، أو في التفاسير والروايات، فانه يمكننا تلخيصه في العرش الإلهي وكرسيّه، بما يرمز إلى الهيمنة والسيطرة، وما يشير إلى السلطة والولاية[1].

ومعلوم أن الله الذي خلق الكون والحياة، والسماء والأرض، أن يكون له وحده، دون أحد سواه، الهيمنة الشاملة، والسلطة المطلقة، والسيطرة الكاملة على الكون وما فيه، وعلى السماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن، وهو رب العرش العظيم، فعرشه بهذا المعنى أعظم عرش، وكرسيّه أكبر كرسي، كما وصفه تعالى بقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[2].

ثم إن في عرفنا أن يكون للعرش والكرسي دعائم وأعمدة، يستقرّ عليها، ويرتفع فوقها، ويقوم بها، فتكون هي المقوّمة لارتفاع الكرسي، واستقرار العرش واستقامته، فتكون فيه بمنزلة الساق من الإنسان.

والعرش الإلهي العظيم، وكرسيّه الرفيع، المنزّل في فهمنا له ـ على عرفنا السائد ـ لا يتخطّى عن ذلك، فله دعامة وساق يتقوم به، ويستقر عليه، وقد ارتسم عليه، وانتقش فيه كما أخبرنا نبينا الصادق الأمين، أسماء من لهم دور الهدف والغائية من خلق الكون والحياة، وأثر المحور والمركزية من إيجاد الإنسان

---

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٣ ص١٤ يقول: (الكرسي كناية عن السلطة والملكية)، ويقول في ج١١ ص١٢: (فقد كان سلطانه سبحانه وتصرفه، وهو المتبادر من العرش).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

والكائنات.

والحديث الذي نتطرق بعد أسطر لذكره، هو ما يشير إلى هذا المعنى، ويعرفنا بأن الأسماء المكتوبة على ساق العرش هي أسماء الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) فمعاً إلى ذلك الحديث:

روى لنا الخزاز في كتابه المعروف: كفاية الأثر، بإسناده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال:

دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً، وهو في بيت أم سلمة، وقد نزلَتْ عليه هذا الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

فسلّمتُ عليه وحييته بقولي:

السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته.

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ أجابني على تحيّتي، وحيّاني بأحسن منها قائلاً:

وعليك السلام يا أبا الحسن ورحمة الله وبركاته، وأهلاً ومرحباً بك يا علي، ثم قرّبني إليه وأجلسني عنده، وابتدرني قائلاً:

يا علي! أتدري فيمن نزلت هذه الآية؟

الإمام (عليه السلام) ـ يشتاق إلى أن يسمع ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول: الله ورسوله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

النبي (صلى الله عليه وآله): يا علي! لقد نزلت هذه الآية فيك، وفي سبطيّ، والأئمة من ولدك.

الإمام (عليه السلام) ـ يحمد الله على ما تفضل به عليه، ويقول متسائلاً ـ:

يا رسول الله! وكم الأئمة بعدك؟

النبي (صلى الله عليه وآله): أنت يا علي، ثم ابناك الحسن والحسين.

وبعد الحسين، ابنه: علي.

وبعد علي، ابنه: محمد.

وبعد محمد، ابنه: جعفر.

وبعد جعفر، ابنه: موسى.

وبعد موسى، ابنه: علي.

وبعد علي، ابنه: محمّد.

وبعد محمد، ابنه: علي (وهو الإمام الهادي أبو الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام).

وبعد "علي"، ابنه: الحسن

وبعد الحسن، ابنه: الحجة من ولد الحسين.

ثم أردف رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلاً:

هكذا وجدت أسماءهم مكتوبة على ساق العرش، فسألت الله عزوجلّ عن ذلك وقلت:

يا رب! وما هذه الأسماء المكتوبة على ساق العرش؟.

الله جل جلاله: يا محمد! هم الأئمة بعدك، مطهّرون معصومون، وأعداؤهم ملعونون[1].

نعم، إنهم معصومون مطهّرون، أبرار أخيار، علماء حكماء، وكيف لا، وهم صفوة الله من خلقه، وخيرته من عباده، ونخبته من بريّته، أسماؤهم مباركة، وأنفسهم كريمة، وكلامهم نور، وقولهم حكمة، ورأيهم صواب، وفعلهم الخير، وعادتهم الإحسان، وسجيتهم الكرم..

وخلاصة القول: انهم قد خصّهم الله تعالى، بكل الصفات الكريمة، والسجايا الحميدة، وأهّلهم للخلافة في أرضه، والإمامة في عباده، والسياسة في بلاده..

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٧٥ ح٥٨، نقلاً عن كتاب كفاية الأثر، وتفسير البرهان: ج٣ ص٣١٠.

ولم ينضب المعين

ثم إن البحث في مجال الإرهاصات قبل ولادتهم (عليهم السلام)، بل وقبل خلق الخلق والكون، طويل وغزير والروايات فيها قوية وكثيرة، اقتصرنا منها على ما مضى من أربعة عشر عنواناً على عدد المعصومين الأربعة عشر (عليه السلام) تيمّناً وتبرّكاً، وآية وحجّة، ومن أراد الزيادة، فليراجع الجزء الخامس من كتاب "الكلمة التامة" للعلامة الشيخ ذبيح الله المحلاتي، و"عبقات الأنوار" للعلامة الحافظ مير حامد حسين الهندي، حيث أفرد مجلداً كبيراً من مجلدات عبقاته لجمع طرق حديث النور.

وهنا نعود لنكرر ما قاله الإمام الهادي أبو الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) في الزيارة الجامعة، وهو يشرح مقام الأئمة عند الله، وعلوّ منزلتهم لديه، ويبيّن حقيقتهم وواقعيتهم، وولايتهم التكوينية، التي منحها الله تعالى اياهم قبل ان يخلق الخلق، ونختم به الفصل الأول من هذا الكتاب، فصل الإرهاصات قبل الولادة.

قال (عليه السلام) في وصفهم ـ وهو يعلّم السائل كيف يخاطبهم عندما يتشرف إلى زيارتهم، تلبية له ـ:

"وَأَنّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ وَطَهُرَتْ، بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.

"خَلَقَكُمُ اللهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ.

"حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ.

"وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنَا، وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا، وَتَزْكِيَةً لَنَا، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا.

"فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ، وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ.

"فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ.

"حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ، وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ.."

إلى آخر الزيارة المعروفة بـ "زيارة الجامعة الكبيرة".

ولنعم ما قال فيهم مادح أهل البيت: صالح بن العرندس في قصيدته الرائية، والتي منها:

هم النور، نور الله جل جلاله ... هم التين والزيتون والشفع والوتر

مهابط وحي الله خزّان علمه ... مياميين في أبياتهم نزل الذِكر

ولولا هم لم يخلق الله آدماً ... ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو

ولا سُطحت أرض ولا رُفعت سما ... ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر

وأسماؤهم مكتوبة فوق عرشه ... ومكنونة من قبل أن يخلق الذرّ[1]

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٦.

الفصل الثاني

على أعتاب الولادة و الحوادث التي تلتها

على أعتاب الولادة

أهل البيت المعصومون (عليهم السلام) ـ كما اتضح فيما سبق ـ هم الصفوة والخيرة، والغاية والهدف، الذين من أجلهم خلق الله تعالى ما خلق من الكون والحياة، ولذلك كانت ولادتهم (عليهم السلام) كبقية شئونهم، متميّزة عن سائر الناس، بميزات ظاهرة وباهرة، ومتفّوقة عليهم بسمات واضحة وفاخرة، تناسب شأنهم وعلوّ مقامهم، من العصمة والطهارة، وتلائم قداستهم وكرامتهم من الجلال والكمال.

سؤال يخطر في الفكر

وهنا سؤال يخطر في الفكر ويعرض نفسه بإلحاح ليقول:

هذا التمييز والتفضيل المشار إليه لماذا؟

ألم يكن ذلك تبعيضاً في الخلق، والتبعيض بغيض، لا يتلائم مع العدل والفطرة، ولا ينسجم مع ما أنزل الله تعالى من الشرايع والأديان، ولا مع ما أمر به الأنبياء والأولياء؟

والجواب: صحيح أن التبعيض بغيض، يستنكره الطبع والعقل، لكن هذا التمييز والتفضيل ـ بعد ما عرفنا من أنهم الغاية والهدف، ومن أنهم المؤهّلون والأكفاء ـ ليس من التبعيض في شيء، بل هو ما تقتضيه التركيبة الاجتماعية،

ليس للبشرية فحسب، بل لكل مخلوق وموجود، هو مركّب من أجزاء وأفراد، بدءاً بالإنسان نفسه، وإلى آخر ما يتصور تركيبه، من الذرة إلى المنظومة الشمسية.

فلو كان التركيب الجسمي للإنسان، كله على نسق واحد وكيفية واحدة، بلا ان يكون فيه عضو شريف كالقلب وأوردته، ولا جزء لطيف كالمخّ وأعصابه، ولا حاسّة كريمة كالعين وشبكيّتها، ولا إلى غير ذلك من الأعصاب الدقيقة، والحواسّ اللطيفة، لما كان الجسم بعد ذلك جسم إنسان، بل كان شيئاً آخر، وموجوداً ثانٍ.

وكذا لو لم تكن في المنظومة الشمسية جرم منير وكوكب ناري عظيم باسم الشمس، ينظّم سير باقي الكواكب في المنظومة، وينسق مجاريها الطبيعية، لتغيرت المنظومة عما هي عليه، ولأصبحت شيئاً آخر، لا تُدعى بعد ذلك بالمنظومة الشمسية.

وهكذا الذرة لو فقدت مركزها، ولم يكن لها ذلك الجزء اللطيف، المعبّر عنه "بالبروتون والنوترون" ـ الجزء الصغير وزناً وحجماً بحيث لا يرى إلا بالعين المسلّحة، والكبير أثراً ودوراً بحيث يشكّل النقطة المركزية للذرة، ويحافظ على شكلها وتركيبها ـ فلو لا ذلك أيضاً، لأصبحت الذرة لا تسمى ذرة، بل تغيرت عن كل شيء حتى عن اسمها.

كذلك التركيبة البشرية، والحياة الإنسانية، لو لم يكن فيها المعصومون

الأربعة عشر (عليهم السلام)، لفقدت هيئتها وتركيبتها، ولإنسلخت عن كرامتها وإنسانيتها، ولأصبحت شيئاً آخر، أقل ما يتصور فيها، ان لا تذكر بعدها في قاموس الأحياء الناطقة، وملفات ذوي الشعور والإدراك العاقلة.

وجمال في الصنع

مضافاً إلى أن هذا التمييز والتفضيل هو: جمال في الصنع، وإبداع في الخلقة، واتقان في الكائنات، وتنسيق للحياة، وتنظيم للأمور، وتكييف للطبيعة.

فلو كانت المخلوقات كلها على نسق واحد، وكيفية واحدة، لكان الكون متعباً مملاً، لا جمال فيه ولا روعة، ولا بهاء ولا نضارة، وكذا لو كان الناس كلهم على نمط واحد، بلا تفاوت في الروح والجسم، ولا اختلاف في الآراء والأفكار، لكانت الحياة البشرية حياة صعبة وعسرة، تافهة وكئيبة، لا خير فيها ولا رجاء، ولا أمل ولا هناء، ولكانت حياة دارجة ورتيبة، لا يعرف فيها الخّير من الشرّير، ولا الصالح من الطالح، ولا البرّ من الفاجر، ولا الكريم من اللئيم.

وعليه: فالتمييز والتفضيل للمعصومين (عليهم السلام) ليس تبعيضاً، بل هو أمر طبيعي للتركيب البشري، وقضية حتمية للصيغة الإنسانية.

نعم، ولادتهم (عليه السلام) كسائر حالاتهم، لابد وان تكون متميّزة

متفوّقة بقدرها، مناسبة ملائمة لعظمتها، متسانخة متجانسة مع أرواحهم الطاهرة، وأنوارهم الزاهرة، التي خلقها الله تعالى، قبل خلق عرشه[١] وقبل خلق الخلق وآدم أبي البشر، بآلاف مؤلفة، كما عبّر عنها في الأحاديث الشريفة، وحدّد زمانها في بعض: بألفي ألف عام[٢] وفي أخرى: بألف ألف عام[٣] وفي ثالثة: بأربعمائة وأربعة وعشرين ألف عام[٤]، وفي رابعة: بأربعين ألف عام[٥] وفي خامسة: بخمسة عشر ألف عام[٦] وهكذا.. مما يدل على أنهم ـ كما قال الإمام الباقر محمّد بن علي (عليه السلام) ـ: أول خلق الله تعالى، وهم أول من عبَدَ الله وسبّحه، وأنهم سبب الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين[٧].

فأرواحهم الطيبة، وأنوارهم المقدسة، ينبغي لها أبداناً طاهرة وأجساداً زاكية، عجنت من طينة طيّبة، وماء عذب زلال، كما أشار إليه الإمام الباقر (عليه السلام)[٨]، وتأهلت لأن تحتوي على تلك الأرواح المباركة، والأنوار الطاهرة،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢١ ح٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١ ح٢.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٥ ح٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٤ ح ٤٣، وبحار الأنوار: ج٥٧ ص١٧٥ ح١٣٣.

(٥) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٤ ح٤٢.

(٦) بحار الأنوار: ج٥٧ ص١٦٨ ح١٠٨، عن تفسير فرات الكوفي: ص٢٠٧.

(٧) بحار الأنوار: ج٥٧ ص١٦٩ ح١١٢.

(٨) بحار الأنوار: ج٥٧ ص٧٦ ح٥١، عن علل الشرايع: ج٢ ص٢٩٥.

وأن تضمّها بين حناياها.

وهذا من الأشياء البديهية والواضحة لدى كل إنسان ؛ من أنه لابد من وجود التناسب والسنخية بين الظرف والمظروف، وبين الجسم والروح.

فكما أن جهاز المذياع: الراديو مثلاً ـ ولا مناقشة في الأمثال ـ، هو الذي يمكنه أن يحتوي على الأمواج الصوتية المنتشرة في الفضاء، ويبثّها فقط، ولا يليق بإلتقاط الصور أيضاً وعرضها، كما في التلفزيون، كذلك لابد للبدن الذي يحتوي على أرواح المعصومين (عليهم السلام)، والجسد الذي يحتضن أنوارهم القدسية، من بين الناس، ان يكون متميّزاً على غيره من سائر الناس غير المعصومين، ومتفوّقاً عليهم في كل شئونه، من قبل تشكيل النطفة، إلى ما بعد الحشر والنشر.

والخليفة من السنة المطهرة

وهذا المعنى: السنخية بين الظرف والمظروف، والبدن والروح، كما إتضح بالمثال المزبور، المقبول عرفاً وعقلاً، كذلك يدلّنا عليه، ما تواتر به الخبر، وتظافرت عليه الروايات والأحاديث الشريفة من الخاصة والعامة[1]، المشيرة إلى أن الرسول الكريم وأهل بيته الكرام ثم المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)

(١) يراجع: بحار الأنوار: ج٢٥ الباب١.٢.٣ و: ج٥٧ ص٢١٢ ح١٨٣، نقلاً عن مروج الذهب، للمسعودي: ج١ ص١٧.

هم المتفوّقون على كل البشر بإذن الله تعالى، والممتازون من بينهم بإرادته، فقد شاء الله ان يجعلهم كذلك، ليكونوا خلفاءه في أرضه يمثّلون رحمته ولطفه، وينشرون عدله وقسطه، وآية من آياته الباهرة تدل على أنه جل شأنه قادر على ان يخلق من البشر إنساناً يضم بين جوانحه كل ما في كلمة الإنسان من معنى وجمال، وبهاء وكمال، حتى يفوق العالمين، ويعلو الملائكة المقربين، ويتأهّل لأن يكون خليفة الله، وحجته، وإمام الناس وقائدهم إلى كل خير وبر، وفضيلة ومكرمة[1].

والإمام الهادي أبو الحسن الثالث علي بن محمّد (عليه السلام) هو عاشر أئمة أهل البيت وثاني عشر المعصومين (عليهم السلام)، ويثبت له كل ما يثبت لهم من الامتيازات العامة في مجال الولادة، كما ينفرد بمميّزات خاصة، نشير بإذن الله تعالى إلى كل منهما بإيجاز:

(١) بحار الأنوار: ج٥٧ ص١٧٠ ح١١٦.

الميزات العامة

طينة أهل البيت عليهم السلام

يروي لنا الشيخ الصدوق في كتابه المعروف بعلل الشرايع، عن أبي إسحاق، إبراهيم الليثي أنه قال:

قال لي أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يوماً وقد كثر قول الناس في كيفية بدأ الخلق واضطربوا فيه:

"يا ابراهيم! ان الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء...ثم استدل (عليه السلام) بكفر من زعم ان الله تعالى خلق الأشياء من شيء قائلاً: ومن زعم ان الله عزوجل خلق الأشياء من شيء فقد كفر، لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً معه في أزليّته وهويّته كان ذلك الشيء أزلياً، بل خلق الله عزوجل الأشياء كلها لا من شيء...

ثم أردف بعدها قائلاً: فكان مما خلق الله عزوجل؛ أرضاً طيبة، ثم فجّر منها ماءاً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام، حتى طبّقها وعمّها، ثم نضب ذلك الماء عنها.

فأخذ من صفوة ذلك الطين، فجعله طين الأئمة (عليهم السلام)، ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا..."[١].

الطينة الطيبة

ويحدثنا كتاب "بصائر الدرجات": مسنداً عن الإمامين الهمامين: أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (عليهما السلام)، أنهما قالا:

"إن الله خلق محمداً (صلى الله عليه وآله) من طينة من جوهرة تحت العرش.

وإنه كان لطينته نضج، فجعل طينة أمير المؤمنين (عليه السلام) من نضج طينة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكان لطينة أمير المؤمنين (عليه السلام) نضج، فجعل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين (عليه السلام).

وكان لطينتنا نضج فجبل طينة شيعتنا من نضج طينتنا، فقلوبهم تحنّ الينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) لنا خير ونحن له خير"[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٤ ص٧٦ ح٥١، عن علل الشرايع: ج٢ ص٢٩٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٨ ح١١، عن بصائر الدرجات: ص٥.

من طينة العرش

ويحدثنا عبد الرحمن بن كثير ـ كما في كتاب بصائر الدرجات ـ عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال: "إن الله خلق محمداً وعترته من طينة العرش، فلا ينقص منهم واحد، ولا يزيد منهم واحد"[١].

الطينة المباركة

ويقول محمد بن مروان: سمعت أبا عبدالله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول:

"خلقنا الله من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه.

فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً.

وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا (أي من فاضل طينة أبداننا)، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة، ولم يجعل الله لاحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلاّ الأنبياء والمرسلين..."[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٢ ح٢١، عن بصائر الدرجات: ص٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص ١٣ ح٢٦، عن بصائر الدرجات: ص٧.

من مؤهلات أهل البيت عليهم السلام

يحدثنا كتاب "بصائر الدرجات" عن الحسن بن جهم أنه قال:

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح:

١: روح البدن.

٢: وروح القدس.

٣: وروح القوة.

٤: وروح الشهوة.

٥: وروح الإيمان.

وفي المؤمنين أربعة أرواح، أفقدها روح القدس:

١: روح البدن.

٢: وروح القوة.

٣: وروح الشهوة.

٤: وروح الإيمان.

وفي الكفار ثلاثة أرواح:

١: روح البدن.

٢: وروح القوة.

٣: وروح الشهوة.

ثم أردف (عليه السلام) قائلاً: إن روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فإذا عمل بكبيرة فارقه الروح، وروح القدس من سكن فيه، فإنه لا يعمل بكبيرة أبداً"[1].

وروح القدس هذا هو الروح الذي من حلّ فيه كان له بمنزلة النور الكاشف، الذي يريه الأشياء على حقائقها وواقعياتها، وكان كالعلم الذي يكشف المعلوم لدى صاحبه على ما هو عليه، أرأيت لو حملت معك سراجاً يريك ما في القدح من هوام وحشرات كيف تبتعد منه؟ أم كيف تقترب من إناء علمت بوقوع السم فيه؟ فكذلك يكون روح القدس في المعصومين (عليهم السلام) بالنسبة إلى الذنوب والخطايا والنقائص والعيوب.

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٥٤ ح١٤، عن بصائر الدرجات: ص١٣٢.

من خصائص أهل البيت عليهم السلام

يروي لنا الصحابي المعروف، تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) في الإلهيّات : المفضل بن عمر ـ صاحب كتاب "توحيد المفضل" ـ قائلاً :

"سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن علم الإمام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته، مرخىً عليه ستره؟ وأنه كيف يتم ذلك؟

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ يحبّذ تلميذه على سؤاله هذا، ويلتفت إليه مجيباً ويقول ـ :

يا مفضل ! إن الله تبارك وتعالى، جعل للنبي (صلى الله عليه وآله) خمسة أرواح :

١ : روح الحياة، فبه دبّ ودرج.

٢ : وروح القوة، فبه نهض وجاهد.

٣ : وروح الشهوة، فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال.

٤ : وروح الإيمان، فبه أمر وعدل.

٥ : وروح القدس، فبه حمل النبوة.

الإمام (عليه السلام) يواصل حديثه قائلاً :

ولما قُبض النبي (صلى الله عليه وآله) انتقل روح القدس، فصار في الإمام والوصي من بعده.

ثم يقول (عليه السلام): واعلم يا مفضّل أن روح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام و تلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها.

المفضل ـ وهو يسأل سؤالاً أدق من سؤاله الأول ويقول ـ:

يا ابن رسول الله جعلت فداك، هل يستطيع الإمام والوصي ـ وهو بالمدينة ـ ان يتناول بيده ما ببغداد مثلاً؟.

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ يأخذ في جوابه إلى أقصى ما يمكن السؤال عنه، ونهاية ما يتوصل اليه فكر تلميذه الذكي فيقول ـ:

نعم يا مفضل ! وما دون العرش"[1].

ومن هذا يتضح، ان روح القدس ليس هو لصاحبه بمنزلة النور الكاشف عن حقائق الأشياء فحسب، وانما هو فوق ذلك، حيث يكون لصاحبه بمنزلة الرادار يريه ما في شرق الأرض وغربها، وما يجري في برها وبحرها، ولم يقف عند هذا الحد، بل يجعل لصاحبه القدرة الغيبية والولاية التكوينية، في التصرف في الأشياء على مدى سعة الكون ورحابته، حيث به يستطيع أن يتناول ما دون العرش[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٥٨ ح٢٥، عن بصائر الدرجات: ص١٣٤.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٦٤ ـ ٣٨٦ باب غرائب أفعالهم وأحوالهم (عليهم السلام).

من مميزات أهل البيت عليهم السلام

يحدثنا جابر ـ كما في البصائر الدرجات ـ عن الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام) أنه قال:

إن الله خلق الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) على خمسة أرواح:

١: روح الإيمان.

٢: روح الحياة.

٣: روح القوة.

٤: روح الشهوة.

٥: روح القدس.

ثم يواصل (عليه السلام) كلامه قائلاً:

وروح القدس من الله، وسائر هذه الأرواح يصيبها الحدثان.

وروح القدس لا يهلو، ولا يتغير، ولا يلعب.

وبروح القدس علموا ـ يا جابر ـ ما دون العرش إلى ما تحت الثرى[1].

وهكذا يمتاز المعصومون (عليهم السلام) على غيرهم من الناس بما خصّهم الله تعالى به، من روح القدس، الروح الذي استطاع به النبي (صلى الله عليه وآله) أن يعرج إلى السماء ـ بعد رقيّه في سماء المكارم والفضائل ـ ويتجاوز به الحجب،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٥٨ ح٢٦، عن بصائر الدرجات: ص١٣٤.

ويصل إلى ما لا يمكن لمثل الملك المقرّب جبرائيل (عليه السلام) ان يصل إليه، فيعتذر للنبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: "ولو دنوت أنملة لاحترقت"[١].

وبه استطاع ان يسموا الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إلى ما فوق درجة الملائكة المقربين، حتى افتخرت ملائكة الله المقرّبون بخدمتهم، واقرت لفضلهم، وأذعنت بتفوّقهم، وسجدت لأبيهم آدم تعظيماً لهم[٢].

وبه استطاعوا أن يحيطوا بكل الفضائل، ويحووا كل خُلق إنساني كريم، فلذلك لا ترى لهم شائنة ولا عائبة، ولا منقصة ولا مثلبة، ولا سهو ولا غفلة، ولا خطأة ولا اشتباه، يحذون حذو الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى أصبحوا من بعده قدوة لكل خير، وأسوة لكل بر، ومثالاً لكل مكرمة، وتجسيداً لكل فضيلة..

ومن لم ير للمعصومين (عليهم السلام) هذا الذي خصّهم الله تعالى به، فقد غمط حقهم، وتجاهل قدرهم، واستحق ـ ليس نقلاً فقط بل عقلاً أيضاً ـ التوبيخ والتأنيب، واللوم والعتاب، وهذا ما سيحدثنا به الراوي الشهير إسحاق بن عمار الفطحي المذهب الذي كان لا يرى لهم (عليهم السلام) كامل ما خصّهم الله تعالى به، فلذلك وقع موقع العتاب والتأنيب منهم (عليهم السلام)، فلنستمع معاً إليه:

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨ ص٣٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ج١١ ص١٥٠ ح٢٥، عن كفاية الأثر.

من مواصفات أهل البيت عليهم السلام

يحدثنا كتاب "بصائر الدرجات" عن إسحاق بن عمار أنه قال:

عزمت على سفر، فدخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حتى أودّعه ـ وأنا في نفسي لا أقول بإمامته وتفوقه ـ فقلت:

السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله.

الإمام الصادق (عليه السلام) أجاب التحية بأحسن منها وقال لي:

وعليك السلام يا إسحاق ورحمة الله وبركاته، ثم التفت إليّ شبه المغضب قائلاً:

«إجلس يا إسحاق»، فلما جلست التفت إليّ موبخاً بقوله:

يا إسحاق، كأنك ترى أنّا من هذا الخلق؟

أما علمت أن الإمام منا بعد الإمام يسمع في بطن أُمه، فإذا وضعته أمه كتب الله على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

فإذا شب وترعرع، نصب له عمود من السماء إلى الأرض، ينظر به إلى أعمال العباد[2].

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٤٠ ح١١، عن بصائر الدرجات: ص١٢٨، بتصرف.

وهكذا نرى الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يوجه ويحذر إسحاق بن عمار، الذي لم يعتقد فيهم بما ينبغي لهم، ولم يعترف لهم بما اختصهم الله تعالى به، من عظيم المنزلة ورفيع الدرجة.

كما أن هناك تصريحاً آخر على نطاق واسع، يحذر ويلفت نظر كل من يتكلم في المعصومين (عليهم السلام) أو يرتأي فيهم بما لا يليق بشأنهم.

فمعاً إلى ذلك الحديث:

من سمات أهل البيت عليهم السلام

ويحدثنا علي بن حديد ـ كما في كتاب "بصائر الدرجات" ـ عن الإمام أبي جعفر الباقر محمد بن علي (عليه السلام) قائلاً:

جرى فيما بيننا ذكر الناس وكلامهم حول الأئمة المعصومين (عليهم السلام) عند أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فالتفت إلينا وقال:

«لا تكلموا في الإمام، فإن الإمام يسمع الكلام وهو جنين في بطن أُمه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

فإذا قام بالأمر رفع الله له في كل بلد مناراً ينظر به إلى أعمال الخلائق»[2].

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٤٥ ح٢١، عن بصائر الدرجات: ص١٢٩، بتصرف.

شربة ماء من تحت العرش

ويحدثنا علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، عن الحسن بن راشد، أنه قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ـ وهو يشرح كيفية تكوين الإمام (عليه السلام) ونشاته ـ:

"إن الله إذا أحب أن يخلق الإمام، أخذ شربة من تحت العرش، فأعطاها ملكاً، فسقاها أباه، فمن ذلك يخلق الإمام.

فإذا ولد، بعث الله ذلك الملك إلى الامام، فكتب بين عينيه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

فإذا مضى ذلك الامام الذي قبله، رفع له مناراً يبصر به أعمال العباد، فلذلك يحتج به على خلقه"[2].

وبهذا المعنى روايات كثيرة، تشير إلى ان الإمام المعصوم، حينما يخلف الإمام الذي كان قبله، ويقوم باعباء الإمامة مقامه، يرفع له مناراً يرى به أعمال العباد، وفي بعضها: عموداً من نور، وفي أخرى: عموداً من السماء إلى الأرض ينظر به إلى أعمال العباد، فلنرى ما هذا المنار؟ وكيف يكون ذلك العمود؟

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٧ ح٣، عن تفسير القمي: ص٢٠٢.

لا يخفى أن الوسائل العلمية الحديثة، والاكتشافات الصناعية الجديدة، رفعت الإبهام عن مثل هذه الأمور، وكشفت القناع عن أشباه هذه الإصطلاحات، لكن في الأزمنة الغابرة، حيث لا أقمار صناعية تصور الحوادث والكوارث، ولا سفن فضائية تدور حول الأرض، ولا أجهزة لا سلك ولا رادار، ولا محطات بث ولا أجهزة التقاط، ولا غيرها من الوسائل الحديثة: التي تقرّب هذه المعاني إلى الأذهان، كانت مثل هذه الأمور غير واضحة لدى الناس، الذين عاشوا زمن الفترة[1]، وابتعدوا عن مصطلحات الوحي والسماء، فاصبحت مثل هذه العبارات عندهم مثاراً للإستفهامات والتساؤلات، ومرتعاً للبحث والنقاش في كل حفل واجتماع، مما حدى بيونس، ان يعرض الوضع العام على الإمام الرضا (عليه السلام) ويستنجد به في تفسير المعنى المراد من عمود النور.

علماً بأن جواب الإمام (عليه السلام) على ذلك، يكشف عن حقيقة لا تخفى ولا تثقل على من عرف حق المعصومين (عليهم السلام)، ولا يستبعدها من وقف على عظيم مقامهم ورفيع منزلتهم عند الله تعالى، فقد أسجد سبحانه الملائكة لأبيهم آدم وهم في صلبه، فهو القادر على أن يوظف ملائكته أيضاً في رفع التقارير إليهم، وإرائة أعمال العباد لهم، وهم خلفاء الله في أرضه، وحججه على عباده، فمعاً لنستمع إلى ذلك:

---

(١) انظر سورة المائدة: ١٩، ﴿قَد جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم عَلَى فَترَة مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

عمود النور و معناه

يقول محمد بن عيسى بن عبيد: كنت أنا وابن فضال جلوساً، إذ دخل علينا يونس، فسلّم وجلس.

فرددنا عليه تحيته ورحّبنا به، وسألناه قائلين:

ما وراءك يا يونس؟ وهل عندك شيء جديد؟

يونس ـ يبتسم وعلى وجنتيه فرحة الظفر ويقول ـ:

نعم، عندي ما يشفي العليل، ويروي الغليل، فقد جئت من عند سيدي الإمام الرضا (عليه السلام) بذلك الشيء الثمين.

محمد ـ وهو يشتاق وكذلك صديقه ابن فضال ليسمعا النبأ الجديد ـ يقول بلهفة:

أخبرنا يا يونس عنه، وبرّد غليلنا به، برّد الله غليلك.

يونس: نعم، دخلت على سيدي أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فقلت له:

يا ابن رسول الله! جعلت فداك، لقد أكثر الناس في "العمود" وأصبح حديث ندواتهم ومجتمعاتهم، فما هو عندكم؟

الإمام الرضا (عليه السلام) يجيب: يا يونس! أتحسب أنه عمود من حديد يرفع لصاحبك؟

يونس: ما أدري يا سيدي أيّ شيء هو.

الإمام الرضا (عليه السلام): إنه ملك موكل بكل بلدة، يرفع الله به أعمال تلك البلدة.

ابن فضال - يستريح لهذا المعنى فيقوم ويقبل رأس يونس ويقول له:

رحمك الله يا أبا محمد، لا تزال تجيء بالحديث الحق الذي يفرّج الله به عنا[1].

(١) مدينة المعاجز: ص٢٩٠، بتصرف.

التكوين من الجنة

يروي لنا سليمان الديلمي ـ كما في كتاب "بصائر الدرجات" ـ عن الإمام أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال في جواب سؤالٍ عن كيفية ولادة الإمام (عليه السلام) ونشأته قائلاً:

إن نطفة الإمام (عليه السلام) من الجنة، وإذا وقع من بطن أمه إلى الأرض، وقع وهو واضع يده إلى الأرض رافع رأسه إلى السماء.

سيلمان ـ تعجبت من هذه الظاهرة وقاطعت الإمام بقولي ـ:

جعلت فداك يا ابن رسول الله، ولم ذاك؟

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ يكشف لي ما يزيل تعجبي بقوله ـ:

أما وضع يديه على الأرض: فإنه يقبض كل علم أنزله الله من السماء إلى الأرض.

وأما رفع رأسه إلى السماء: فإن منادياً يناديه من جوّ السماء، من بطنان العرش، من الأفق الأعلى، ويقول له:

يا فلان بن فلان! أثبت، فإنك صفوتي من خلقي، وعيبة علمي، ولك ولمن تولاك، أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحللتك جواري.

ثم يردف المنادي نداءه ويقول مهدّداً كل من يعاديه ويناوؤه:

وعزّتي وجلالي، لأُصلينّ من عاداك أشدّ عذابي، وإن أوسعت عليهم في

دنياي من سعة رزقي.

يواصل الإمام الصادق (عليه السلام) الحديث قائلاً: وهنا عندما ينقطع صوت المنادي وينقضي، يجيبه هو بقوله تالياً للقرآن:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ يضيف ـ: فإذا تم كلامه وتلاوته هذه، أعطاه الله العلم الأول، والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر ـ إشارة إلى قوله تعالى في سورة القدر[2]: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) سورة القدر: ٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٧ ح٤، عن بصائر الدرجات: ص٦١، بتصرف.

علامات أهل البيت عليهم السلام

وفي "أصول الكافي" عن زرارة بن أعين، الراوي المعروف والمحدث المشهور من آل أعين، أنه قال:

حدثنا أبو جعفر الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) عن علامات الإمام ومختصاته من حين ولادته إلى حين إرتحاله، وذلك بإيجاز وإختصار قائلاً:

"للإمام (عليه السلام) عشر علامات:

١: يولد مطهّراً مختوناً.

٢: إذا وقع على الأرض، وقع على راحتيه، رافعاً صوته بالشهادتين.

٣: لا يجنب (أي: لا يحتلم) أو (لا يلحقه خبث الجنابة، وإن وجب عليه الغسل تعبّداً، ويؤيّده قول النبي (صلى الله عليه وآله): لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد، إلا أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ومن كان من أهلي فإنه مني، وهو يشمل باقي الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الإثني عشر)[1].

٤: تنام عينه، ولا ينام قلبه.(أي: لا يرى الأشياء في النوم ببصره، ولكن يراها ويعلمها بقلبه، ولا يغيّر النوم منه شيئاً).

٥: لا يتثاءب.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٦٩.

٦ : لا يتمطّى.

٧ : يرى من خلفه، كما يرى من أمامه.

٨ : نجوه كرائحة المسك، والأرض موكّلة بستره وابتلاعه.

٩ : إذا لبس درع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كانت عليه وِفقاً، وإذا لبسه غيره من الناس، طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً.

١٠ : وهو محدَّث إلى أن تنقضي أيّامه"[١].

ولا عجب من هذا كله، فإنه لابد لمن يريد أن يؤم الخلق في الفضائل، ويقودهم إلى الله تعالى، ويهديهم سواء السبيل، ويكون لهم أسوةً وقدوة، ورائداً وإماماً، ودليلاً ونبراساً، وحجةً من الله عليهم، وخليفةً له فيهم، أن يكون بريئاً من كل عيب، نزيهاً من كل نقص، بعيداً عن كل منفّر ومذمّر في الجسم والروح، والخَلق والخلق، وهذا ما يفرضه العقل وقد وافقه النقل فمعاً إلى نصوص أخرى:

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٦٨ ح٣٧، عن الكافي: ج١ ص٣٨٨.

طهارة أهل البيت عليهم السلام

ويحدثنا الشيخ الأجل، والمحدث الكبير، الشيخ الصدوق، في كتابه "كمال الدين وتمام النعمة" مسنداً عن محمد بن زياد الأزدي أنه قال:

دخلت على الإمام أبي الحسن الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام)، وقد ولد له الرضا (عليه السلام)، لأهنئه به، فالتفت اليَّ وهو يحمل مولوده على يديه كانه فلقة قمر، وقال لي وقد أشار إليه:

"يا محمد! إن ابني هذا، ولد مختوناً، طاهراً، مطهّراً.

محمد ـ يستفسر عن هذه الظاهرة ويقول متسائلاً ـ: هل هذه الميزة من خصائص هذا المولود وحده؟

الإمام الكاظم (عليه السلام): لا يا محمد، إنه ليس من الأئمة أحد يولد، إلا مختوناً، طاهراً، مطهّراً.

ولكنا سنمّر الموسى، لإصابة السنة، واتباع الحنيفية"[1].

هذا ويحدثنا الشيخ حسين في كتابه "عيون المعجزات" عن خصّيصة أخرى لأئمة أهل البيت المعصومين (عليهم السلام) بقوله:

روي أن فاطمة (عليها السلام) ولدت الحسن والحسين (عليهما السلام) من فخذها الأيسر، ويضيف قائلاً:

وروي أن مريم بنت عمران (عليها السلام) ولدت المسيح (عليه السلام) من

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٤٤ ح١٩، عن كمال الدين وتمام النعمة، بتصرف.

فخذها الأيمن[١].

وهذه هي الأخرى من امتيازاتهم (عليهم السلام) الدالة على طهارتهم وقداستهم، وعلو شأنهم ورفعة مقامهم.

من بركات أهل البيت عليهم السلام

ويروي لنا الثقة الجليل، نجل شيخ الطائفة ابن الشيخ الطوسي، في أماليه مسنداً عن أبي بصير، أنه قال:

سمعت الإمام أبا عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) ـ وقد جرى عنده حديث إرهاصات الولادة وبركات الإمام ـ يقول:

"إن في الليلة التي يولد فيها الإمام، لا يولد مولود إلاّ كان مؤمناً.

وإن وُلد في أرض الشرك، نقله الله إلى الإيمان ببركة الإمام (عليه السلام)"[٢].

ولا عجب في ذلك، فإن الإمام المعصوم (عليه السلام) هو المولود الذي ببركته يُعرف الله ويُوحّد، ويُذكر الله ويعبد، ويُحمد الله ويُمجّد، وينتشر الإسلام ويوطّد، ويقوى الإيمان ويجدّد.

كيف لا، وقد ذكر عيون المعجزات في كيفية ولادة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قائلاً:

---

(١) عيون المعجزات: ص٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٦ ح١، نقلاً عن أمالي ابن الشيخ الطوسي: ص٢٦٣.

أم الأئمة الأطهار و كيفية ولادتها

إن خديجة (عليها سلام الله الملك العلام) وضعَت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) طاهرةً مطهرة، وأنها سبّحت وقدّست ومجّدت في حال ولادتها، وأقرّت بنبوّة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإمامة بعلها علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأنها كانت تقرأ القرآن[1].

وقال في ولادة الإمام أبي محمد الحسن بن علي المجتبى (عليه السلام) ما يلي:

كانت ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) مثل ولادة جده (صلى الله عليه وآله) وأبيه (عليه السلام): وكان طاهراً مطهراً، يسبّح ويهلّل في حال ولادته ويقرأ القرآن[2] وهكذا بالنسبة إلى بقية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ومنهم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام).

---

(١) عيون المعجزات: ص٤٨.

(٢) عيون المعجزات: ص٥٢.

ولم يتم البحث بعد

وهناك في هذا المجال روايات كثيرة، تصل حد التواتر، أكتفينا منها بهذا القدر القليل، والنزر اليسير، وهي أربعة عشر عنواناً على عدد المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)، وتركنا الباقي الكثير إلى الكتب الموسعة، فعلى من أراد الإطلاع الأكثر، مراجعتها في مظانها[١].

علماً بأن فيما ذكرناه هنا، كفاية لمن أراد أن يتدبّر، وخِلفةً لمن أراد أن يتذكّر أو أراد شكوراً، فلقد أوضحتْ لنا هذه الروايات، أن المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)، وإن كانوا يشتركون مع غيرهم من الناس، في أنهم بشر يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، إلاّ أنهم يتفوّقون عليهم، ويمتازون عن غيرهم في كل شيء، من بدء أنوارهم وأرواحهم، حتى استواء طينتهم وأبدانهم..

فطينتهم ـ كما مرّ ـ من أرض طيبة وجوهرة مكنونة من تحت العرش، وماءُ عجينها عذب زلال، مشرب ومشبع بولايتهم ومحبتهم (عليهم السلام)، وأرواحهم قدسية طاهرة، وحملهم خفيف مبارك، وولادتهم شريفة وسعيدة، وخصائصهم كريمة ومتميزة، وعلاماتهم متفوقة وجميلة، وهكذا كل شؤونهم عظيمة وجليلة، وجميع أمورهم صعبة مستصعبة، لا يحتملها إلا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان[٢].

---

(١) يراجع بحار الأنوار: ج٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢ ص١٨٣ ح١.

ونختم البحث هنا عن الامتيازات العامة للمعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)، وفيهم ومنهم ومعهم، إمامنا أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) الذي هو المعنيّ من كتابنا هذا، مردّدين فقرات من زيارة الجامعة بقولنا:

«.. مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ، وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ، وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ، وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيَارِ، وَهُدَاةُ الْأَبْرَارِ، وَحُجَجُ الْجَبَّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ، وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ..».

ولقد أجاد أبو نؤاس حيث قال فيهم:

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخر

والله لما برى خلقا فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر

وأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب و ما جاءت به السور

❖ ❖ ❖

ثم نبدأ بذكر الامتيازات الخاصة لإمامنا الهادي (عليه السلام) عبر سطور:

المميّزات الخاصة

هوية الإمام الهادي (عليه السلام)

مواصفات إمامنا وسيدنا أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، وإمتيازاته الفردية الخاصة، تكون ـ بقدر ما يتيسر لنا إحصاؤها ـ كما يلي:

الإسم الكريم

١: الإسم الكريم: علي (عليه السلام).

الآباء الكرام

٢: آباؤه (عليهم السلام) الكرام: محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وابن الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو ابن رسول الله وحفيده الثامن.

الأم المكرّمة

٣: أُمه المكرّمة: سمانة المغربية، وكانت في الجلالة والقدر بمكان لائق، قال في وصفها الإمام الجواد أبو جعفر الثاني محمد بن علي (عليه السلام): "إنها

عارفة بحقي، وهي من أهل الجنّة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي كانت بعين الله التي لا تنام، ولا تخلف عن أمهات الصديقين والصالحين"[١].

الزوجة الكريمة

٤: زوجته (عليه السلام) الكريمة: "سليل"، وهي والدة الإمام الحادي عشر أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، وكانت من العارفات الصالحات، ثم إنه يكفي في جلالتها، أنها كانت المفزع للشيعة في نقل الأحكام الشرعية أيام الشدة[٢].

الكنية الشريفة

٥: كنيته (عليه السلام) الشريفة: أبو الحسن الثالث، ابن الرضا.

والكُنية من الكناية، وهي إما مصدّرة بالأب أو الأم أو الإبن، وكان الأئمة (عليه السلام) يكنّون أولادهم في صغرهم مخافة النبزان[٣]، ويقولون: من السنّة والبّر أن يُكنّى الرجل باسم ابنه.

اللقب الكريم

٦: ألقابه (عليه السلام) الكريمة: الهادي، النقي، العسكري، وهذه الثلاثة

---

(١) مدينة المعاجز: ص٥٣٨.

(٢) الإمام علي الهادي (عليه السلام)، لعلي محمد علي دخيل: ص٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٣٩٧.

أشهر ألقابه (عليه السلام)، ثم النجيب، المرتضى، العالم، الفقيه، الأمين، المؤتمن، الطيّب، المتّقي، الناصح، المفتاح، المتوكّل، وكان (عليه السلام) يخفي هذا الأخير، بأمر أصحابه أن يعرضوا عنه، لأنه كان لقب الخليفة العباسي يومئذ.

تاريخ الولادة

٧: ولادته (عليه السلام) المباركة: الثلاثاء، أو الجمعة، منتصف ذي حجة الحرام عام٢١٢ هجرية[١].

محلّ الولادة

٨: محل ولادته (عليه السلام): «صريا» وهي قرية في نواحي المدينة، على بعد ثلاثة أميال منها وكانت جديدة التأسيس، أسّسها الإمام الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام).

مدة العمر الشريف

٩: مدة عمره (عليه السلام) الشريف: إحدى وأربعين سنة وسبعة أشهر تقريباً.

مدة الإمامة المباركة

١٠: مدة إمامته (عليه السلام) المباركة: ثلاث وثلاثين سنة وسبعة أشهر وبضعة أيام.

---

(١) وهناك أقوال أخرى في تاريخ الولادة، يراجع بحار الأنوار: ج٥٠ ص١١٣، باب أسمائه وألقابه وكناه.

نصوص الإمامة

١١ : النص على إمامته (عليه السلام) : علماً بأن الإمامة والخلافة من سنن الله التي لا تتغيّر، ولن تخلو الأرض منها منذ أن خلق الله تعالى أول إنسان على الأرض: آدم أبا البشر، وحتى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، وإلى أن تقوم القيامة، وكل إمام سابق ينصّ بأمر الله تعالى على الإمام اللاحق ويسلّمه ودائع الإمامة، ويُعرّفه للناس، وهناك نصوص كثيرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وسائر الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، على إمامة سيدنا ومولانا الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، نكتفي هنا ببعض ما نص عليه والده الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام).

يحدثنا الشيخ الصدوق في كتابه "كمال الدين" عن الصقر ابن أبي دلف أنه قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السلام) ـ وقد جرى عنده حديث الوصاية والإمامة من بعده ـ يقول:

"إن الإمام بعدي، ابني عليٌّ، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن"[١].

ويحدثنا الشيخ الكليني في كتابه "الكافي" عن أبي خالد مولى أبي جعفر الجواد (عليه السلام) أنه قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١١٨ ح١، عن كمال الدين.

إن أبا جعفر (عليه السلام) أوصى إلى إبنه علي الهادي (عليه السلام)[١].

وفي عيون أخبار الرضا (عليه السلام): أنه لمّا خرج أبو جعفر الجواد (عليه السلام) وزوجته ابنة المأمون حاجاً، وخرج أبو الحسن علي الهادي إبنه (عليه السلام) وهو صغير، فخلّفة في المدينة، وسلّم اليه المواريث والسلاح، ونصّ عليه بمشهد ثقاتة وأصحابه، وانصرف إلى العراق ومعه زوجته إبنة المأمون[٢].

الشمائل الكريمة

١٢: شمائله (عليه السلام) الكريمة: كان (عليه السلام) كثّ اللحية، أسمر اللون، أدعج العينين، شثن الكفّين، عريض الصدر، أقنى الأنف، أفلج الإسنان، حسن الوجه، طيّب الريح، جسيم البدن، لم يكن بالقصير المتردد، ولا بالطويل الممعظ، بعيد المنكبين، ضخم الكراديس[٣].

الفضائل والمناقب

١٣: فضائله (عليه السلام) ومناقبه: وهي لا تعدّ كثرة، ولا تحصى عدداً، وقد أعترف بها المآلف والمخالف، حتى إبن حجر قال في صواقعه: "كان أبو الحسن الثالث الهادي وارث أبيه علماً وسخاءاً. ولنعم ما قيل فيه:

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣١، عن الكافي.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦، عن عيون المعجزات.

(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٠.

ما عسى ان يقال في مدح قوم أسس الله مجدهم تأسيسا
ما عسى أن يقال في مدح قوم قدس الله ذكرهم تقديسا
هم هداة الورى وهم أكرم الناس أصولاً شريفة ونفوساً[١]

وقال آخر:

إليكم كل مكرُمة تؤول إذا ما قيل جدكم الرسول
كفاكم من مديح الناس مدحاً إذا ما قيل أمكم البتول[٢]

وقال آخر:

مناقبهم مثل النجوم كأنها مصائبهم لم يحصها الدهر حاسب[٣]

الإقامة في المدينة مع الأب

١٤: إقامته مع أبيه (عليهما السلام) في المدينة: سبع سنين وستة أسابيع، فقد أشخص المعتصم العباسي والده الإمام الجواد (عليه السلام) من المدينة في أول سنة عشرين ومائتين هجرية لليلتين بقيتا من المحرّم، ودسّ إليه السم فمضى شهيداً في آخر ذي القعدة الحرام من نفس السنة.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤.
(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥.
(٣) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٣.

بدأ الإمامة برواية الكليني

١٥ : خلافته (عليه السلام) لأبيه : خلف الإمام الهادي أباه الجواد (عليهما السلام) بالإمامة والوصاية وهو ابن ثمان سنين ينقص أسبوعين ، وقد ذكر الكليني في أصوله مسنداً عن هارون بن الفضل أنه قال :

رأيت أبا الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ، في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر الجواد (عليه السلام) وهو يقول بتأثر وتوجّع :

إنا لله وإنا اليه راجعون ، لقد مضى أبو جعفر..

ابن الفضل ـ تأثرت من ذلك كثيراً ، فأردت التخفيف عليه بقولي ـ :

يا ابن رسول الله ! كيف ذاك وهو ببغداد وأنت بالمدينة؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو ينظر إليَّ نظر من عرف الهدف من سؤالي ، فأجابني بلطف قائلاً ـ :

يا ابن الفضل ! علمت ذلك بسبب أنه قد لحقتي ذلّة واستكانة لله عزوجل ، لم أكن أعرفها ، فعلمت أنه مضى.

ابن الفضل ـ وهو يطمئن إلى أن الحالة الجديدة في الإمام الهادي (عليه السلام) هي حالة الاستخلاف والوصاية لأبيه الجواد (عليه السلام) وأن أباه قد مضى ، فيسلّي الإمام الهادي بقوله ـ :

يا ابن رسول الله ، أحسن الله لك العزاء بأبيك الجواد (عليه السلام) ، وعظّم

لك الأجر بذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يثني عليه ويشكره قائلاً ـ:

وجزاك الله يا ابن الفضل عن إمامك خير الجزاء وأحسنه[١].

بدء الإمامة برواية الشريف المرتضى

وفي عيون المعجزات عن الحسن بن علي الوشاء أنه قال:

جاء أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) مذعوراً، حتى جلس عند أم موسى عمة أبيه.

أم موسى ـ تضطرب مما تراه على ابن أخيها من الذعر، فتسأله قائلة ـ:

ما لَك يا ابن أخي مذعوراً قلقاً؟

الإمام الهادي ـ يزداد حزناً وذعراً ويختنق بعبرته فيجيب عمته بصعوبة ويقول ـ:

يا عمتاه! لقد مات أبي والله الساعة.

أم موسى ـ يشتد اضطرابها و وحشتها فتقول ـ: لا يا ابن أخي لا تقل هذا.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكفكف دموعه ويجيبها بصوت متقطع ـ هو والله كما أقول لك يا عمة.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤ ح١٥، عن الكافي، بتصرف.

الوشاء: تأثرنا من هذا النبأ المؤسف، وارّخنا الوقت واليوم، فجاء بعد أيام خبر وفاة الإمام الجواد (عليه السلام) وكان كما قال[١].

الإقامة في المدينة بعد الأب

١٦: إقامته (عليه السلام) في المدينة بعد أبيه (عليه السلام): خمسة عشر عاماً تقريباً.

مجموع الإقامتين

١٧: مجموع إقامته (عليه السلام) في المدينة مع أبيه وبعده: ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً.

الهجرة إلى سامراء

١٤: هجرته (عليه السلام) إلى سامراء: سنة مائتين وثلاث وثلاثين هجرية، على ما ذكره الطبري في تاريخه، وذلك حيث استقدمه المتوكل العباسي إليها[٢].

وقال ابن شهر آشوب في مناقبه وهو يروي عن أبي موسى أنه قال:

كنت عند الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) يوماً، وهو في سامراء، فجرى الحديث عن سامراء وموقعها الجغرافي، فالتفت (عليه السلام) اليَّ قائلاً:

يا أبا موسى؛ أُخرجت إلى سامراء كرهاً، ولو أُخرجت عنها، أُخرجت كرهاً.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥ ح٢١، عن عيون المعجزات، بتصرف.

(٢) ناسخ التواريخ: ج٤ ص٩١، نقلاً عن تاريخ الطبري.

أبو موسى ـ يستغرب من كلام الإمام (عليه السلام) ويسأل السبب بقوله ـ:

ولِم يا سيدي؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبيّن السبب من ذلك ويجيب ـ:

لثلاثة أمور:

١: لطيب هوائها.

٢: وعذوبة مائها.

٣: وقلة دائها.

ثم يردف (عليه السلام) قائلاً:

دخلنا كارهين لها فلما الفناها خرجنا مكرهينا[1]

ثم يضيف (عليه السلام) قوله:

ستخرب سامراء، حتى لا يكون فيها إلا خان "وهو خان الصعاليك" وبقّال للمارّة، وعلامة خرابها: تدارك العمارة في مشهدي من بعدي، وكان ذلك سنة مائتين وتسع وسبعين هجرية.

الإقامة في سامراء

١٩: مدة إقامته (عليه السلام) في سامراء: عشرون سنة وتسعة أشهر.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٠ في الهامش، عن المناقب، بتصرف.

في سجون بني العباس

٢٠ : لَبثه (عليه السلام) في السجون : عاش (عليه السلام) فترة من عمره الشريف في سجون الظالمين، ولا تزال آثار تلك السجون باقية قي سامراء إلى اليوم.

وفي الخرائج عن ابن أرومة انه قال :

خرجت أيام المتوكل إلى سامراء، فدخلت على سعيد الحاجب، وقد دفع المتوكل أبا الحسن الهادي (عليه السلام) اليه ليقتله، فلما وقع نظر سعيد عليّ سارعني بقوله :

يا ابن أرومة! أتحب أن تنظر إلى إلهك؟

ابن أرومة ـ يستنكر على سعيد مقالته ويقول ـ :

سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار.

سعيد ـ يندد بابن أرومة ويحاول إصلاح كلامه وتعديل خطابه له ـ :

أين تذهب، أقصد هذا الذي تزعمون أنه إمامكم.

ابن أرومة ـ يستعيد وضعه الطبيعي ويقول له ـ :

ما أكره ذلك، ويا حبّذا لو سمحت لي به.

سعيد ـ يهزّ رأسه تجبّراً وتعنّتاً ويقول ـ :

يا ابن أرومة تزوّد من رؤيته مابدا لك، فإني قد أُمرت بقتله، وثق بأني سأنفّذ ما أُمرت به، وأنا فاعل ذلك غداً، فانتظر الآن هنيئة حتى يخرج صاحب

البريد من عنده فانه جاء ليسلّمه رسالة بُعثت اليه، فإذا خرج فادخل إليه.

ابن أرومة ـ يفرح بما سمح له من لقاء الإمام الهادي (عليه السلام) وينتظر خروج صاحب البريد، فلم يلبث أن خرج.

سعيد ـ وهو ينبري له بصوت جهوري ويقول ـ:

ادخل يا ابن أرومة ولا تنس ما قلته لك، وتزوّد من رؤيته ما تشاء، فإنه سيكون هذا آخر لقائك به.

ابن أرومة ـ يفرح للقائه إمامه ويحزن من تهديد سعيد بقتله، ولكن فرحة اللقاء تتغلب عليه، فيدخل الدار التي سجن فيها الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول ـ:

السلام عليك يا ابن رسول الله، ويقع نظره على قبر محفور بحياله، فلم يتمالك نفسه، ويجهش بالبكاء لما يراه من علامات التهديد والقبر المحفور.

الإمام الهادي (عليه السلام): يجيب تحيته بأحسن منها ثم يلاطفه ويهدّأه بقوله:

ما يبكيك يا ابن أرومة؟ ألم تعلم أن لقاء الإخوان يجب أن يكون مصحوباً بالطلاقة والابتسامة لا بالحزن والبكاء؟.

ابن أرومة ـ يكفكف دموعه ويتضائل خجلاً ويقول ـ:

نعم يا سيدي يا ابن رسول الله، صحيح ما تقولون، ولكن كيف لا أبكي، وأرى ما أرى من القبر المحفور، وأسمع ما أسمع من تهديد الحاجب؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يشكر ابن أرومة على محبته وولائه ويقول له: طب خاطراً، وقرّ عيناً، ولا تبك لشيء من ذلك، فإنهم لن يصلوا إليّ بسوء.

ابن أرومة ـ يحمد الله على ما أخبره (عليه السلام) من حفظه وسلامته، ويسكن عمّا كان به من قلق وحزن ويقول ـ:

عند ذاك التفت إليّ سيدي أبو الحسن الهادي (عليه السلام) وأردف قائلاً:

يا ابن أرومة، اعلم أنه لا يلبث أكثر من يومين، حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته.

ابن أرومة ـ يزداد فرحاً وشكراً ويقول:

فوالله ما مضى غير يومين حتى قُتل..[1].

في محلة العسكر

٢١: محل إقامته (عليه السلام) في سامراء: كانت في سامراء محلّه تسمّى: عسكر، وقد سكنها الإمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي وابنه الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام)، ولذلك لقّب كل واحد منهما: بالعسكري.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٩٥ ح٧، عن الخرائج، بتصرف.

مع الحكام المعاصرين

٢٢ : ملوك عصره (عليه السلام) : عاصر الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) ستة من حكّام وملوك بني العباس، أولهم المعتصم وآخرهم المعتزّ، فقد عاصر (عليه السلام) بقية مُلك المعتصم، ثم ملك الواثق خمس سنين وسبعة أشهر، ثم مُلك المتوكل أربع عشرة سنة، ثم ملك المنتصر بن المتوكل ستة أشهر، ثم ملك أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين سنتين وتسعة أشهر، ثم مُلك الزبير بن المتوكل وهو المعتزّ ثماني سنين وستة أشهر، واستشهد (عليه السلام) أواخر ملك المعتز بدسّه السم إليه[1].

وكم لاقى الإمام الهادي (عليه السلام) من الأذى منهم، فقد أشخصه المتوكل من مدينة جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى سامراء، وكان (عليه السلام) فيها تحت نظره وأحياناً في سجونه، ونكّل بإبن السكيت، وقتل شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي، وقطع عنهم الخمس، ومنع من أن يصل إلى السادات والعلويات، وهدم قبر الإمام الحسين (عليه السلام) سبع عشرة مرّة، حتى أنه قيل فيهم:

ثلّت عروشك يا بني العباس ... مذ صرت أعداءاً لخير الناس

عمدتْ يداك لهدم كل مشيَّد ... في الدين قد زدت على الارجاس

من آل سفيان وآل أُمية ... أهل الشقاق نتيجة الخناس

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠٦ ح٢١، عن إعلام الورى، بتصرف.

وهمُ وإن قتلوا الحسين عداوة لكنهم عفّوا عن الارماس[١]

وقال ابن الأثير في كامله: "وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبيطالب (عليه السلام) ولأهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم"[٢].

نقش الخاتم

٢٣: نقش خاتمه (عليه السلام): "الله ربي وهو عصمتي من خلقه".

وقيل: "حفظ العهود من أخلاق المعبود"[٣].

وقيل: "أفلح من تمسك بالحق"، وقيل: "من عصى هواه بلغ مناه"[٤].

ويمكن جمعها بتعدد الخواتيم، وكم في هذه النصوص القيّمة من دروس وعبر، تذكرّ الإنسان بالأخلاق الإسلامية، وتدرّبه على المكارم والفضائل، كما وتشير إلى دوره (عليه السلام) الجادّ في مقابلة الأحداث، وقيامه باعباء الإمامة، وحفظه لأصول الحياة وكرامة الإنسان.

---

(١) وفاة الإمام علي الهادي (عليه السلام)، للشيخ حسين الدرازي البحراني: ص٥١.

(٢) ناسخ التواريخ: ج٤ ص١٣٠، عن الكامل في التاريخ.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١١٦ ح٨ و٩.

(٤) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٥.

الأولاد والذرية

٢٤ : أولاده (عليه السلام) : خمسة ، أربعة منهم ذكور وهم : الحسن ، الحسين ، محمد ، جعفر ، وأُنثى وهي : عليّة.

التنصيص على العسكري عليه السلام

٢٥ : وصيه (عليه السلام) : وصيّه بأمر الله تعالى وإبلاغ الرسول الكريم وتعيينه هو (عليه السلام) : الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) ، فقد جاء في إعلام الورى عن يحيى بن يسار القنبري أنه قال :

أوصى أبو الحسن الهادي (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) قبل مضيّه بأربعة أشهر ، وأشار إليه بالأمر من بعده ، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي[١].

وفي تاريخ سامراء : أحضر (عليه السلام) إبنه أبا محمد ، فسلّم إليه النور والحكمة ومواريث الأنبياء ، والسلاح ، وأوصى اليه[٢] ونص عليه بمشهد من ثقاة أصحابه.

---

(١) بحار الأنوار : ج٥٠ ص٢٤٦ ح٢١.

(٢) تاريخ سامراء : ج٣ ص٣٢٥.

التنصيص على المهدي عليه السلام

٢٧ : حفيده (عليه السلام) : الإمام المهدي الحجة بن الحسن (عليه السلام) وعجّل الله تعالى فرجه الشريف.

يحدثنا الشيخ الصدوق، في كتابه "كمال الدين" عن الصقر بن أبي دلف، أنه قال:

سمعت الإمام الهادي علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السلام) يقول:

الإمام بعدي: الحسن، وبعد الحسن ابنه: القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً[١].

النائلون شرف الخدمة

٢٧ : خدّامه (عليه السلام) الذين نالوا شرف خدمته: أبو الطيب أحمد بن محمد بن بوطير، وابن دراج محمود بن أيوب بن نوح، وكافور الخادم، ومقبل الديلمي، وصافي الخادم، ومسرور الطباخ، والخيراني، وكل هؤلاء ثقاة رواة، رووا عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، وألّف بعضهم كتباً، كما صرّح (عليه السلام) لبعضهم بأنهم من أهل الجنة[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٣٩ ح٤.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٠٨.

السفراء و الأبواب

٢٨ : سفيره (عليه السلام) وبوّابه : جماعة، منهم : أبو عَمرو عثمان بن سعيد العَمري، وابنه محمد بن عثمان العَمري، وعثمان هذا هو أشرفهم وأفضلهم فقد روى الشيخ الصدوق في كتابه "كمال الدين" مسنداً عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمي أنه قال :

دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) في يوم من الأيام، وبعد أن سلمت وسمعت جواب التحية بأحسن منها، عرضت على سيدي الإمام الهادي (عليه السلام) سؤالاً وقلت :

يا سيدي يا ابن رسول الله، أنا أغيب وأشهد، ولا يتيسّر لي الوصول في خدمتك دائماً وفي كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمتثل؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يشير إلى عثمان بن سعيد العَمري، ويقول ـ :

"هذا أبو عمرو، الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقول، وما أداه اليكم، فعني يؤدّيه.."[1].

وروى الشيخ الصدوق أيضاً بالإسناد إلى عبدالله بن جعفر الحميري أنه قال :

لما توفي العَمري عثمان بن سعيد (قدس الله روحه) خرج التوقيع (أي : من الناحية المقدسة) إلى ولده الجليل الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد

---

(١) تاريخ سامراء : ج٣ ص٣١٢، عن كمال الدين وتمام النعمة.

العمري في التعزية بأبيه.

وقد جاء في فصل منه ما يلي:

"إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاً بفعله، عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً، فرحمه الله والحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عزوجلّ واليهم، نضّرالله وجهه، وأقال عثرته.."

وجاء في فصل آخر منه العبارة التالية:

"أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزيت ورُزينا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، وكان من كمال سعادته، ان رزقه الله ولداً مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول: الحمد الله، فإن الأنفس طيّبة بمكانك، وما جعله الله عز وجل فيك وعندك، أعانك الله وقوّاك في عضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً"[1].

الوكلاء الثقات

٢٩: ثقاته (عليه السلام) ووكلاؤه: وهم جماعة، منهم: أحمد بن حمزة بن اليسع، وصالح بن محمد الهمداني، ومحمد بن جزك الجمّال، ويعقوب بن يزيد الكاتب، وأبو الحسين بن هلال، وإبراهيم بن إسحاق، والنضر بن محمد الهمداني، وجعفر بن سهل الصيقل، وأبو علي بن راشد، وأيوب بن نوح،

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣١٤، عن كمال الدين وتمام النعمة.

وأبو هاشم الجعفري[١].

وهؤلاء أيضاً ممن توافرت النصوص بمدحهم وثنائهم، وعلو مقامهم ومنزلتهم عنده (عليه السلام).

الأصحاب الأوفياء

٣٠: أصحابه (عليه السلام) وروّاده: وهم كثيرون، يزداد عددهم على المائتين وعشرين رجلاً[٢] منهم: داود بن يزيد، وأبو سليمان زنكان، والحسين بن محمد المدائني، وأحمد بن إسماعيل بن يقطين، وبشر بن بشار النيشابوري الشاذاني، وسليم بن جعفر المروزي، والفتح بن يزيد الجرجاني، ومحمد بن سعيد بن كلثوم وكان متكلماً، ومعاوية بن حكيم الكوفي، وعلي بن معّد بن معبد البغدادي، وأبو الحسن بن رجا العبرتائي[٣]، وغيرهم.

عبد العظيم الحسني وفضله

ولعلّ أفضل أصحابه (عليه السلام) هو السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) المدفون في مدينة: "ري" وقد توفي في حياة الإمام علي الهادي (عليه السلام).

وكان (عليه السلام) يحثّ الناس على زيارة السيد عبد العظيم (عليه السلام) هذا.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢١٦.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣١٥.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢١٦.

ففي ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، مسنداً عمّن دخل على أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) من أهل مدينة "رَي"، وكان قد زار الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ثم تشرف بلقاء الإمام الهادي (عليه السلام) أنه قال:

دخلت على أبي الحسن العسكري (عليه السلام) فسلّمت وجلست، فردّ السلام بأحسن منه وتفقّدني قائلاً:

أين كنت، لقد طال عهدنا بك؟

الرجل ـ يشكر الإمام (عليه السلام) على تفقده له ويقول ـ: لقد كنت في زيارة سيدي ومولاي أبي عبدالله الحسين (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يحبّذ صنيعه هذا، ويشير إلى زيارة السيد عبد العظيم المدفون عندهم في مدينة: "رَي" وفضلها عند الله، ومالها من الأجر والثواب الجزيل ويقول ـ:

"أما أنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم، لكنت كمن زار الحسين بن علي (عليه السلام)"[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣١٥، عن ثواب الأعمال، بتصرف.

حديث عبد العظيم الحسني

ويحدثنا الشيخ الصدوق أيضاً في أماليه، عن السيد عبد العظيم الحسني (عليه السلام) أنه قال:

"دخلت على سيدي أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) فحييته قائلاً:

السلام عليك يا سيدي يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ لما بصر بي أجاب تحيتي بأحسن منها، وقال مردفاً، وهو من لطفه يرحّب بي:

مرحباً بك يا أبا القاسم، أنت وليّنا حقاً.

عبد العظيم ـ شكرت الله على ما وفقني له، وهداني إليه، وقلت ـ:

يا ابن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضياً، ثبتُّ عليه حتى القى الله عز وجل.

الإمام الهادي (عليه السلام): هات يا أبا القاسم.

عبد العظيم ـ إستعرضت كل ما كنت أعتقده وأدين الله تعالى به، فلما تمّ إستعراضي، إلتفت (عليه السلام) اليَّ وقد ظهرت آثار الرضا على وجهه (عليه السلام) وقال:

يا أبا القاسم! هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبّتك

الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"[١].

وكم في هذا الإستعراض العقائدي، والإقبال المريح من الإمام الهادي (عليه السلام)، من معنى بليغ، يعلّم الإنسان درس التواضع والتقوى، ويريه سبيل الخير والفلاح، وان عليه مهما بلغ من العلم والفضل، ومهما صاحب العلماء والعظماء، ان لا يغتّر بذلك، وأن يحتمل وجود الخطأ والإشتباه في فكره وعمله، وان يرضخ لإعادة النظر فيه، ولا يأبى من عرضه على من بيده معيار الصواب والخطأ، ومقياس الصحة والفساد، فعند حضور الإمام (عليه السلام) كما إتفق للسيد عبد العظيم يستعرضه على الإمام (عليه السلام)، وعند غيبته كما نحن عليه اليوم، يستعرضه على الكتاب الكريم، والسنّة المباركة التي هي عبارة عن قول المعصوم (عليه السلام) وفعله وتقريره، الذي يستنبطه الفقهاء الأعلام، والمراجع العدول الذين هم في إطار أهل البيت (عليهم السلام) وعلى خُطاهم، ويبيّنوه لنا.

الشيعة والمحبون

٣١: شيعته (عليه السلام) ومحبّوه: كانت للشيعة في عصر الإمام الهادي (عليه السلام) قوّة وهيبة، كما كانت لهم تشكيلات وتنظيمات، وخاصة في بغداد وغيرها، وكانوا على أثرها يزدادون كل يوم عدة وعدداً[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٥٤، بتصرف.

(٢) حياة الإمام الهادي (عليه السلام): ص٢٩.

الشعراء النبلاء

٣٢: شعراؤه (عليه السلام): هم كثيرون، منهم: العوفي، والديلمي، والصيمري محمد بن إسماعيل بن صالح، والطائي أبو تمام حبيب بن أوس، والمنبجي أبو الغوث أسلم بن مهوز، والجعفري أبو هاشم، وداود بن القاسم، والحماني يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمان بن ميمون أبو زكريا الحماني السوسي المتوفى عام مائتين وثلاثة وأربعين هجرية[1].

وقد سأل المتوكل يوماً، أبا الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام) عن أشعر الناس قائلاً:

أخبرنا يا أبا الحسن! من هو أشعر الناس؟

الإمام الهادي (عليه السلام): أشعر الناس هو الحماني - من أحفاد زيد بن علي السجاد (عليه السلام) - حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمطٍّ خدود وإمتداد أصابع

فلما تنازعنا المقال قضى لنا ... عليهم بما يهوى نداء الصوامع

ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت في كل جامع

فإن رسول الله أحمد جدّنا ... ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

المتوكل - يتسائل ويقول -: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٢١.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيبه قائلاً ـ: أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم يلتفت إليه ويقول: محمد هذا جدّي أم أجدّك؟

المتوكل ـ يضحك ويقول ـ: هو جدك حقاً، لا ندفعك عنه[١].

الشهادة المفجعة

٣٣: شهادته (عليه السلام): يوم الاثنين الثالث من رجب الحرام سنة مائتين وأربع وخمسين هجرية[٢].

سبب الشهادة

٣٤: سبب شهادته (عليه السلام): السم الذي دسه إليه المعتز العباسي في رمّان، وقيل: في شربة من ماء[٣].

الشهادة وواعيتها

٣٥: واعية الشهادة: لما فاضت روحه المقدسة، علا الصياح في داره، وقامت الواعية في الهاشميين والعلويين والطالبيين، يلطمون الخدود،

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٩٠ بتصرف، عن المناقب: ج٤ ص٤٠٦.

(٢) وذهب اليعقوبي ومن تبعه إلى أن وفاته (عليه السلام) كانت لثلاث بقين من جمادى الآخرة، كما عن كتاب "الإمام علي الهادي (عليه السلام)": ص١٠.

(٣) وفاة الإمام علي الهادي (عليه السلام): ص٦٠.

ويخدشون الوجوه وينادون: واضيعتاه، واوحدتاه، من لليتامى والمساكين، ومن للفقراء والمنقطعين؟[١]

نبأ الشهادة الأليمة

٣٦: نبأ الشهادة: انتشر نبأ شهادته (عليه السلام) في العالم الإسلامي وفي أوساط الشيعة إنتشار الأثير في الهواء، ففي كتاب "وفاة الإمام الهادي (عليه السلام)" ما معناه:

خرجنا بأموال زكوية وحقوق شرعية من قم نريد بها أبا الحسن الهادي (عليه السلام) في سامراء، فلما صرنا إلى منطقة تسمى "دسكرة الملك" تلقانا رجل راكب على جمل، ونحن في قافلة عظيمة، فتوجّه إلينا قائلاً:

أيّكم أحمد بن داود، ومحمد بن إسحاق؟

ينفرز أحمد بن داود، ومحمد بن إسحاق عن القافلة ويقولان للقاصد:

وما شأنك أيها القاصد؟

القاصد: معي اليكما رسالة.

أحمد ومحمد: وممن هي؟

القاصد: هي من سيدنا وسيدكما أبي الحسن الهادي (عليه السلام).

أحمد ومحمد: أنعم بالرسالة ومرسلها وحاملها، هاتها مشكوراً.

---

(١) وفاة الإمام علي الهادي (عليه السلام): ص٦١.

القاصد: إنه (عليه السلام) يخصكما وشيعته بالسلام، ويقول:

إني راحل إلى الله تعالى في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر من وصييّ أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام).

أحمد ومحمد: فاسترجعنا وبكينا من هذا النبأ المفجع، ولكن أخفيناه ولم نظهره، ونزلنا "دسكرة الملك" وإستأجرنا منزلاً وأحرزنا فيه ما كان معنا، ولما أصبحنا رأينا الخبر شائعاً في المنطقة والناس أشد حزناً وقلقاً مما نحن فيه[1].

القائم بمراسيم التجهيز

٣٧: القائم بتجهيزه (عليه السلام): ابنه ووصيه الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، وقد خرج خلف جنازة أبيه حاسراً مكشوف الرأس مشقوق القميص، كيف لا، وقد فقد أباً حنوناً، ووالداً شفيقاً، ومن هو حجة الله في أرضه، وخليفته في عباده، وكذلك إظهاراً للمظلومية والسخط على الظالمين والغاصبين، ولذلك لما اعترض عليه في شقّ قميصه أجاب (عليه السلام): أنه ليس بدعاً من الأمر، فلقد شقّ موسى كليم الله ـ وهو نبي مرسل ـ قميصه على أخيه هارون عندما خرج في جنازته يشيّعه، وخرجت جاريته خلف الجنازة تندب أبا الحسن الهادي (عليه السلام)، فلما رأى ذلك الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) قال:

---

(١) وفاة الإمام علي الهادي (عليه السلام): ص٥٩.

ما هاهنا من يكفي مؤونة هذه الجارية؟

فبادر بعض الشيعة إليها فأرجعها، فدخلت الدار وهي تقول: ماذا لقينا من يوم الإثنين[١].

وكلامها هذا هو إشارة إلى يوم إستشهاد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وما عقّبها من قصة السقيفة وإقصاء أهل البيت (عليهم السلام) عن الخلافة التي خصهم الله بها ونص عليها الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله).

وفي كتاب حياة الإمام الهادي (عليه السلام) نقلاً عن المسعودي قال: شارك أصحابه في تشييعه وهم يقولون: "ماذا لقينا في يوم الإثنين قديماً وحديثاً".

ويضيف الكتاب قوله: كان التشييع مهيباً، لم تر سامراء مثله، فقد اهتزت لفقده من أدناها إلى أقصاها، وهرع الناس كل الناس إلى تشييعه والهين، فقد فقدوا إماماً رؤوفاً، عزيزاً عليهم، حريصاً على مصالحهم، واشترك معهم حتى الجيش والأركان والأمراء والخليفة تظاهراً وسياسةً وامتصاصاً لنقمة الناس[٢].

الصلاة والمصلي

٣٨: المصلي عليه (عليه السلام): ولده ووصيه الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) وذلك قبل أن يخرج إلى الناس، وصلى عليه العباسي

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٢٤، بتصرف.

(٢) حياة الإمام الهادي (عليه السلام): ص٣٢٩.

لما أخرج[١].

والإمام المعصوم، لا يجهّزه ولا يصلي عليه ولا يدفنه إلا إمام معصوم، فإن كان حاضراً ـ كما اتفق للإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) عند استشهاد والده الإمام الهادي (عليه السلام) ـ قام بذلك كلّه جهاراً ولو بمرأى بعض من الخواص، وإن كان غائباً كما حدث للإمام السجّاد زين العابدين علي بن حسين (عليه السلام) حيث أسروه إلى الكوفة، أو لغيره من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) حيث لم يحضروا عندهم جهراً، حضروا سرّاً وقاموا بكل ذلك دون أن يعرفهم أحد، وقد يتعرف عليهم أحياناً، كما اتفق لبني أسد الذين جاءوا لدفن شهداء كربلاء، حيث رأوا الإمام زين العابدين (عليه السلام) قد أقبل لدفن أبيه: الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام)، وتعرفوا عليه.

وجاء في كتاب وفاة الإمام الهادي (عليه السلام) ما يلي: ثم غسّله ابنه الحسن العسكري (عليه السلام) وحنّطه وأدرجه في أكفانه، وصلّى عليه، وخرج في جنازته حافي القدمين، وقد شق قميصه حزناً على مصاب أبيه[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٢٤ بتصرف.

(٢) وفاة الإمام علي الهادي (عليه السلام)، للشيخ حسين الدرازي البحراني: ص٦١.

المرقد الشريف

٣٩: مرقده (عليه السلام) الشريف: دُفن (عليه السلام) في داره بسامراء، وضريحه اليوم ينافس السماء علواً وازدهاراً، تعلوه أكبر قبّة ذهبية في العالم، استعمل في بنائها مائة واثنان وسبعون ألف طابوقة ذهبية[١]، ويزدحم المسلمون من شرق الأرض وغربها لزيارته، والتسليم عليه، والتَطواف حول ضريحه المقدس[٢].

الرثاء و الراثون

٤٠: مراثيه (عليه السلام): الراثون للإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) كثيرون، لا يحصون عدداً من متقدمين ومتأخرين، نذكر من المتقدمين ما رثاه به شاعره المعروف: محمد بن إسماعيل بن صالح الصيمري، وهو يعزّي الإمام العسكري أبا محمد الحسن بن علي (عليه السلام) بأبيه ويقول:

الأرض حزناً زلزلت زلزالها وأخرجت من جزع أثقالها
عشر نجوم افلت في فلكها ويطلع الله لنا أمثالها

(١) دليل سامراء: ص٢٧، ويذكر السيد جعفر بحر العلوم في كتابه "تحفة العالم": ج٢ ص٧٣ بأن عدد الطابوق الذهبي المستعمل في بناء القبة الشريفة (٢٧.٧٢٨) عدا الحواشي والكتائب.

(٢) الإمام الهادي (عليه السلام)، لعلي محمد علي دخيل: ص١٠.

بالحسن الهادي أبي محمد تدرك أشياع الهدى آمالها
يا حجج الرحمان إحدى عشرة آلت بثاني عشرها مآلها[١]

ومن المتأخرين ما رثاه به الشيخ عبد الحسين بن الشيخ أحمد شكر، وهو يقول:

لله رزءٌ هدّ أركان الهدى من بعده، قُل للرزايا: هوني
حُطمت قناة الشرع حزناً بعده وبكت بقاني الدمع عين الدين
لله يوم للإمام الهادي سبع الطباق تزلزلت برنين
يوم به أضحى النقي متجرّعاً سماً بكأس عداوة وضغون
لله مفتقِد عليه تجلبب الدين الحنيف بذلة وبهون
يا ضامن الجنات يدخل من يشا فيها ومن قد شاء في سجّين
يا أرض سامرا ضمنت معظّماً أيّ المعظّم وإبن أيّ أمين[٢]

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٢٦.
(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٢٨.

هم كما وصفوا أنفسهم

وهنا نعود لنختم الفصل الثاني بما جاء عن الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام) في زيارة الجامعة الكبيرة، وهو يصف أئمة أهل البيت المعصومين (عليهم السلام)، فنردّد ما قاله بخشوع ونقول:

"بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفسي وَأَهْلي وَمالي، ذِكْرُكُمْ فِي الذّاكِرِينَ، وَأَسْماؤُكُمْ فِي الأَسْماءِ، وَأَجْسادُكُمْ فِي الأَجْسادِ، وَأَرْواحُكُمْ فِي الأَرْواحِ، وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفوسِ، وَآثارُكُمْ فِي الآثارِ، وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ..

"فَما أَحْلى أَسْمائَكُمْ، وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ، وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ، وَأَوْفى عَهْدَكُمْ، وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ..

"كَلامُكُمْ نُورٌ، وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ، وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوى، وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ، وَعادَتُكُمُ الإِحْسانُ، وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ، وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ، وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ، وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ..

"إِنْ ذَكَرَ الْخَيْرَ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ، وَأَصْلَهُ، وَفَرْعَهُ، وَمَعْدِنَهُ، وَمَأْواهُ، وَمُنْتَهاهُ.."[1].

ولنعم ما قال الناشي الصغير من قصيدة له في مدحهم (عليهم السلام) منها:

يـــا آل ياســـين مـــن يحـــبكم بغـــير شـــك لنفـــسه نـــصحا

(١) زيارة الجامعة الكبيرة، مفاتيح الجنان: ص٥٤٩.

أنتم رشاد من الضلال كما ... كل فساد بحبكم صلُحا
وكل مستحسن لغيركم ... إن قيس يوماً بفظلكم قبُحا
ما محيت آية النهار لنا ... وآية الليل ذو الجلال محا
وكيف تمحى أنوار رشدكم ... وانتم في دجى الظلام ضحى[1]

❖❖❖

وإلى الفصل الثالث من هذا الكتاب وهو فصل: "إمامة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ودوره الكبير في سعادة الحياة والمجتمع، وسيادة الإنسان وكرامته" فمعاً إلى ذلك الفصل المعطاء بإذن الله تعالى..

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣٥، والناشي الصغير هو أبو الحسين علي بن عبدالله بن الوصيف الناشي الصغير المتوفى سنة (٢٦٥) هجرية.

الفصل الثالث

إمامة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

و دوره الكبير في سعادة الحياة و المجتمع

و سيادة الإنسان و كرامته

الصفوة من الخلق

سبق الحديث بإجمال عن أئمة أهل البيت المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، بمن فيهم الإمام علي الهادي (عليه السلام)، وثبت من خلال مامضى بدليل العقل والمنطق، ولسان القرآن والحديث، تفوّقهم (عليهم السلام) على سائر الناس، وامتيازهم عن غيرهم من البشر، وذلك في كل شأن من شؤون الحياة، وكل بُعد من ابعاد الإنسان.

كما وثبت أيضاً، بأن ذلك التفوق والإمتياز لهم (عليهم السلام)، لم يكن بدعاً من الأمر، ولا ظلماً وتبعيضاً في الخلق، وانما هو مضافاً إلى تأهّلهم لذلك ضرورة ما تقتضيه التركيبة الإجتماعية، وبداهة ما تفرضه الطبيعة الفطرية، بما فيها من روعة وجمال، وحكمة وجلال..

كيف لا، وهم (عليهم السلام) كما ثبت فيما مضى، الهدف من خلق الكون، والغاية من إيجاد الإنسان، والنخبة التي اختارهم الله لخلافته في أرضه، واصطفاهم لإمتداد خاتم انبيائه وسيد رسله، وانتجبهم ليحتج بهم على عباده، ويرسي بهم دعائم دينه، وأحكام شريعته، ومعالم كتابه، وسنن أنبيائه ورسله.

وطبيعي لمثلهم (عليهم السلام) مع هذه المواصفات، أن يمتازوا عن سائر الناس، ويتفوقوا عليهم في حياتهم وشؤونهم، وتعاملهم وسيرتهم، كما

امتازوا عليهم من قبل في كيفية خلقهم وطينتهم، ونورهم وأرواحهم.

والحديث عن حياتهم، والكلام عن سيرتهم، وخصوصاً أيام قيامهم بأعباء الإمامة، وأدائهم لمسئوليتها الكبرى، حديث صعب، وكلام عسير، لأنه ليس بحديث عادي، عن شخص عادي، ولا بكلام مسترسل، عن شخصية عفوية، بل هو محاولة، لكشف اللغز المضمر، والسر الأكبر، الذي أودعه الله تعالى في أولئك النفر البيض من الغرّ الكرام، ففاقوا به سائر البشر، وسموا به على الملائكة، ونالوا به درجة العصمة والطهارة، وبلغوا به مرحلة الأسوة والقدوة، وتأهلوا به لحمل ودائع النبوة، وأسرار الإمامة، وأعباء خلافة الله في الأرض، وثقل سفارته تعالى بين الخلق.

فالحديث عنهم (عليهم السلام)، مهما كان جامعاً وشاملاً، فهو أمام عظمتهم، وتجاه قدسيتهم، أعجم لا يمكنه أن يفصح عن حقهم، وابتر لا يستطيع أن يصف قدرهم، فكيف له بأن يحيط بهم وبكنههم، ومن قبل قد قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو يخاطب علياً(عليه السلام): "ياعلي؛ ما عرف الله إلا أنا وانت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا"[١].

وفي رواية: "يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري"[٢].

---

(١) مختصر بصائر والدرجات: ص١٢٥.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٣ ص٢٦٧.

وهذا هو جارٍ لآخرهم، كما يجري لأولهم (عليهم السلام)، لأنهم من نورٍ واحد، وطينةٍ واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض.

وقد صدع القرآن الكريم في حقهم ذلك بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقد تلا الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام) هذه الآية الكريمة وقال: "نحن منهم، ونحن بقية تلك العترة"[2].

هذا ولكن حيث إن الحديث عن الوَرد وجماله، والزهر وأريجه، يفيض على الكلام جمالاً وأريجاً، وعلى الروح بهاءاً وسكينة، وعلى النفس دعة وروعة، سلكنا باب الحديث عنهم (عليهم السلام) لنقترف شيئاً من حسنهم وطيبهم، ونتزود قدراً من شذاهم وعطرهم، ونقتطف باقة من نورهم وجمالهم، ونتبرك بقدسهم وطهارتهم، ونفوز بحبهم وولايتهم، ونحظى بمتابعتهم ومشايعتهم، ونحرز ثواب ما وعد الله المتحدثين عن محاسنهم ومكارهم، وننال أجر الذاكرين لفضلهم ومناقبهم، إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) تفسير السيد شبر: ص٨٩.

الحديث عن الإمام الهادي عليه السلام

ونبدأ حديثنا هذا عن إمامة الإمام الهمام، أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، وبيان دوره الكبير في سعادة الحياة والمجتمع، وسيادة الإنسان وكرامته.

فهو (عليه السلام) من حيث خصائص الإمامة، وسمات العصمة، كواحد من المعصومين الأربعة عشر، تجمعهم وحدة الهدف، ووحدة التخطيط، ووحدة الاسلوب والعمل.

غير أن الظروف المعاصرة لكل واحد منهم (عليهم السلام)، هي التي تسبّبت التنوع في الصورة، واوجدت الفرق في الشكل، واحدثت الاختلاف في المظهر، مع أنه لو كانت الظروف التي عاشوها، (عليهم السلام) والزمان الذي عاصروه، على نسق واحد، وشاكلة واحدة، أو عاشوا جميعهم في عصر واحد، وعاصروا زمناً متشاكلاً، لرأيناهم (عليهم السلام) جميعاً يمشون على نهج واحد، ومخطط واحد، لأنهم يعقّبون هدفاً واحداً، وغاية واحدة، ألا وهو سعادة الإنسان، وفلاح المجتمع، وصلاح الكون والحياة، وذلك تحت نظام الإسلام العادل، وحكم القرآن الكريم، وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) الشريفة، وسيرة آله الكرام الرشيدة.

لكن حسب اختلاف الظروف، وتلوّن الزمان وتقلبه، اختلفت مناهجهم،

وتنوّعت خططهم، وتلوّنت صورها، وتغيرت أشكالها، رغم اتحادها في الصميم، ووحدتها في الأصل والواقع، والهدف والغاية.

من خصائص الإمامة و أدورها

الإمام الأول

فواحد ـ وهو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ يتسلح بسلاح الصبر والسكوت، ويجاهد المنقلبين على الأعقاب ـ كما وصفهم القرآن الكريم[1] ـ والمتآمرين على الإسلام والمسلمين، بجهاد الصمت والصمود، ويتغاظى عن حقوقة الشرعية، ويضحي بمصالحه الشخصية احتساباً، حتى يستقيم الدين، ويصلب عوده، وتبقى اتعاب الرسول (صلى الله عليه وآله) وجهوده الكبيرة مثمرة منتجة، محفوظة من الاندراس والضياع.

الإمام الثاني

وآخر ـ وهو الإمام المجتبى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ـ يتذرع بسياسة الصلح والمهادنة، ويجاهد المتطفلين على الإسلام والمسلمين من بني أُمية وغيرهم بجهاد الصبر والمسالمة، حتى يكشف القناع الكاذب عن وجوههم، ويعرّي أمثال معاوية بن أبي سفيان على واقعهم الحاقد على الله وعلى رسوله

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

وعلى المؤمنين.

الإمام الثالث

وثالث ـ وهو الإمام الشهيد أبو عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) ـ يستل سيف العدل، ويعلن نهضته الإصلاحية، ويضحي في سبيل الله تعالى بنفسه وأسرته وذويه، واعز مالديه حتى طفله الرضيع، ليقتلع عبر دمائهم الطاهرة جذور المندسين في الإسلام، من بني أمية أمثال يزيد بن معاوية الحاقدين على الإسلام والمسلمين، بل وعلى الإنسانية والبشرية.

الإمام الرابع

ورابع ـ وهو الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ـ ينتهج منهج الدعاء، ويفتتح مدرسة التثقيف الأُسرية، ويتسلح بسلاح البكاء والحداد، تنديداً بالظالمين، وإدانة للمستبدين، بني أمية وغيرهم، قتلة أبناء النبيين وذرية رسول رب العالمين، وإحياءً لنهضة ابيه الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) الإصلاحية، واثباتاً لمظلوميته وأهل بيته المظلومين عبر التاريخ.

الإمام الخامس

وخامس ـ وهو الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السلام) ـ يسلك منهج التثقيف

العام، ويمهّد لتأسيس جامعة إسلامية كبيرة، تنشر نور العلم والمعرفة، وتسلح المسلمين بسلاح العلم والتقوى، وتعيد إلى الإنسان إنسانيته ومعنويته، وتطلقه من قيد الجهل والسفاهة، وأسر الحمق والخرافة.

الإمام السادس

وسادس - وهو الإمام الصادق أبو عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) - يؤسس الجامعة الجعفريّه المعروفة: جامعة العلوم الإسلامية والتجريبية، ويقوم بدور الاستاذ البارع فيها، ويجعلها مفتوحة على العالم الإسلامي وغيره، ويعرض فيها ابحاثاً علمية، ودراسات تحقيقية، يردّ فيها على الفرق المختلفة، والآراء الباطلة، الناجمة من توسع العالم الإسلامي، وعن ترجمة الكتب اليونانية والقبطية والمجوسية والهندية، ويبحث فيها عن الأصول والعقائد، والشرائع والمذاهب، والأحكام والسنن، والأخلاق والآداب، والإنسان والاجتماع، والطب والهندسة، والفيزياء والكيمياء، وغيرها من العلوم الإسلامية والعصرية، ويكون (عليه السلام) - وهو يزرع نواة الثقافة الجديدة - مؤسس العلم الحديث ووراء الحضارة الجديدة.

الإمام السابع

وسابع ـ وهو الإمام الكاظم أبو الحسن الأول موسى بن جعفر (عليه السلام) ـ يرى الإسلام في خطر المسخ والتشويه، والمسلمين في خطر الابادة والتصفية، فيشتري السجن لنفسه، والنزوح عن وطنه، والبعد عن اسرته وأهله، والشهادة مسموماً في زنزانته، ليعلن مظلومية الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، وبربرية بني العباس، ووحشية أمثال هارون العباسي، الذين حكموا المسلمين بالحديد والنار، وذلك باسم الإسلام والدين، فيحفظ بتضحيته تلك، الإسلام من دسائهم، والمسلمين من مكرهم.

الإمام الثامن

وثامن ـ وهو الإمام الرضا أبو الحسن الثاني علي بن موسى (عليه السلام) ـ ينتدب من جهة الحاكم العباسي عبر مخّطط شيطاني خبيث لتسلّم الخلافة، فيرفضها (عليه السلام) بصراحة، فيهّدد بقبول ولاية العهد، فيقبلها بشروط حكيمة، يفضح من خلالها تآمر الطامعين من أمثال المأمون العباسي على نزاهة الإسلام، وقداسة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ورشادة تعاليم القرآن الراقية، كما ويتطلع من خلالها على علماء الأديان والمذاهب، في مؤتمرات عالمية، عقدها له المأمون العباسي للنيل من شخصية الإمام، لكنه (عليه السلام) يخرج منها

منتصراً، فيناقشهم في آرائهم ومعتقداتهم، ويبطلها ببرهان قويم، ودليل لا وهن فيه، ويثبت أصالة الإسلام وأنه الدين الحق، والمرضي عند رب العالمين، وذلك على النطاق العالمي الواسع الكبير.

الإمام التاسع

وتاسع ـ وهو الإمام الجواد أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) ـ يتسنّم منصب الإمامة وهو ابن سبع سنين، ويلبي طلب المأمون العباسي لمصاهرته، فيعقد على ابنته ام الفضل ويتزوجها بمهر السنّة: خمسمائة درهم، رغم ضغوط العباسي بزيادة المهر، وبمصاهرته للخليفة ينفتح على العالم الإسلامي وغيره، حيث يعقد له المأمون وبقصد النَيل من شخصيته، كما عقد لأبيه (عليه السلام) من قبل مؤتمرات ضخمة، ليلتقي فيها بالعلماء والمفكرين وعامة المسلمين، الذين نزحوا من كل صوب عميق، فيريهم آية إمامته، ويناقشهم في افكارهم وآرائهم، ويجيبهم على أسئلتهم وشبهاتهم، ويثبت لهم أنه الإمام الحق من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى أجاب عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد، أي في واحد من المؤتمرات التي عقدت له بهذا الصدد.

ويُحيي عبر ذلك أحكام القرآن، وتعاليم الإسلام، ويقوّي معالم الإنسانية، ومكارم الأخلاق، وذلك على نطاق عالمي واسع، حتى يتضح

للناس جميعاً معنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[١].

الإمام العاشر

ويأتي دور عاشرهم ـ وهو الإمام أبو الحسن الثالث، صاحب العسكر: علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وهو الهدف والغاية من هذا الكتاب.

فلنبحث معاً دوره (عليه السلام) الكبير، وأثره البالغ في سعادة الحياة وسيادة الإنسان، وذلك حسبما يسمح لنا إطار الكتاب، ومحدودية الوقت، ولننظر كيف وحّد (عليه السلام) هدفه، وكيف وحّد مخططه، ثم كيف وحّد عمله وجُهده، وصار مصداقاً حياً لما جاء عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) في دعاء الخضر الذي علمه (عليه السلام) لكميل، حيث يسأل ربه و يقول: "يارب يارب يارب، أسألك بحقك وقدسك، وأعظم صفاتك وأسمائك، أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً...".

نعم، لقد وحّد (عليه السلام) جهوده، واغتنم وقته وفرصته، وبذل وسعه ومجهوده، وجنّد كل طاقاته وإمكاناته، وصبّها في طريق واحد، وهدف واحد، وجعلها ورداً واحداً حتى إستطاع من ضمّ دوره (عليه السلام) إلى ادوار الائمة الباقين من أهل البيت (عليهم السلام) الحصول على النجاح في مهمته، والفوز

---

(١) سورة مريم: ١٢.

ببلوغ هدفه، وذلك بتمهيد المقدمات الأولية، وتهيئة الأرضية المناسبة، والأجواء الصالحة، لبسط العدل في الكون والحياة، وتوفير السعادة على الإنسان والمجتمع..

استدراك

طبعاً هذا مشروط أولاً: بوعي البشرية مناهجهم (عليهم السلام) العادلة، وسيرتهم الفاضلة، وتعاليمهم الأخلاقية، وتعاملهم الإنساني، وسلوكهم الطيب، وثقافتهم السماوية الراقية، والمجسدة لثقافة القرآن الكريم.

وثانياً: إرادة تطبيق ذلك في حياتهم وواقعهم، وإلا فالنظرية بلا تطبيق، والعلم بدون عمل، والشعار بلا إرادة، كالشجر بلا ثمر، والسحاب بلا مطر.

علماً بأنه لولا جهودهم (عليهم السلام) الدائبة، وتفانيهم في سبيل الله الخالصة، وتحملهم المشكلات والمصاعب، وصمودهم أمام العواصف والقواصف، حرصاً منهم لأداء مسؤليتهم، وإنجاز مهتهم، لما وصل إلينا شيء من الإنسانية قط، ولما بقي فينا معنى من معاني الاخلاق والآداب، والمكارم والمحاسن، ولما لمع باوساطنا للعلم والحرية نور، ولا للعدل والرفاه سور، بل لطبق الكون ظلام الجهل والفقر، وملأ الحياة بلاء المرض والعبودية، وويلات الفرقة والحروب، كما كانت عليه الجاهلية الأولى، وفترة القرون الوسطى، بل أشدّ من ذلك وأدهى.

وهذا ما نسعى لإثباته هنا بالأرقام إن شاء الله تعالى، فمعاً إلى لقطات نيرة من دور الإمام الهمام: أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في إصلاح الكون والحياة، وإسعاد الإنسان والمجتمع..

دور الإمام الهادي عليه السلام

إنّ دور الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) ربما يمكن تصوير مداه وتحديد أبعاده قياساً بنجاحه الكبير في إنجاز مهمته، وتحقيق هدفه، إذ بمقدار تحقق الهدف وإنجاز المهمّ، يكون الدور فاعلاً مؤثراً، وصائباً وناجحاً.

ومقياس النجاح يقرره: موقف الإنسان وسلوكه في الحياة، وسيرته وتعامله مع الاحداث، واخلاقه واجتماعياته مع الناس.

فهي إذا جمعت شروط النجاح، وجائت متناسبة مع المتطلبات، واعطت كل شيء حقه، ووضعت الاشياء مواضعها، كانت كفيلة بإنجاز المهّمة، وبلوغ الهدف.

أما إذا خسرت الشروط، أو تخلّفت عنها، أو عن شيء منها، فإنها سوف تخسر بمقدار ذلك من بلوغ الهدف المنشود، وتتلكأ بقدرها عن تحقيق المقاصد المطلوبة.

السيرة المباركة

لكن عندما نراجع حياة الإمام الهادي (عليه السلام)، ونطالع سيرته الكريمة والمباركة، نراه (عليه السلام) قد جمع في سلوكه الحسن وأسلوبه الجميل وسيرته الطيبة، كل مؤشرات النجاح وجميع مؤهلات النصر والظفر.

فهو مع الناس: ليناً عطوفاً، وهشاً بشاً، كالأب الحنون والوالد الشفيق.

ومع الأحداث: قوياً عزيزاً، مقداماً طموحاً، ومقاوماً صامداً، كالجبل الراسخ، والطود الشامخ.

ومع الحياة: حكيماً مدبراً، ومجرّباً ناجحاً، ومخّططاً هادفاً، ومجاهداً عاملاً، يعطي كل شيء حقه، ويضع كل شيء موضعه، لايغفل ولايخطأ، ولاينسى ولايجهل، أحاط بالامور عناية، واستوعب الجهات والابعاد رعاية، وشمل البلاد والعباد سياسة وادارة، وذلك بفضل ما وهبه الله تعالى من العصمة، وألهمه من العلم والحكمة.

فسيرته حكيمة ورشيدة، وأسلوبه مرضي ومحمود، وسلوكه جميل وبديع، يفصح عن مستوى رفيع، ومقام منيع، يعلو مستوى البشر العادي، ويفوق مصاف الملائكة المقرّبين، ويضاهي عباد الله المكرمين، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون.

فعلم غزير كالسيل، وحلم كبير كالسماء، وجود عميم كالبحر، وخلق عظيم يسع الدنيا، وصدر رحيب يضّم العالمين، ومناقب كثيرة لا تحصى، وفضائل جمّة لا تقدّر، يتضاءَل أمامها كل منقبة وفضيلة، ويتصاغر عندها كل محمدة ومكرمة، فهي فوق ما يتصوره إنسان، أو يدركه عقل بشر.

كيف لا يكون كذلك، وفي الحديث الشريف كما يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن عيون المعجزات بأنه لما خرج الإمام الجواد أبو جعفر (عليه السلام) حاجّاً، وخرج أبو الحسن علي الهادي (عليه السلام) ابنه وهو صغير السّن، فخلّفه في المدينة، وسلّم إليه المواريث والسلاح، ونص عليه بمشهد ثقاته وأصحابه[1].

نعم إنه (عليه السلام) بحسب النصوص الشرعية هو عاشر أئمة أهل البيت، وثاني عشر المعصومين، وخليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، وممثله في خلقه، حبيبه وابن حبيبه، وصفيّه وابن صفيّه، وصي رسول الله، وعاشر خلفائه من بعده، الجاري في حقه ما جرى لرسول الله، والماضي فيه ما أخبر به الله في كتابه بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2]، فهو (عليه السلام) الامتداد الشرعي لجده الرسول (صلى الله عليه وآله) في الاسوة والقدوة، والنموذجية والمثالية.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦ حديث٢٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

أقسام السيرة الكريمة

ويمكننا تقسيم ما أشرنا إليه من سيرته (عليه السلام) الكريمة إلى قسمين رئيسيين، وتنويعها إلى ظاهرتين متميّزتين، هما كالتالي:

١: الظاهرة الطبيعية من سيرته الكريمة، وهي تشمل كل حركاته وسكناته (عليه السلام)، وتعمّ كل أعماله وأقواله، كأي إنسان آخر يعيش على كرة التراب، ويقيم في أرجاء هذا الكوكب، يزاول أعماله اليومية، ويواصل حياته الطبيعية.

٢: الظاهرة الإعجازية من سيرته الكريمة، وهي التي تختص بالأولياء المقرّبين، والأئمة المعصومين، مما لا يكون من العادة لكل إنسان مزاولتها، ولا من طبيعة كل البشر ممارستها في حياته اليومية الدارجة.

بل تكون من امتيازاته واختصاصاته (عليه السلام)، ودليلاً على إمامته وخلافته في الأرض، وبرهاناً على ولايته من الله، ووصايته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وامتداده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي نص عليه القرآن بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1].

وسنحاول بسط هاتين الظاهرتين ـ في بابين مستقلين ـ متمسّكين بحول الله

---

(١) سورة المائدة: ٥٥.

وقوّته، وملتمسين توفيقه وعونه إن شاء الله تعالى، فمعاً إلى ذلك:

القسم الأول: الظاهرة الطبيعية من سيرته (عليه السلام) الكريمة، ونبدأ به إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني: الظاهرة الإعجازية من سيرته (عليه السلام) الطيّبة، ويأتي الكلام عنه بإذن الله تعالى وتوفيقه آخر المطاف.

القسم الأول

من السيرة العطرة:

الظاهرة الطبيعية

الظاهرة الطبيعية

أما القسم الأول: وهي الظاهرة الطبيعية من سيرته (عليه السلام) العطرة والكريمة، فإنها كما أشرنا تشمل كل حركاته وسكناته، وأعماله وأقواله، كأي إنسان آخر ولكن...

ولكن كما قلنا: سيرتهم كصورتهم، متفوقة على غيرهم، متميزة عنهم، منطبعة بفارق كبير، وامتياز ظاهر منير، بحيث لا يستطيع أحد أن يقيس مدى بعدها، وسعة افتراقها، وعظم امتيازها عن حركات سائر الناس وسكناتهم، وأقوالهم وأفعالهم، وبالتالي: عن كل سلوك الناس وسيرتهم.

إذ الفرق بين السيرتين: سيرته (عليه السلام) وسيرة سائر الناس: كالفرق بين السماء والأرض، والثريا والثرى، والبحر والقطر، والمجرّة والذرة..

وعلى إثر هذا الفارق الكبير، والامتياز العظيم، اتسمت سيرته (عليه السلام) بالنموذجية، واتصفت بالحجيّة، وأصبحت كباقي سيرة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) امتداداً شرعياً، لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيرته المباركة، ومصدراً رئيسياً، من مصادر الشريعة الإسلامية، ومفسراً صادقاً لكتاب الله تعالى، ووحيه المنزل على رسوله.

وبذلك خرجت سيرته (عليه السلام) ـ كما ألمحنا سابقاً ـ عن نطاق التعريف، وتمرّدت على قدرة البيان والتوصيف، وخصوصاً من مثلنا، نحن البشر

العاديين، ولم يبق لنا طريق إلى ذلك، سوى أن نلتجئ إليه (عليه السلام)، لنرى كيف يصف ذلك، وكيف يُعرب عنها، فنردد ما قاله (عليه السلام) في تعريفها[١] ونقول:

" كلامكم نور..." في مجال تعريف أقوالهم (عليهم السلام) فإنها نور تضيء سبل الحياة، وتهدي إلى الله تعالى ودينه الحق.

"وأمركم رشد..." في بيان توصيف أوامرهم ونواهيهم (عليهم السلام)، فإنها تهدي إلى التقى والرشاد، وتقي من الغي والضلال.

"ووصيتكم التقوى..." في مجال توضيح وصاياهم (عليهم السلام): فإنه كما قال تعالى: "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"[٢].

"وفعلكم الخير..." في بيان كيفية أعمالهم وأفعالهم (عليهم السلام)، فإنها عمت البشرية بالخير، وعلّمتها دروس البرّ والفضيلة.

"وعادتكم الإحسان..." في مجال تعريف عاداتهم وطباعهم (عليهم السلام)، فإنها جُبلت على الإحسان وفاضت منهم على الناس.

«وسجيتكم الكرم...» في بُعد أخلاقهم وسجاياهم (عليهم السلام)، فإنها كريمة، ونزيهة عن كل شائبة، وسليمة من كل نقص.

"وشأنكم الحق والصدق والرفق..." في جانب تعريف حقيقتهم وواقعهم

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٧٢.

(٢) سورة العصر: ٣.

(عليهم السلام)، حيث إنهم لا يتعدّون في شيء من سيرتهم الطاهرة عن الحق، ولا في أقوالهم عن الصدق، ولا في أمورهم عن الرفق، المنبئة عن طهارة أرواحهم، وقداسة أنوارهم.

"وقولُكُم حُكم وحَتم..." في مجال تبيين أقوالهم (عليهم السلام) وتوصيفها بالحجية، وإنها امتداد لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيرته الطاهرة.

"وَرأيكم عِلمٌ وحِلمٌ وحزم..." في بيان سداد رأيهم وصواب أفكارهم (عليهم السلام)، وأنها مؤيدة بالعصمة من الله تعالى، ومأمونة من الخطأ والاشتباه، والخرق والسفاهة.

"إن ذُكِر الخير، كنتم أوله وأصله، وفرعه ومعدنه، ومأواه ومنتهاه..."، وهذا في بيان سيرتهم (عليهم السلام) وسلوكهم، فإنهم (عليهم السلام) بسيرتهم الطيبة، وسلوكهم الإنساني، جعلهم الله تعالى مصدر كل خير، وأصل كل مكرمة، ومنبع كل نور، وأساس كل إنسانية وخُلُق كريم، لا ترى فيها نقصاً ولاعيباً، ولا إفراطاً ولا تفريطاً.

فسيرتهم (عليهم السلام) هي الطريقة المستقيمة، والصراط المستقيم، الذي ندبنا الله سبحانه إلى انتهاجه، وفرض علينا اتّباعه، بقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ**﴾[1].

ثم حذّرنا عن انتهاج غيره، وحرّم علينا اتباع ما عداه بقوله عزّ وجل:

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[١].

ثم أكد علينا ذلك بقوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢].

سؤال و جواب

ولعل هناك من يقول متسائلاً:

لعلّنا لو فتشنا التاريخ بدقة لعثرنا فيه على نقاط مبهمة في حياتهم وسيرتهم، تستدعي على الأقل الاستفهام والاستجواب، وتنتظر الشرح والتفسير.

فإذا كان من يسأل ذلك، كان جوابه ما يلي:

إنه على العكس تماماً، فإن من يطالع التاريخ ـ تاريخ الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) عن المصادر الإسلامية ـ بدقة، وينقده بحذق، يعود آمناً مطمئناً، بأن سيرتهم (عليهم السلام) معصومة من الخطأ، وحياتهم مصونة من الزلل، وإنه لم تكن في سيرة الإمام الهادي وحياته، ولا في سيرة سائر المعصومين الأربعة عشر ولا في حياتهم (عليهم السلام)، أي مجالٍ للمؤاخذة والمناقشة، ولا أية نقطة للاستفهام والاستعلام.

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

فإنهم (عليهم السلام) على ما كانوا عليه من ظروف قاسية، وزمن عنود، وما كانوا يعانونه من حكومات مناوئة، وسلطات مستبدة، كان لهم أعداء ألدّاء قعدوا لهم بالمرصاد، وجعلوهم تحت الرقابة المشدّدة، والرصد الدقيق، ووضعوا كل حركاتهم وسكناتهم، وجميع أقوالهم وتصرفاتهم، تحت المجاهر الكبيرة، لعلهم يعثروا فيها على نقطة يمكنهم التشبث بها، والتشنيع عليهم بسببها، فلم يعثروا على شيء، وبقي ذلك حسرة في قلوبهم، حتى ماتوا بغيظهم لم ينالوا خيراً، ولو أنهم عثروا على شيء من ذلك، ولو كان قليلاً وضئيلاً، لأقاموا الدنيا وأقعدوها، ولملئوها إعلاماً وتبليغاً، وتزميراً وتطبيلاً بسبب ذلك.

ولكن هيهات، وأنّى لهم بذلك، فهم ـ الإمام الهادي وبقية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ـ من أهل البيت الذين قال الله في حقهم: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1].

وقد مدحهم حتى أعداؤهم، وأشد معانديهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

ثم إنه لو جال في النظر من سيرتهم (عليهم السلام) ما يتوهم أنه مستلزم للاستفهام، ومستحق للاستعلام، فإنما هو في النظر البدوي الأولي، وإذا أمعنّا النظر فيه وفي ظروفه وملابساته، لرأيناه صائباً ومتيناً، وفي أقصى درجات المتانة

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

والصواب.

وخير دليل على ذلك، هو ما نراه اليوم ونشاهده عياناً في أوساطنا: من غضاضة الإسلام وتعاليمه الإنسانية، وصيانة القرآن واحكامه السماوية، وسلامة السنة النبوية الكريمة من التحريف والاندراس، ونزاهة سيرة أهل بيت رسول الله الطاهرين (عليه وعليهم السلام) من التشويه والانطماس، مع كثرة الأعداء والمناوئين، المتربصين بهم الدوائر، والمنقضّين عليهم من كل جانب، يبغون اجتثاث أُصولهم، وإعفاء آثارهم ومعالمهم، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره وينصر رسوله وأهل بيته ولو كره المشركون والكافرون والمنافقون.

أبعاد السيرة الطبيعية و أقسامها

ثم إن الظاهرة الطبيعية من سيرته (عليه السلام) الكريمة، تشمل كل أبعاد حياته الطبيعية، وتسع كل جوانبها العادية، ونحن نبحث عن بعض ما تيسر لنا منها بعون الله تعالى وقوته، في بُعدين:

❖ ١: البُعد الأول: سيرته (عليه السلام) الاجتماعية والسياسية، ويتلخص بحثنا عنها في ثلاثة مجالات:

المجال الأول: سيرته (عليه السلام) مع السلطة الحاكمة.

المجال الثاني: سيرته (عليه السلام) مع عامة الناس.

المجال الثالث: سيرته (عليه السلام) مع خواصه واسرته.

❖ ٢: البُعد الثاني: سيرته (عليه السلام) العلمية والثقافية، وهي أيضاً كالبُعد الأول فيها مجالات، ويتلخص بحثنا عنها في مجالات خمسة:

المجال الأول: الأصول والمسائل الإعتقادية.

المجال الثاني: الأحكام والفروع الفقهية.

المجال الثالث: الحِكَم والآداب الاجتماعية.

المجال الرابع: الطب والمسائل الوقائية.

المجال الخامس: الأدعية والزيارات.

أما الآن ففي البُعد الأول من الظاهرة الطبيعية، وهي سيرته (عليه السلام) الإجتماعية والسياسية.

البُعد الأول:

سيرة الإمام الهادي عليه السلام

الاجتماعية و السياسية

السيرة الاجتماعية والسياسية

إذا كانت السياسة هي: إدارة العباد والبلاد، والسياسي هو: من يدبّر أمور شعبه على أحسن ما يرام، ويدير شؤون بلاده على أسلم وجه، فالإمام الهادي (عليه السلام) كسائر الأئمة (عليهم السلام) هم ساسة العباد، وأركان البلاد.

وإذا كانت الحياة الإجتماعية للإنسان ـ أيّ إنسان كان ـ تبدأ عندما يعيش وسط مجتمع، أو في أُمّة، ثم يستطيع بحسن سيرته واجتماعياته، وطيب معاشرته ومداراته التأثير فيها: في فكرها واعتقادها، وفي أخلاقها وسيرتها، فالإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) شأنه شأن باقي الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يكون أقدر رجل في السياسة بمعناها الصحيح، وأعظم شخصية اجتماعية عرفها التاريخ في عصره وزمانه الذي كان فيه.

ومن المعلوم: أن الإنسان بمقدار تأثيره، تقدّر شخصيته الاجتماعية قوةً وضعفاً، كما أن بمقدار شخصيته وقوتها يكون تاثيره في المجتمع والأمة أقوى وأبلغ، وأشد وأمضى.

هذا في سائر الناس، فكيف بمن نترجم له ونتحدث عنه وهو خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، المنصوص من الله تعالى، لسياسة عباده وأركان بلاده، والامتداد الشرعي لرسوله وخاتم أنبيائه: الإمام الهمام أبو الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، فإنه ـ كسائر المعصومين (عليهم السلام) ـ

يكفيه في عظم شخصيته، وجلالة منزلته: أن الله قد اختاره وجعله الهدف والغاية من خلق الكون والحياة ـ كما أُثبت ذلك في ما مضى ـ والمحور والمركز للإنسان والمجتمع، وطبيعي أن يكون تأثيره على المجتمع، وتأثُر المجتمع به، أقصى ما يتصوّر، وأرفع ما يكون من درجات التأثير.

نعم، إن للإمام الهادي (عليه السلام) كما لسائر الأئمة (عليهم السلام)، دورَ القلب النابض بالحياة، من جسد الأُمة والمجتمع البشري، يتمحور حوله أجسادهم وأرواحهم، وتحنّ إليه أفئدتهم ونفوسهم، بعد أن كان قد تمحور حول وجوده (عليه السلام) وجودهم وخلقهم، كما يتمحور ـ مع ضيق التعبير ـ الالكترون حول البروتون والنوترون، والكواكب السيارة حول الشمس وجِرمها المضيء.

وطبيعي لمثله (عليه السلام) أن يأتي تأثيره في الناس، وتأثر الناس ـ كل الناس ـ به كبيراً وعالياً، فقد اختاره الله كأبيه أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) يعسوباً لدينه وللمؤمنين، ومحوراً ينتظم به الكون والحياة، ويسعد به الإنسان والمجتمع، ومنحه العصمة والطهارة، ليكون قدوة وأُسوة في كل خير.

حتى جاءت أسماؤهم (عليهم السلام) مشرقةً في كل مكان، وأنوارهم مضيئةً في كل الأرجاء، وأخلاقهم حيّةً في النفوس، وتعاليمهم ساريةً في الحياة، والتاريخ يهتف بهم وبمثاليتهم، ويمجّد فضلهم وطهارتهم، ويصرخ بعصمتهم وطهارتهم، ويُعلن عن سؤددهم وكرامتهم.

والكل - إلا من خسر نفسه وحرم الخير - يحبّهم ويحن إليهم، والجميع يهواهم ويميل إليهم، ويعترف بقداستهم ونزاهتهم، رغم كل التضييقات التي كانت ولا تزال تجري عليهم، وتمارس في حقهم، ومع التعتيم الإعلامي، بل الحرب الإعلامية الي بقيت ولا تنفك تدور ضدهم وضد من يحبهم ويميل اليهم، وذلك من جهة أولئك الذين ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾..[1] - لكن - ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

ونبدأ بحياته (عليه السلام) الاجتماعية والسياسية، بالحديث عن المجال الأول، وهو: سيرته (عليه السلام) مع السلطة الحاكمة، بإذنه تعالى وتوفيقه.

---

(١) سورة التوبة: ٣٢.

(٢) سورة التوبة: ٣٢

المجال الأول :

سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام

مع السلطة الحاكمة

الإمام عليه السلام والسلطة الحاكمة

حيث كان هدف الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ـ والذي اختاره الله تعالى لذلك ـ هو: إسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة، لم يكن يهمّه ركوب الحكم والسلطة، وتسلّم الخلافة والولاية الظاهرية، كما أنه لم يعبأ بها في يد من كانت، أفي يده كانت، أم في يد غيره، بعد أن منحه الله تعالى الولاية التكوينية، وخصّه بالخلافة الشرعية لجده الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبوصاية الأئمة الطاهرين من آبائه (عليهم السلام)، إذ الحكومة والإمارة في نظره (عليه السلام)، ليست رئاسة وزعامة فحسب، وإنما هي مسئولية ومؤاخذة أيضاً.

وذلك كما قال أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في حديثه مع ابن عباس بذي قار، وهو يخصف نعله متسائلاً: يا ابن عباس، ما قيمة هذا النعل؟

ابن عباس: لا قيمة لها، يا أمير المؤمنين.

أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ما ألفت نظر ابن عباس إلى النعل، وأخذ إقراره بأنه لا قيمة لها قال: والله، لهي أَحَبُّ إليّ من إمْرَتِكُم، إلا أن أُقيم حقاً، أو أدفع باطلاً[1].

---

(١) نهج البلاغة: مطلع الخطبة رقم٣٣

نعم، لو واتَتهُم الفُرَص، وسَخَت لهم الظروف، وتوفرت لهم الشرائط، وانقاد لهم الناس، وانصاعوا لقبول ولايتهم، طواعية ورغبة ـ كما اتفق ذلك للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد مقتل عثمان، حيث إنه ـ كما جاء في نهج البلاغة ـ انهال الناس عليه للبيعة، كعرف الضبع، ينثالون عليه من كل جانب، حتى وطيء الحَسْنان، وشق عطفاه:

رأوا (عليهم السلام) في أنفسهم ـ وهم كذلك ـ كامل الأهلية لتصدي مهامّها، والقيام بأعبائها، وتمام المسؤولية التي فرضها الله عليهم وكتبها لهم، وكمال الحجة التي ألزمهم الله بها وفوّضها إليهم، وقد أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته الغراء، المعروفة بالشقشقية بقوله:

«أما والذي فَلَقَ الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظَةِ ظالم، ولا سَغَب مظلوم، لألقيتُ حَبلها على غاربها، ولَسَقَيتُ آخرَها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[1].

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم٣.

الحكومة عند أهل البيت عليهم السلام

إذن: فالحكومة والإمارة عنده (عليه السلام) ليست هدفاً وغايةً، حتى يعمل من أجلها، ويضحّي في سبيلها، بل وسيلة إلى إقامة صروح العدل والحق، وإسعاد الإنسان والمجتمع، وذريعة لإزاحة أشباح الظلم والباطل وإنقاذ البلاد والعباد، وإصلاح الكون والحياة، فإذا لم تلقِ الخلافة بزمامها اليه، ولم تسلّم قيادها له، ليتذرّع بها إلى إحقاق الحق وإزهاق الباطل، لم يشغله انعزاله عنها عن مواصلة هدفه، ومتابعة مهمته، ولم يصرفه التفكير فيها عن التفكير في اسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة.

بل على العكس من ذلك كله، فإنه (عليه السلام) لما رأى نفسه في راحةٍ من أعبائها وأثقالها، وفراغٍ من مسؤولياتها وعنائها، ومعزلٍ من مشكلاتها وويلاتها، تفرّغ لمواصلة هدفه الذي اختاره الله لتحقيقه، ومتابعة مهمته التي انتخبه الله تعالى لإنجازها.

متوخّياً لذلك أفضل الطرق وأسلمها، منتهجاً سياسة الصمت الغاضب، وجهاد السكوت الحاسم، الموحي بالاستنكار عليهم، والمنطوي على سخطه لهم، رغم تظاهره بالحياد ومهادنة السلطة الحاكمة بلا تعرض ظاهرٍ للمخالفة معها، ولا إعلان للحرب عليها، مغتنماً الفرصة من خلال توفر الساحة المناسبة على عاملَين تاليين لخدمة هدفه السامي:

١ : عامل التفرغ عن مسؤوليات الحكومة والإمارة الظاهرية، والراحة من أعبائها الثقيلة.

٢ : عامل الدعة بترك التعرض لمحاربة السلطة الحاكمة ومجابهتها.

فإنه من خلال هذين العاملَين وفّر (عليه السلام) الفرصة على نفسه للعمل على مواصلة نشاطه، ومتابعة مهمته، وتحقيق هدفه: من إسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة، في ظل الدين الإسلامي الحنيف، وتعاليمه الإنسانية الراقية، وعبر تعامله العادل الحكيم، وسيرته الأخلاقية الكريمة.

الحكّام المعاصرون له عليه السلام

عاصر الإمام الهادي أبو الحسن الثالث، علي بن محمد (عليه السلام) أيام إمامته فترة غير قصيرة من الخلافة العباسية - وكانت فترة عصيبة، مليئة بالتوترات الاجتماعية، والاضطرابات السياسية، والحروب والثورات الشعبية[1] - شغل تلك الفترة ستة أفراد من خلفائها، وهم كالتالي:

المعتصم، في بقية ملكه، ثم الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، حيث استشهد (عليه السلام) على يد هذا الأخير.

وكانت الخلافه العباسية، هي الأخرى كالخلافة الأموية - بل كل حكومة تتصدى للحكم، وتتربع على كرسي الخلافة، بلا مؤهلات ذاتية، ولا كفائات

(١) ناسخ التواريخ: الأجزاء المختصة بحياة الإمام الهادي (عليه السلام)، وكذا الكامل والمروج والطبري وغيرها من التواريخ.

واقعية ـ تنتهج منهاج الدكتاتورية والاستبداد، وتتخذ أسلوب القمع والإرهاب من جهة، وتتذرّع بسياسة التضليل والإغراء، ووسائل التشكيك والأغواء من جهة أخرى، لتوفر على نفسها عوامل البقاء، ودوام الهيمنة والسلطة، ومن الطبيعي لها أثر ذلك أن تمنع من الانتقاد والاقتراح، ومن إيجاد المؤسسات الدستورية المتلائمة وظروفها المعاصرة، والتي هي في عصرنا ينبغي أن تكون عبارة عما يلي:

الجماهير المسلمة الواعية، المتآخية فيما بينها، المتعاونة على الرقي والتقدم، التابعة لمراجع التقليد الأتقياء، أصحاب الرسالات العملية، ذوي الكفاءات الروحية والذاتية، والمرتبطة في ما بينها وبين مرجعها بنطاق "الاجتهاد والتقليد".

فالمراجع هم: المجتهدون الجامعون لشرائط التقليد، العارفون بالزمان.

والجماهير المسلمة هي: التشكلات المتآخية والمتعاونة فيما بينها، المقلدة والتابعة لأولئك المراجع، الذين هم الحجة في عصر الغيبة، إذ هم الوكلاء العامّون والامتداد الشرعي للإمام الغائب الحاضر صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن المهدي (عليه السلام)، كما صرّح بذلك في توقيعه الشريف القائل: «... فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[1].

والمتوفرة لهم ـ بسبب تعاضدهم وتكاتفهم ـ كل وسائل الإعلام الحر، ومنابره الحرّة، من إذاعات، ومحطات للبث، وصحف، ومجلات، ودور

(١) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٨٠ حديث١

النشر، وما إلى ذلك، حتى تتوزع القدرة فيما بينها، ولا تتمركز في فرد الحاكم أو الحكومة، فتفعل ما تشاء بلا حساب.

وليظهر من خلال تنافسهم على الخير والإصلاح، والتقدم والإعمار، كل من له كفائات ذاتية، ومؤهلات واقعية، للإدارة والحكم، فيسعدوا بذلك ويُسعدوا الآخرين.

لكن حيث لم يكن لأصحاب الخلافة العباسية ـ وكذلك الأموية والعثمانية ـ شيئاً من المؤهلات والكفاءات، خنقوا الأصوات، وعتّموا الأجواء، مخافة ظهور أصحاب الكفائات وذوي المؤهلات، وسيطرتهم على الساحة الاجتماعية والسياسية، وخصوصاً من مثل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي الحسن الثالث، الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، الذي قد وفّرت فيه حكمة السماء، كل مؤهلات الخلافة والقيادة، وزرعت فيه جميع كفاءات الإمامة والولاية، بالإضافة إلى ما يملكه من رصيد اجتماعي كبير، ومحبوبية عالية في قلوب الناس.

لذلك عملت الخلافة العباسية، ودأبت كما تدأب كل الحكومات المتطفلة على الحكم، والمتسلطة على رقاب الناس، أولاً: في احتواء الإمام الهادي (عليه السلام) وصَهره في طريقها ونهجها، واستهوائه وإغرائه بما لديها من مغريات.

لكنها حيث فشلت في هذا المجال، سعت ثانياً: إلى اغتيال شخصيته الاجتماعية، وتحطيم مكانته العلمية، وذلك عن طريق المناقشات والبحث الحر

على مستوى الأديان والمذاهب العالمية، وفي سطح الأفكار والآراء العصرية الحديثة يومذاك.

ولمّا فشلت في ذلك أيضاً، التجأت إلى الخطة الثالثة: من فرض الرقابة الشديدة عليه، وجعله وكل حركاته تحت الرصد الدقيق، ولذلك استقدمته من مدينة جدّه (صلى الله عليه وآله)، ومسقط رأسه، مدينة الوحي والرسالة: المدينة المنورة، إلى دار الخلافة، وثكنات الجيش والعسكر: سامراء.

الإمام عليه السلام في المدينة المنوّرة

كان أبو الحسن الثالث الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ـ كبقية آبائه الطاهرين (عليهم السلام) ـ مدنيّ المولد، مدني النشأة، وكان أهلها وشيعته فيها يهوونه ويوالونه، ويكنّون له غاية الإجلال والاحترام والمحبة، لما يرون فيه من الإنسانية والمكارم، والتعامل الأخلاقي الطيّب والجميل، وما يحمله بين جوانبه من العلم الغزير، والحلم الكبير.

بالإضافة إلى أنه يمثّل فيهم جده الرسول (صلى الله عليه وآله)، نسباً وحسباً، فهو ابنه وحفيده، ووارثه ووصيه، وامتداده الشرعي والتكويني، وهم أتباعه وأنصاره، وأولياؤه ومحبّوه، وتلامذته وطلابه.

بينما كانوا قد أعرضوا عن الوالي العباسي: عبد الله بن محمد، الذي كان يتولى شؤون الحرب، وإقامه الصلاة بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولم يعبأوا به، مما جعل الوالي يرى في هذا الإعراض إهانةً له، وخفّةً به.

فأخذ يحسد الإمام الهادي (عليه السلام) على مكانته الاجتماعية، وشعبيته الكبيرة لدى الناس، ويكّن له الحقد والعداء ـ شأنه في ذلك شأن صغار النفوس، عديمي الكرامة والإنسانية ـ وراح ينفّس عن حقده وعدائه بوشاية الإمام الهادي (عليه السلام) إلى المتوكل العباسي، وسعايته إليه، وبكيل التهم

السياسية والافتراءات الكاذبة عليه، علّه يستطيع عبر ذلك من إثارة حفيظة المتوكل العباسي ضده، فيتخلّص من وجوده ومزاحمته ـ حسب نظره ـ فيصفو له الجو بعد ذلك، ويحظى باحترام الناس وإكبارهم له.

ولما علم الإمام الهادي (عليه السلام) بأن الوالي قد سعى به إلى المتوكل، وكال له التهم السياسية الكاذبة، تدارك (عليه السلام) ذلك عبر رسالة كتبها إلى المتوكل، أشار فيها إلى تحامل واليه على المدينة: عبد الله بن محمد عليه، وذكر له براءته من كل ما اتهمه به، كما وأوضح فيها عن موقفه تجاهه وتجاه عامله على المدينة، وأنه لم يضمر لهم شراً، ولا ينوى بهم سوءاً، وطمأنه على عدم تآمره ضده، وأكّد على عدم تعرّضه له.

وعند ما وصلت رساله الإمام الهادي (عليه السلام) إلى المتوكل العباسي، واطلع عليها، اطمأنّ إلى صدقه (عليه السلام)، وبراءته مما اتهمه به الوالي وسعى به إليه، لكن سعاية الوالي المتكررة من قبل كانت قد تركت أثرها السّيء في قلب المتوكل العباسي، فإن المتوكل هو الآخر الذي يفوق على عامله بالمدينة، في الحقد والعداء لأهل البيت (عليهم السلام)، ولا يستطيع أن يرى احترام الناس وإكبارهم له (عليه السلام)، ويخافه على سلطانه وملكه، ويهابه على تاجه وكرسيه، لأنه يعرف جيداً، أنه (عليه السلام) هو صاحب الملك والسلطان، وأهل الخلافة والولاية، ويرى نفسه متطفلاً على الخلافة، غاصباً لما ليس هو أهلاً له.

فكيف يصنع حتى يطمئن جيداً، بأنه (عليه السلام) لم يفكر للتعرض له، ولم

يطالبه بحقه من الخلافة يوماً من الأيام؟

إنه أمر ـ بنظر المتوكل ـ صعب للغاية، وعسير جداً، فكيف يستطيع التفوق عليه، والمخرج منه بسلام؟ وهو يعلم بأن أيّ تعرض للإمام الهادي (عليه السلام)، سيؤدي إلى إثارة الناس للقيام ضده، والخروج عليه، والسقوط فيما يحذره ويخاف منه.

لذلك جمع فكره، واستشار رهطه، فلم ير طريقاً أحسن من طريق المكر والخداع، والتزوير والتضليل، وذلك بأن يستقدم الإمام الهادي (عليه السلام)، إلى سامراء، ليكون تحت رقابته ونظره، وبين سمعه وبصره، مغلّفاً ذلك بإطار المحبة والقرابة، وشعار الرعاية والحفاظة، ودعاية الصلة والزيارة.

فمهّد لذلك بإرسال رسالة منمقة مؤدبة، تفوح بالإجلال والإكرام، والتبجيل والإعظام، تهدئة للراي العام وتخديراً له، وقد جاء فيها:

رسالة المتوكل

بسم الله الرحمن الرحيم،

" أما بعد: فإني عارف بقدرك، راعٍ لقرابتك، موجب لحقك، مقدّر من الأمور فيك، وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به عزك وعزهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضى ربه، وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم.

وقد رأيتُ صرف عبد الله بن محمد، عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله)، إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك، واستخفافه بقدرك، وعما قرفك به، ونسبك إليه، من الأمر الذي قد علمت براءتك منه، وصدق نيتك في برّك وقولك، وأنك لم تؤهل نفسك لما قرفت بطلبه، وقد ولّيتُ ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمرته بإكرامك، وتبجيلك، والإنتهاء إلى أمرك ورأيك، والتقرب إلى الله وإليّ بذلك.

وإني مشتاق إليك، وأحب إحداث العهد بك، والنظر إليك، فإن نشطت لزيارتي، والمقام قبلي ما أحببت، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك، على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولاي ومن معه من

الجند، يرحلون برحلك، ويسيرون بسيرك، فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدمنا إليه بطاعتك.

فاستخر الله حتى توافينا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته"[١].

انتداب ابن هرثمة

ثم بعد ذلك دعى المتوكل يحيى بن هرثمة وقال له ـ وهو يريد أن يبعثه في سرّية لإحضار الإمام الهادي (عليه السلام) من المدينة المنورة إلى سامراء ـ :

اعلم يا يحيى، أنه قد أقلقني تواجد الإمام الهادي (عليه السلام) بين شيعته ومواليه وهو بعيد عن عيني، وصرت أهابه على حكمي وسلطاني، فاذهب إلى المدينة وانظر في حاله، وأشخصه إلينا، ثم سكت لحظات كأنه يفكر في أمر خطير، أضاف بعدها قائلاً:

واختر لهذا الأمر ثلاثمائة رجل ممن ترتضيه، واخرج بهم إلى الكوفة، فخلّفوا فيها أثقالكم، ثم اخرجوا عن طريق البادية إلى المدينة، واحضروا علي بن محمد الرضا إليّ معظّماً مكرّماً مبجّلاً[٢].

يحيى يمتثل أمر المتوكل ويقول: امتثلت ما أمرني به المتوكل، واخترت الرجال كما قال، وعزمت على السفر، وسرت بهم سيراً حثيثاً نحو المدينة،

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٦ عن الارشاد للمفيد بتصرف.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٧ عن الخرايج بتصرف.

ومن الطريق الذي خططه لنا المتوكل، وكان هو أقرب الطرق، وأقصرها مسافة إليها.

فلما دخلتها ومعي أصحابي، أحسّ أهلها بالشر، وضجّوا ضجيجاً عظيماً، ما سمع الناس بمثله، وذلك خوفاً منهم على الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، وقامت الدنيا لأجله على ساق، لأنهم لم يعهدوه إلا أنه كان محسناً إليهم، عطوفاً عليهم، ملازماً للمسجد، منادماً للعبادة ومذاكرة العلم، ولم يكن عنده ميل إلى الدينا، ولا رغبة في سلطانها.

فهالني موقفهم ذلك، وجعلت أسكنهم وأحلف لهم، إني لم أؤمر فيه بمكروه، وإنه لا بأس عليه.

ثم يردف قائلاً:

بعدها توجهت إلى دار الإمام الهادي، وفتّشته بدقة، فلم أجد فيها إلا مصاحف، وأدعية، وكتب العلم، مما جعله يعظم في عيني، ويكبر في نفسي، فتوليت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته[1].

(١) حياة الإمام الهادي (عليه السلام): ص٨٦، عن تذكرة ابن الجوزي، بتصرف.

وصول الرسالة و ابن هرثمة إلى المدينة

فلما وصل كتاب المتوكل العباسي إلى الإمام الهادي أبي الحسن الثالث علي بن محمد (عليه السلام)، عرف ما وراء الكتاب، وما يضمره المتوكل تجاهه، وأنه إلجاء على الهجرة والرحيل، في صورة عرض وتمنّي، وإجبار على العزم والمسير في صورة طلب ودعوة، وخاصة مع ورود ابن هرثمة إلى المدينة.

غير أنه (عليه السلام) ـ على الظاهر ـ لما كان يرى نجاحه في إنجاز مهمته، ومواصلة هدفه، عن طريق المحايدة والمسالمة وأن أي تثاقل عن الرحيل يعني توقيعاً على ما سعاه به الوالي، ومجابهة سافرة للمتوكل، تحمله على العنف معه والشدة تجاهه، وهو ما يتنافى مع غرضه، لذلك استسلم للأمر، وتجهز للرحيل، وخرج معه يحيى بن هرثمة، حتى وصل إلى سامراء، وذلك عام "٢٣٣" هجرية حسب ماذكره تاريخ الطبري، أي إنه (عليه السلام) كان في عمرٍ يناهز العشرين عاماً.

وهذا ما يدل على عظم شخصية الإمام الهادي (عليه السلام) في الأوساط الإسلامية، وشدة قلق المتوكل من هيبته ومكانته الاجتماعية.

فلما وصلها، تقدم المتوكل بأن يحجب عنه في يومه، ولا يدخل عليه، لعدم استعداده للقاء أحد، ثم أمر بأن ينزلوه (عليه السلام) في خان، يعرف بخان الصعاليك ـ وهو خان ينزل فيه الغرباء والمسافرون ـ وأقام فيه يومه.

ثم بعد ذلك تقدم المتوكل بإفراد دار خاصة له ومنزل لائق به (عليه السلام)، فانتقل إليها[١].

الإمام عليه السلام في سامراء

اطمأن المتوكل العباسي، وراح لينام هاديء الفكر، هانيء البال، فقد استقدم الإمام الهادي (عليه السلام) من المدينة المنورة، إلى دار الخلافة، وجعله باسم الرعاية والصلة، وفي غطاء الرحم والقرابة، تحت نظره ورقابته المشدّدة، وتم كل ذلك بسلام وأمان، دون أن يحدث أيّ اضطراب داخلي، أو تشابك عسكري، أو توتر سياسي.

هذا وهو في غفلة عن مدى بُعد همة الإمام الهادي (عليه السلام)، وذهول منه عن روحه الكبيرة ونظره الثاقب، فهو ممن لا يصده عن هدفه، ولا يرجعه عن أمره كل هذه التضييقات والمراقبات، ولا يمنعه من مواصلة طريقه وديمومة مسيرته كل هذه المناوشات والمناورات، بل سوف يستفيد من كل شيء، وحتى من نفس اغترابه عن مسقط رأسه وعن مدينة جده الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومن تواجده في دار الخلافة بين العساكر والجيوش والأمراء والوزراء، وحتى من شخص المتوكل العباسي نفسه، في مواصلة هدفه، وإنجاز مهمته.

وبالفعل فقد دخل (عليه السلام) سامراء جبراً وكرهاً، بلا رغبة ولا طواعية

---

(١) الارشاد للمفيد: ج٢ ص٢٩٨ الطبعة المترجمة، بتصرف.

منه في أن يترك بلد الوحي ونزول القرآن: المدينة المنورة، غير أنه (عليه السلام) شأنه شأن أيّ إنسان هادف في الحياة، كان عليه أن يتحمل كل ذلك في سبيل تحقيق ما يسعى له، وإنجاز ما يعمل من اجله، واداء ما انتخب له من مسؤوليته الإلهية تجاه الإنسان والمجتمع، والكون والحياة.

فاستقر (عليه السلام) في منزله الجديد، الذي أفرده له المتوكل العباسي، وبدأ يواصل عمله، ويستمر في جهاده، مغتنماً لذلك كل الأحايين والفرص، مسخراً كل الوسائل والعوامل، مذللاً كل الصعاب والمحن، حتى أنه كان يستفيد من المتوكل العباسي نفسه، ويجعله جسراً يعبر عليه، ومركباً يمتطيه للوصول إلى هدفه الإلهي، ومهمته الإنسانية.

فلننظر معاً كيف استطاع (عليه السلام) من أن يصنع من مرارة التهجير والتغريب، عصيراً حلواً، وشراباً عذباً، ينفع به هدفه الرباني، ويخدم به غرضه الإلهي: من إسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة.

شحّ التاريخ و بُخله

التاريخ ـ ومع الأسف ـ لم يجُد علينا ولم يُبح لنا بكل الدقائق والجزئيات، بل وحتى بكل الكليات من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) الكريمة، وسيرته المباركة، ومواقفه الرشيدة، وإنما هناك شوارد نادرة، ونبذ قليلة، وذكريات عابرة من حياته وسيرته، ومواقفه ومآثره (عليه السلام)، عبرت إلينا، ووصلت بأيدينا، وأتحفنا بها التاريخ، وجاد بها علينا، رغم الرقابة الشديدة المفروض عليها، والتعتيم الظالم والتضليل الغاشم لها.

وهي مع قلّتها وندرتها، تجسّد المثالية العالية، وتعكس النموذج الكامل، للإنسان الهادف في الحياة، وذلك عبر سلوكه الطيب، وسيرته الحميدة، ومواقفه السديدة تجاه الأحداث والأعاصير، وإزاء الإسلام والمسلمين، رغم كل المراوغات الماكرة التي كانت الحكومة العباسية تمارسها ضده وتتربص به، حتى قال الشيخ المفيد في إرشاده بعد أن وصف كيفيّة استقدامه (عليه السلام) من مسقط رأسه: المدينة المنورة، وإسكانه في خان الصعاليك بسامراء، مانصه:

"وأقام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) مدّة مقامه بسامراء مكرماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكل في إيقاع حيلة به، فلا يتمكن من ذلك، وله معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب، فيها آيات له وبينات.."[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد: ص٣١٤.

وكذلك كان يتعامل المتوكل العباسي مع الإمام الهادي (عليه السلام) حيث إنه كان يستخدم في حقه وبخفاء ودهاء كل ما في وسعه من تضييقات وتشديدات، ويتخذها وسيلة للضغط عليه ليحرجه بها، ويُوهن شخصيته عبرها، ويضلل الناس عنه، ويصده عن هدفه، حتى قيل فيه: إنه أطغى بني العباس وأقساهم، وشرّهم وأخبثهم، وأرعنهم وأبطشهم.

وللتعرف على مدى قساوته وضراوته، وسوء معاشرته وتعامله مع الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، نستعرض بعض ما وصلنا من تضييقاته وتشديداته عليه، وكمثال على ذلك نذكر ما يلي:

اغتراب وهجرة

نعم، إن أول تضييق، وغُرّة تشديد مارسه المتوكل العباسي بعد أن تسلّط على كرسي الحكم، واستولى على عرش الإمارة، ضدّ الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) هو تغريبه (عليه السلام) عن بلده وأهله، وتهجيره من مسقط رأسه ومحل نشأته.

وذلك باستقدامه من المدينة المنورة، مدينة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومحلّ ذكرياته العطرة، وآثاره الكريمة، إلى سامراء بلد الجيش والعسكر، والحاكم والرئيس، والإرهاب والاستبداد، وإسكانه في محلة العسكر، وفي وسط الجيش وثكناتهم العسكرية ـ كما مر تفصيله سابقاً ـ.

وكم يا ترى في هذا التهجير من تكبيل وتضييق، وضغط وكبت، وتضعيف وترهيب، يُكّبل الإنسان عن الإنطلاق في مهمته، ويمنعه عن مواصلة عمله، ويَصدّه عن بلوغ هدفه.

لكن ـ كما أشرنا فيما مضى ـ إنه كان (عليه السلام) فوق الضغوط والتضييقات، وأقوى من التهديد والتوعيد، حيث لم يعّوقه كل تلك الممارسات الظالمة عن شيء مما كان ينويه أو يهدفه من خير وإصلاح.

وإذا كان هذا الإقدام القاسي هو أول ما نفّذه المتوكل العباسي من مخططه الشيطاني الواسع، ضدّ الإمام الهادي (عليه السلام)، واستطاع مع تنفيذه من إغفال

الرأي العام وتضليله، وإسكات الجماهير وإخمادها، وخرج بتنفيذها موفقاً ظافراً، فلننتظر ـ بطبيعة الحال ـ الممارسات الأشد، والمقرّرات الأقسى، التي سيقوم المتوكل بتنفيذها، عبر مخططه الشيطاني الماكر، وسياسته العدوانية الغاشمة ضد الإمام الهادي (عليه السلام) وذلك بجرأة أكبر، ووقاحة أكثر، وعنف أشدّ.

حكومة بوليسية

يحدثنا كتاب "مروج الذهب" للمسعودي قائلاً:

سُعي إلى المتوكل بالإمام الهادي (عليه السلام) عبر تقرير سرّي جاء فيه:

إن في منزله كتباً وسلاحاً من أهل قم، شيعته ومحبيه، وأنه عازم على الخروج ضدّه، ومصمم على الوثوب بالدولة.

المتوكل: يحتد من هذا الخبر ويشتد، ويدعو جماعة من الأتراك المسلحين من جيشه، ويأمرهم باختراق دار الإمام الهادي (عليه السلام) عليه ليلاً.

الأتراك: وهم يمتثلون أمر المتوكل، ويهاجمون ليلاً دار الإمام الهادي (عليه السلام)، فلا يجدون شيئاً مما وشى به السعاة، كما أنهم لم يجدوه بحالة تورث الريب، أو تقرب مما ادّعاه السعاة عليه، بل وجدوه (عليه السلام) في حالة متنافرة مع ادعائهم، حيث كان (عليه السلام) قد افترش الرمل والحصى، وعليه مدرعة من صوف، في بيت مغلق عليه، وهو متوجّه إلى الله سبحانه، متضرّع إليه،

يتلو آيات من الذكر الحكيم وسوراً من القرآن الكريم.

فحملوه على حاله تلك إلى المتوكل، ولما دخلوا به عليه قالوا:

إنا لم نجد في بيته شيئاً، ولم نره بحالة يتعلل عليه بها، بل وجدناه مستقبل القبلة، قد افترش الأرض يقرأ القرآن.

المتوكل: وكان جالساً في مجلس الشرب وفي يده كأس، فلما وقع نظره على الإمام الهادي (عليه السلام) وسمع تقرير جلاوزته، هاب الإمام الهادي (عليه السلام)، فقام له وعظّمه، وأجلسه إلى جانبه، وقدم له ـ وبكل صلافة ـ الكأس التي كانت في يده.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يكرم نفسه عن اقتراف ذلك ويعتذر بقوله ـ:

والله ما خامر، ولن يخامر لحمي ودمي قط، فَأعْفِني منه.

المتوكل ـ وهو يعذر الإمام الهادي (عليه السلام) ويسحب الكأس من بين يديه، لكن يلتفت إليه وبوقاحة بالغة يقول:

إذن: أنشدني شعراً أستحسنه وأستجوده.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يحاول السلامة من ذلك يقول له ـ:

إني قليل الرواية للشعر، ولكن أتلو عليك كلام الله تعالى، ثم بدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وتلا: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[1].

(١) سورة الدخان: ٢٥و٢٦و٢٧.

المتوكل ـ لم يقبل ذلك منه (عليه السلام)، ولم يعذره عليه، بل أخذ يصرّ عليه بقوله ـ :

لا، بل لابدّ من أن تنشدني ما تعرفه من الشعر.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يعلم جفاء المتوكل وضراوته، وسبعيّته وشرارته، فيتخذ وسيلة الإكراه هذه طريقاً إلى وعظه وإرشاده، وتنبيهه وزجره، فينتخب له شعراً من أشعارٍ حِكميّة، قالها جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وينشده إياها بقوله:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم ... غُلب الرجال فلم تنفعهم القُلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فاودعوا حُفراً يا بئسما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قُبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءَلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

وطال ما عمّروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها إلى الأعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفراً معطّلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فأشفق الحاضرون على الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، وظنوا أن

بادرة تبدر منه إليه، وبكوا بكاءً مُراً.

المتوكل ـ وهو الآخر بكى بكاءً طويلاً حتى بلت دموعه لحيته، وأمر برفع مائدة الخمر ووسائل الشرب، ثم توجّه إلى الإمام الهادي (عليه السلام) معتذراً نادماً وهو يقول ـ :

أعذرني يا أبا الحسن، فلقد أسأت إليك، وزاحمتك في جوف الليل، فهل عليك دَيناً اقضيه عنك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يغتنم هذه الفرصة المناسبة لاسترجاع بعض حقوقه المغصوبة منه، فيقول له ـ :

نعم، أربعة آلاف دينار.

المتوكل: على الرأس والعين، ثم يأمر بتقديمها اليه، وبرَدّه (عليه السلام) إلى منزله من ساعته مكرّماً محترماً[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٠ ح١٧ عن مروج الذهب بتصرف.

تحرّيات جبانة

لم ينته المتوكل عن سوء تعامله، وقبح معاشرته مع الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، بل كان ينتهز الفرص الملائمة، للتضييق عليه، والتحري لداره ومنزله.

وربما كان يوعز إلى بعض مرتزقته وعملائه، أن يسعوا بالإمام الهادي (عليه السلام) إليه، ويكتبوا التقارير المزورة عليه، ليكون مبرراً قانونياً له في توجيه إقداماته الاستبدادية الظالمة تجاهه (عليه السلام)، وعاملاً مؤثراً في تهدئة الناس وامتصاص نقمتهم، ونقطة قوية في تشويه سمعة الإمام الهادي (عليه السلام) وتمويه شخصيته، وكمثال لذلك لننظر إلى ما يلي:

يحدثنا كتاب "الكافي" عن الطاهري أنه قال:

مرض المتوكل، فنذرت أُمه إن عوفي، أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) مقداراً جليلاً من مالها.

فلما عوفي حملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها، فسُعي بالإمام الهادي (عليه السلام) بعد ذلك إلى المتوكل: بأن أموالاً وسلاحاً تحمل إليه.

المتوكل ـ يشتاط غضباً، ويدعو حاجبه سعيد ويقول له ـ :

اعلم يا سعيد، بأني أريد منك أن تفاجئ الإمام الهادي (عليه السلام)، وتتسلق عليه داره ليلاً بلا اطلاع منه، ثم تفتش الدار، وتجمع ماتجده من

الأموال والسلاح وتحملها مع الإمام إليّ على الفور.

الحاجب: سمعاً وطاعةً، سيكون ماتريد.

وعند ما جنّ الليل، وأسدل الظلام ستوره، ونشر أشباحه السوداء في كل مكان، والتجأ كل إنسان إلى منزله، واستراح في مأمنه ومأواه، راح سعيد الحاجب ينفّذ مأموريته قائلاً:

أخذت أشق هدوء الليل بسيري الحثيث نحو دار الإمام الهادي (عليه السلام) ومعي سُلّم، لأستطيع عبره التسلق على داره.

وصلت الدار ونصبت السُلّم وصعدت السطح، فلما نزلت على بعض الدرج لأتوسط الدار على غفلة من الإمام الهادي (عليه السلام)، وإذا الظلام يحتوشني ويطبق عليّ، فلم أستطع أن أرى أين أضع قدمي، ولم أدر كيف انزل إلى الدار، فبقيت للحظات متحيراً أفكّر في أمري..

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو في بعض بيوت داره، يقطع علي حيرتي بقوله ـ:

مكانك يا سعد، اصبر حتى يأتوك بشمعة وضياء.

سعيد: فما لبثت أن أتوني بشمعة، فأبصرت قدّامي ونزلت، فوجدته (عليه السلام) وعليه جبة صوف وقلنسوة من صوف أيضاً، وسجادته مفروشة على حصير بين يديه، فلم أشك إنه كان يصلّي لربّه.

الإمام الهادي (عليه السلام): لما وقع نظره عليّ قال، وهو يشير إلى بيوت

داره:

دونك المصلّى يا سعيد.

سعيد ـ وأنا أتصبب عرقاً وخجلاً ـ: نعم، يا أبا الحسن، فدخلتها وفتّشتها، فلم أجد فيها شيئاً من سلاح ولا مال، سوى بدرة ـ وهي كيس فيه مال يقدّم في العطايا ـ في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل، وكيسٍ آخر إلى جنبها مختومٍ أيضاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) التفت ثانية إليّ وهو يشير بيده إلى سجادته وقال:

دونك المصلّى يا سعيد.

سعيد ـ وأنا ازداد حياءً وخجلاً ـ: نعم، سمعاً وطاعةً يا أبا الحسن، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبس.

فأخذت ذلك كله وصرت بها إلى المتوكل.

المتوكل ـ وهو يتخطّى في صالة قصره، وينتظر قدومي، يسمع وقع أقدامي فيقول:

سعيد، هل جئت يا سعيد؟

سعيد: نعم ها أنا ذا، فدخلت عليه ووضعت البدرة المختومة والكيس المختوم مع السيف الأجرد بين يديه وقلت:

لقد فتشت داره بدقة، فلم أعثر على شيء غير هذه التي حملتها إليك.

المتوكل: وهو يتعجب حين يقع نظره على البدر ويرى عليها خاتم أُمه،

فيرسل إليها لتأتيه من توّها.

أم المتوكل ـ وهي مندهشة لاستدعائها في هذا الوقت من الليل، ومتعجّبة من الحادث الجديد المتطلب حضورها، تدخل عليه وتقول ـ :

هل دهى أمر جديد يستدعي حضوري؟.

المتوكل ـ وهو يشير بيديه إلى البدرة المختومة ويقول ـ :

نعم، أنظري ما هذه البدرة التي بعثتيها إلى أبي الحسن!، إنه منافسنا وأنت تمدّينه بالمال؟.

أم المتوكل ـ وهي تهدّؤه وتخفف عليه بقولها ـ :

يا بني لا تذهب بك المذاهب، ولا يأخذ الشيطان بقلبك، اعلم أنه لما آيستُ منك في علّتك، نذرتُ إن عوفيتَ أن أحمل إلى أبي الحسن (عليه السلام) من مالي الخاص عشرة آلاف دينار، وقد عوفيتَ فحملتُها إليه، وهذا هو خاتمي على البدرة.

المتوكل ـ يتذكر مأساة علّته ونعمة بُرئه فيهزّ برأسه ويقول لأُمّه ـ :

نعم، صحيح ما تقولين، ارجعي إلى خدرك، واعذريني على مزاحمتك، فقد أزعجتك ونغّصتُ عليك النوم.

أم المتوكل: تودّع ابنها وترجع إلى غرفتها لتنام.

المتوكل ـ وهو يفتح الكيس الآخر المختوم، فإذا فيه أربعمائة دينار، فيلتفت إليّ وينادني وهو يقول ـ :

سعيد، يا سعيد.

سعيد: نعم، نعم، أنا في الخدمة.

المتوكل: تضم ـ يا سعيد ـ بدرة أخرى إلى هذه، وتحملها إلى أبي الحسن (عليه السلام)

سعيد: سمعاً وطاعةً.

ثم يقول: فحملتها ورددت السيف والكيسين إلى أبي الحسن (عليه السلام)، وقلت له معتذراً: ياسيدي يا أبا الحسن عزّ علي موقف القوم تجاهك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليّ ويجيبني قائلاً ـ:

يا سعيد إن كل ذلك بعين الله، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٤ ح٢٠، عن الكافي، بتصرف.

جنون و غضب

العاقل ـ كما في الحديث الشريف ـ لا يُلدغ من جُحر مرّتين، ولكن المتوكل قد تجاوز الحد، فقد جرب قول السعاة في حق الإمام الهادي (عليه السلام) أكثر من مرة، وعلم علماً يقيناً ببراءته (عليه السلام) من كل ذلك، لكنه لم ينته ولم يقف عند حدّه، بل أثبت للتاريخ بلادته وحُمقه، حين استشاط غضباً وفار شرراً من قول واشٍ آخر.

وفي هذا المجال يحدثنا كتاب الخرائج عن أبي سعيد، أنه قال:

كنا في دار أبي العباس الكاتب في سامراء، فجرى ذكر أبي الحسن الهادي (عليه السلام) فقال:

يا أبا سعيد، إني أحدثك بشيء حدّثني به أبي، إنه قال:

كنا مع المعتّز، وكان أبي كاتبه، فدخلنا القصر، فإذا بالمتوكل جالس على سريره وإلى جانبه وزيره الفتح بن خاقان، فسلّم عليه المعتّز ووقف، وسلّمت ووقفت خلف المعتز، فردّ المتوكل علينا جواب سلامنا مقتصراً بالمثل ولم يعاتب بشيء.

نعم، ـ والكلام لأبي العباس الكاتب عن أبيه ـ لقد اقتصر المتوكل بالردّ بالمثل، ولم تظهر عليه بهجة ولا على وجهه ابتسامة، وكان عهدي به أن المعتز إذا دخل عليه رحّب به وأمره بالجلوس، بينما في هذه المرة لم يقل له شيئاً،

وأطال المعتز القيام بين يديه حتى تعب، فجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى: وهو يتوقع إذنه في الجلوس، ولكنه لم يأذن له ولم يلتفت إليه.

ونظرت إلى وجه المتوكل، فرأيته يتغيّر ساعة بعد ساعة، قد اسودّ من شدّة الغيظ، حتى كأنه قطع من الليل المظلم، فقرأت فيه الشر، وتعوّذت بالله منه.

المتوكل - وهو يلتفت بين لحظة وأخرى إلى وزيره: الفتح بن خاقان مذعوراً ويقول له -:

هذا الذي تقول فيه ما تقول، وتبرّؤه مما سُعي فيه وعما اتّهم به؟.

الفتح - وهو يُقبل على المتوكل ويُسكّنه عما به من حنق وغضب ويقول -:

إنه مكذوب عليه، إنه بريء من كل ذلك.

المتوكل - وهو يتلظّى ألماً وغضباً ويقول مقسماً -: والله لأقتلنّه، إنه يدّعي الكذب، ويطعن في دولتي، ثم التفت إلى الفتح وقال:

جئني بأربعة من الخزر، الغلاظ الشداد.

الفتح: سمعاً وطاعة، ولكن ما تفعل بهم؟

المتوكل - وهو يفور شرراً وحنقاً ويزمجر قائلاً -:

ليس لك أن تعرف ما أريد أن أفعل بهم، بل عليك أن تأتيني بهم فوراً.

الفتح: على الرأس والعين، ثم يأمر بإتيان أربعة من الخزر الغلاظ، فيمتثلون بين يدي المتوكل.

المتوكل - وهو يناول كل واحد منهم سيفاً صقيلاً ويقول -:

إنـي أرسـلت إلى أبـي الحـسن ليحـضر الـساعة، فـإذا دخـل، فـأرطنوا بألسنتكم، وأقبلوا عليه بسيوفكم هذه فاخبطوه، واخلطوا لحمه بدمه، ثم أردف يُقسم بالله ويقول:

والله لأحرقنّه بعد القتل، ولأنسفنّه في اليم نسفاً.

أبو العباس الكاتب يقول: ثم واصل أبي حديثه وقال:

كل ذلك، وأنا منتصب قائم خلف المعتز من وراء الستر، وأترقّب الأمور، وأخاف شرّ المتوكل على أبي الحسن، وفي الأثناء ما علمت إلاّ والأصوات ترتفع، وإذا بأبي الحسن (عليه السلام) قد دخل، وقد بادر الناس قدّامه وهم يقولون: قد جاء، قد جاء.

دخل الإمام الهادي (عليه السلام) القصر آمناً مطمئناً، غير مكترث ولا جازع، وفَور ما وقع نظر الخزر عليه خرّوا له سجداً مذعنين.

فتعجبتُ ونظرت إليه فإذا أرى شفتيه في حركة وكأنه يدعو الله تعالى ويقرأ شيئاً بخفاء.

المتوكل: وهو ينتظر دخول الإمام الهادي (عليه السلام) عليه، لكنه بمجرّد أن وقع بصره عليه كان هو الآخر الذي انقلب عن حاله الجنوني، وتغيّر عنده كل شيء، وسكنت فورته وثورته، وانطفأ لهبه وحنقه، ورمى بنفسه عن السرير إلى أبي الحسن (عليه السلام) يصافحه ويعانقه، وانكبّ عليه يقبله بين عينيه، ويلثم يديه، ويعتذر إليه بقوله:

يا سيدي يا ابن رسول الله، يا خير خلق الله، يا ابن عمي، يا مولاي يا أبا الحسن..

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يسحب يديه ويظن بهما عليه ويجيبه قائلاً ـ :

أعيذك بالله، أعفني من هذا.

المتوكل ـ وقد ارتدع وارتطم فيقول بانكسار وتذلّل ـ :

ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت، ومن الذي أزعجك؟

الإمام الهادي (عليه السلام): لقد جاءني رسولك وهو يقول: المتوكل يدعوك.

المتوكل ـ وهو يتلكأ في كلامه ويتعثر في حديثه ويقول ـ :

كذب الملعون، كذب وافترى افتراءً عظيماً، ثم أردف كلامه وقال:

ارجع يا سيدي يا أبا الحسن من حيث شئت مكرّماً معزّزاً.

ثم التفت إلى وزيره وخاصته وقال:

يا فتح، يا عبيد الله، يا معتز، شيّعوا سيدكم وسيدي إلى منزله.

الإمام الهادي (عليه السلام): يرجع من حيث أتى، سالماً غانماً بعد أن شيّعه هؤلاء من قِبل المتوكل.

المتوكل ـ بعد أن صرف الإمام إلى منزله طلب الخزر وقال لهم مؤنّباً وموبخّاً ـ : لم لا تفعلوا ما أمرتكم به ؟.

الخزر: منعنا من ذلك شدة هيبته، وعظم خطره، فقد رأينا حوله أكثر من

مائة سيف، لم نقدر على أن نتأملها، فامتلأت قلوبنا من ذلك رعباً، ونفوسنا خوفاً، ولذلك لم نقدر على أن ننفّذ ما أمرتنا به.

المتوكل ـ وهو يلتفت إلى الفتح ويضحك في وجهه وكأنه يريد بذلك تصديقه ويقول له ـ :

يا فتح، هذا صاحبك.

الفتح ـ وهو يتبسم في وجه المتوكل ويجيبه بقوله ـ :

نعم، ألم أقل لك: إنه مكذوب عليه، والحمد لله الذي بيّض وجهه، وأنار حجّته[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٦ ح٢٣، عن الخرائج، بتصرف.

طلب واحضار

إن سكرة المُلك هي الأخرى كسكرة الشراب ـ كما في الحديث الشريف ـ تسكر الإنسان، وتفقده عقله ورشده، إلاّ من عصم الله، والمتوكل هو من اجتمعت فيه سكرة الشراب والملك والثروة، فبقي لا يعرف خيره من شره، لذلك كان يقف من السعاة في حق الإمام الهادي (عليه السلام) موقف الفاقد السكران، ويتصرف مع الامام (عليه السلام) تصرف المعاند الحاقد.

وفي هذا المعنى يحدثنا الروانديّ في خرائجه، عن جماعة من أهل أصبهان ويقول: إنهم قالوا:

كان بأصبهان رجل يقال له: عبد الرحمان، وكان بخلاف أهلها في زمانه ممن يعتقد بائمة أهل البيت (عليهم السلام) ويقول بإمامة الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) ويتشيع له.

فقيل له: كيف تشيّعت؟

وما هو السبب الذي أوجب عليك من بين أهل بلدتك أن تقول بإمامة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) دون غيره؟

عبد الرحمان: لقد شاهدت شيئاً عجيباً، هو الذي أوجب ذلك عليّ.

القوم: أيمكنك أن تقصّ علينا ما شاهدته منه من الأمر العجيب؟

عبد الرحمان: نعم، وبدأ يقصّ عليهم قصته قائلاً:

كنت رجلاً فقيراً، لا مال لي ولا متاع، ولكن كان لي لسان ذرب، وجرأة كبيرة، فانتخبني أهل أصبهان على رأس وفد للتظلّم إلى المتوكل، وجعلوني الناطق لهم، فقصدنا سامراء حتى إذا وصلناها اتجهنا إلى قصر المتوكل، فبينما نحن بالباب ننتظر الدخول مع ناس آخرين إذ خرج الأمر بإحضار أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام)، ومنعنا من الدخول.

عندها التفتّ إلى بعض من حضر هناك للدخول على المتوكل وقلت له متسائلاً:

مَن هذا الرجل الذي قد أُمر بإحضاره، ومنعونا من الدخول بسببه؟

بعض الحاضرين: إنه رجل علوي، من أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، تقول الرافضة بإمامته.

عبد الرحمان: شكرته على جوابه، وبقيت أنتظر كبقية الحاضرين قدوم هذا الرجل العلوي لأرى محّياه، وفي نفسي أن المتوكل يريد إحضاره ليقتله.

وبينما أنا كذلك إذ أقبل (عليه السلام) راكباً على فرس، وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صفّين، ينظرون إليه، فلما رأيته وقع حبّه في قلبي، فصرت أدعو له في نفسي، أن يدفع الله عنه شر المتوكل.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو ينظر إليّ، ولا ينظر يمنةً ولا يسرة، وأنا أكرر في نفسي الدعاء له، فلما صار بحذائي أقبل بوجهه عليّ وقال وهو يخبر عما في نفسي ـ:

لقد استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثّر مالك وولدك.

عبد الرحمان: فارتعدت من هيبته، ووقعت بين أصحابي.

القوم ـ وهم مشغولون بالنظر إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفتون الي ويقولون ـ :

ما شأنك يا عبد الرحمان؟

عبد الرحمان: خير إن شاء الله، ولم أخبر أحداً بما جرى لي.

ومضت مدة قصيرة على دخول الإمام الهادي (عليه السلام) على المتوكل، حيث خرج بعدها سالماً وعاد من حيث أتى، وانصرفنا بعد أن قضينا أمرنا في سامراء إلى أصبهان، وقد فتح الله تعالى عليَ بدعائه (عليه السلام) وجوهاً من المال، حتى أصبحت أُغلق اليوم بابي على ما قيمته مليون درهم، سوى ما أملكه من أموال خارج المحل والدار، وكذلك رزقني الله عشرة من الأولاد، وأطال في عمري فإنه قد مضى علي من العمر نيف وسبعين سنة، وأنا أقول بإمامة ذلك الرجل الذي علم ما كان في نفسي، واستجاب الله دعاءه في أمري.

القوم، يشكرونه على قصته، وينصفونه على اعتقاده بمذهبه ويقولون له:

نشكرك على ما قصصته لنا من أمرك، ونبارك لك تشيّعك وولاءك، واعتقادك ومذهبك [1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٤٢ ح٣٥، عن الخرائج، بتصرف.

حاشية المتوكل وبطانته

إن حاشية الرجل وبطانته مما لها الأثر الكبير في مصير ذلك الرجل ومن يرتبط به، فقد كان في التاريخ من حَكَم البلاد فعدل وأقسط، وأصلح الزرع والنسل، وأنعش البلاد والعباد، وكتب لنفسه ولشعبه المجد والتقدم، والعزة والسعادة، وذلك بفضل ما كان يعتمده من بطانة خيرّة، وحاشية بررة، ومشاورين صلحاء، يرشدونه إلى مافيه الخير والصالح العام، ويهدونه إلى ما فيه سعادته وكرامة الناس، لكن المتوكل لم يكن من أولئك الذي ينتخب لنفسه حاشية مؤمنة، وبطانة خيّرة، بل كان قد جمع حوله ثلّة من الحاقدين، وجماعة من الأشرار، يشيرون عليه بالسوء، ويملون عليه الشر، ويأخذونه إلى ما فيه شقاؤه وشقاء شعبه، وهلاكه وهلاكهم، فإلى التعرفة بهم :

هريسة خطيب المتوكل

يحدثنا الشيخ الطوسي في أماليه عن خيران الكاتب أنه قال:

كان للمتوكل عدد ممن يصلح للخطابة والمنبر، فإذا ركب ركبوا معه، وكان فيهم رجل يلقّب بهريسة، وكان المتوكل يحقّره لسوء أدبه وشره، لولا أن له لساناً ذلقاً، ونطقاً فصيحاً.

المتوكل: وقد ركب يوماً لصلاة الجمعة فتقدم إلى هريسة أن يخطب.

هريسة: يتقدم ويخطب في الناس، فيحسن الخطبة والكلام.

المتوكل: يسبق هريسة قبل نزوله من المنبر، ويتقدم نحو المحراب ليصلّي بالناس.

هريسة: ينزل بسرعة بعد أن اختتم خطبته ويتجه نحو المحراب، فيجتذب منطقة المتوكل من ورائه ويقول:

من خطب الناس، يصلّي بالناس أيضاً.

المتوكل - وهو يرجع إلى ورائه ويقول متمتماً -:

أردنا أن نخجله فأخجلنا، قبح الله وجهه وأرداه.

وهريسة هذا الشرور السيء الأدب، يلتفت إلى المتوكل يوماً ويقول له بعتب:

ما يعمل أحد بك أيها المتوكل أكثر مما تعمله أنت بنفسك في علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، حيث لا يبقى أحد في القصر إلا ويخدمه، ولايتعبونه برفع ستر، ولا فتح باب، ولا شيء من هذه الخدمات، وهذا إذا علم به الناس قالوا: لو لم يعلم المتوكل باستحقاقه الأمر، ما فعل به هذا.

المتوكل: كأنه صحيح ما تقول، فما رأيك أن أعمله معه فيما بعد؟

هريسة: عليك أن تدعه إذا دخل يرفع الستر بنفسه، ويمشي كما يمشي غيره، فيمسّه بعض الجفوة.

المتوكل: طيب، سوف آمر حرس البلاط، بأن لا يعملوا لأبي الحسن شيئاً مما كانوا يعملونه له سابقاً، ثم دعى رئيس الحرس وأصدر الأوامر الجديدة إليه.

آمر الحرس: سمعاً وطاعة، سيكون ما تريد، ثم أبلغ الأوامر الجديدة إلى الحرس والخدم وبقي ينتظر دخول أبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، ليرى كيف يطّبق الحرس والخدم الأوامر الجديدة التي صدرت إليهم.

الإمام الهادي (عليه السلام): يدخل على المتوكل، والحرس والخدم يقفون غير مبالين بدخوله، حتى كأنه لم يعرفونه، ولكن أثار تعجبهم أنه (عليه السلام) ما أن قرب من الباب والستر، إلا ورأوا ريحاً قويّة هبّت فرفعت الستر أمامه، وفتحت الباب قدّامه، فدخل (عليه السلام) مكرّماً معزّزاً، دون أن يرفع لنفسه ستراً أو يفتح لدخوله باباً.

المتوكل: يطّلع على الخبر، فيأمر آمر الحرس ان يترصّد الإمام الهادي (عليه

السلام) في خروجه، لينظر كيف يتم خروجه، ثم يخبر المتوكل بخبره.

الإمام الهادي (عليه السلام): ينصرف من عند المتوكل بعد أن قضى وطره، ويرجع إلى منزله.

آمر الحرس: يترصّد خروج الإمام، فيرى أن الحرس والخدم لم يقدموا على رفع ستر ولا فتح باب، ولكن سرعان ما هبّت ريح أخرى معاكسة للريح الأولى، فرفعت الستر المرخى، وفتحت له الباب المغلق، حتى خرج الإمام الهادي (عليه السلام) معززاً مكرّماً.

المتوكل: يطلع على ذلك عبر تقرير يرفعه آمر الحرس، فيأمر باحضار الحرس والخدم جميعاً ويقول لهم:

لا أسمع من أحد منكم بعد هذا، أن هواءً يرفع الستر ويفتح الباب لأبي الحسن الهادي (عليه السلام)، وعليكم كما في السابق، أن تخدموا أبا الحسن وترفعوا له الستور وتفتحوا أمامه الأبواب، فليس هواء يرفع الستر ويفتح الباب.

الحرس والخدم: سمعاً وطاعةً، ثم بعد ذلك يعودون لما كانوا عليه من قبل، ويخدمون أبا الحسن (عليه السلام) إذا دخل.

وهكذا يخزي الله تعالى هريسة وصاحبه[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٥ ح٢١، عن أمالي الطوسي، بتصرف.

ابن الجهم

عندما يحكم الطغاة، وتكون المناصب على أساس الروابط لا الضوابط، وتحل القوانين الجائرة محلّ قوانين السماء، يتفشّى الفقر والجهل في كل صقع ومكان، وينفذان بشبحهما المخيف في كل ثغر وزاوية، وعصر المتوكل كان من تلك العصور التي فشى فيها الجهل والفقر، وظهر فيها الضلال والبدعة.

فقد ظهرت امرأة شابة تدّعي أنها زينب الكبرى بنت علي وفاطمة (عليهما السلام)، فجيء بها إلى المتوكل، فلم يتمكن هو ولا أحد غيره من حاشيته وبطانته أن يبطل دعوتها، فأرسل إلى الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، فلما حضر أبطل دعوتها بدليل قاطع سدّ عليها أبواب التمويه والتزوير التي كانت تتذرع بها في إثبات مدّعاها، وذلك بقوله (عليه السلام):

"إنّ الله حرّم لحوم جميع من ولدته فاطمة (عليها السلام) على السباع"

فإن كانت صادقة فلتدخل إلى بركة السباع، فإن السباع لا تتعرض لها، وإن كانت كاذبة أكلتها.

وهنا حيث أُلقمت المرأة حجراً، وبُهتت لكفرها، ولم تر لنفسها مفراً، صرخت قائلة وهي تنهزم وتفرّ:

أنا زينب الكذابة، وليس بيني وبين رسول الله وعلي وفاطمة (عليهم السلام)

أي قرابة.

انفضّ المجلس، ومرّت أيام، أقبل بعدها ابن الجهم ليقول للمتوكل:

لو جربت قول أبي الحسن في أن السباع لا تاكل لحم مَن ولدته فاطمة (عليه السلام) على نفسه، وعرفت بذلك حقيقة قوله، وعلمت صدقه من غيره.

المتوكل ـ يفرح من هذا الاقتراح، ويراه خير طريق للقضاء على الإمام الهادي (عليه السلام) من غير أن يقع متهماً في قتله، ويقول ـ: إنها فكرة طريفة، واقتراح جيّد، وسوف أفعل ذلك بلا شك ولا ريب في أقرب فرصة ممكنة، ثم دعى مسؤول السباع واستحضره.

مسؤول السباع: نعم، أنا في الخدمة، ورهن الإشارة، فهل حدث شيء جديد؟

المتوكل ـ وهو يلوك بلسانه ويقول بتلعثم ـ:

نعم، لقد أزعجنا منافسنا هذا، ولم نر طريقاً أحسن من إلقائه إلى السباع للقضاء عليه، فعليك أن تجوّع ثلاثة من هذه السباع أياماً، وتحضرها القصر، وتتركها في ساحته.

مسؤول السباع: على الرأس والعين، ثم ذهب لينّفذ ما أمره المتوكل.

وعند ما جوّع الثلاثة بحيث أصبحت هذه السباع تهش إلى افتراس حتى صاحبها، أقبل بها إلى القصر، وتركها في ساحته، بعد أن اتخذ المتوكل وحاشيته، مجلسهم في غرفة المنظر المشرفة على الساحة، وأغلق باب الدرج،

حتى لا تتمكن السباع من الصعود إليهم.

ثم بعث إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) يطلب قدومه إليه، وأمر أن يدخلوه من باب القصر، ويغلقوا الباب عليه من خلفه.

الإمام الهادي (عليه السلام): يلبّي الطلب، ويدخل على المتوكل، ويُغلق الجلاوزة الباب عليه من خلفه.

المتوكل وحاشيته: حيث يقع نظرهم على الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يخطو خطواته الكؤودة نحو ساحة القصر، نحو السباع الجائعة، التي هي بانتظار فريسة سائغة، راحوا ينتظرون ساعة الصفر التي سوف تعلنها صافرة الإنذار بانقضاض السباع في أول جولة من هجومها على الإمام الهادي (عليه السلام) ونهشها له، لكن الذي فاجأهم، هو: أن رأوا الإمام (عليه السلام) يتّجه نحو الدرج، والسباع تمشي إليه بهدوء، وقد سكنت من زئيرها ولم يسمع لها صوت، وأقبلت إليه وهي تتمسح به وتدور حوله، وهو يمسح رؤوسها بكمّه، ويتلطف عليها بحنانه.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يريد صعود الدرج، فيشير إليها بيده، فتضرب السباع بصدرها على الأرض، وتربض على ساحة القصر، بلا حراك ولا حسيس، فيصعد الإمام (عليه السلام) إلى الغرفة التي فيها المتوكل.

المتوكل وهو مندهش مذعور، يقوم ليستقبل الإمام (عليه السلام) وبعد مراسم التحية والسلام يرحب بالإمام (عليه السلام) ويصحبه إلى داخل الغرفة، ويجلسه

معزّزاً مكرّماً في صدرها، ويقعد هو إلى جانبه طويلاً، يقوم من بعدها الإمام (عليه السلام) لينصرف إلى منزله.

الإمام الهادي (عليه السلام): يودّع المتوكل ويتّجه نحو الدرج ومنها إلى الساحة، حيث السباع الرابضة هناك.

المتوكل: يشيّع الإمام (عليه السلام) إلى الدرج، وينصرف إلى مكانه، ليرى مع حاشيته انصراف الإمام من بين السباع.

الإمام الهادي (عليه السلام): يتوسط ساحة القصر، والسباع تفعل كفعلها الأول معه (عليه السلام) وهو يفعل بها كما فعله أولاً، ثم يشير إليها بيده الكريمة، فتربض على ساحة القصر، فيخرج الإمام (عليه السلام) من الباب الذي دخل منه، ويركب وينصرف إلى منزله، من دون أن يمّسه منها شر وسوء.

المتوكل: حيث رأى فشل كيده، وعلم معرفة الإمام (عليه السلام) بسوء نيته، حاول أن يجبر ذلك بصلة ومال أرسله إليه (عليه السلام)، تغطيةً على خبثه وشره، وإخفاءً لسوء نيته وسريرته تجاهه (عليه السلام)، ثم أمر مسؤول السباع أن يردّ السباع إلى محلها.

ابن الجهم: وهو يلتفت إلى المتوكل بعد مغادرة الإمام (عليه السلام) وقبل عودة السباع إلى محلها ويقول له:

إنك كما تدعي: إمام، وابن عم الإمام، فافعل كما فعل ابن عمك، وهذه السباع بعدها في الساحة فانزل إليها.

المتوكل ـ يفور غضباً ويقول مهدّداً ـ :

اعلم يا ابن الجهم، والله لئن بلغني علم أحد من الناس بذلك، لأضربن عنقك وعنق هذه العصابة كلها.

ابن الجهم ـ وهو يتضاءل ويتراجع عن قوله واقتراحه، ويقول مقسماً :

فوالله ما حدّثنا بذلك أحداً، حتى قُتل المتوكل وانقضت أيامه، وذهب إلى ما يستحق[1].

(١) تاريخ سامراء : ج٣ ص١١٨ ح٢٦، بتصرف.

سعيد الحاجب

لم يكن حاجبٌ ولا بوّاب لرسول الإسلام محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) من حين نبوته إلى ساعة ارتحاله، وهو يحكم أرضاً كبيرةً تسع الحجاز كلها ودول الخليج واليمن، ونفوساً كثيرة تبلغ الثمانية مليون إنسان مسلم، ما عدا غير المسلمين.

وكذلك لم يكن حاجبٌ ولا بوّاب للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يحكم ما يقرب من خمسين دولة على خارطة عالم اليوم، ولا للإمام المجتبى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أيام حكومته بعد أبيه.

كما وقد منع النبي (صلى الله عليه وآله) وكذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام المجتبى (عليه السلام) الحكام من اتخاذ الحاجب والبوّاب، وشدّدوا النكير على كل حاكم يتخذها.

لكن المتوكل كان كسائر خلفاء بني أُمية وبني العباس، ممن لا يعبأ بتعاليم الرسول وأهل بيته (عليه وعليهم السلام) ولا ينزجر عما زجروا عنه، وقد اتخذ حجّاباً غلاظاً، وبوابين أشداء، أحدهم سعيد الحاجب، الذي يحدثنا عنه ابن أرومة بقوله:

"خرجت أيام المتوكل إلى سامراء، فدخلت على سعيد الحاجب، وقد دفع المتوكل أبا الحسن الهادي (عليه السلام) إليه ليقتله، دخلت وأنا أفكر في سلوك

طريق أتوصل إليه إلى لقائه (عليه السلام)، فسلمتُ على سعيد وجلست إلى جانبه.

سعيد ـ وهو يرد عليّ سلامي، ويعرف قصدي من دخولي عليه فيقول ـ :

أتحب يا ابن أرومة أن تنظر إلى إلهك؟ :

ابن أرومة ـ استنكرت عليه قوله هذا، وقلت مشمئزاً ـ :

سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار.

سعيد ـ يرجع عن قوله ذلك ويقول ـ : لا، أقصد هذا الذي تزعمون أنه إمامكم.

ابن أرومة ـ الآن وقد صحح سعيد كلامه فأجبته قائلاً ـ :

نعم، إني ما أكره ذلك.

سعيد: اعلم يا ابن أرومة أني قد أُمرت بقتله، وأنا فاعله غداً، فتزوّد منه حيث تشاء، فإنه آخر لقائك به، غير أنه قد دخل عليه الآن صاحب البريد، فانتظر خروجه، فإذا خرج فادخل إليه.

ابن أرومة: فبقيت أنتظر خروجه، وأنا فرح من إذن اللقاء، لكني في نفس الوقت حزين من خبر القتل، وبينما أنا كذلك إذ خرج صاحب البريد.

سعيد: الآن لا مانع من دخولك عليه، ادخل إذا شئت.

ابن أرومة: نعم، وأسرعت في الدخول عليه، ودخلت الدار التي كان الإمام (عليه السلام) قد حبس فيها، فإذا بحياله قبر محفور، فلم أملك نفسي أن أجهشت بالبكاء، فسلّمتُ عليه وصوتي يتقطعه الحزن والأسى.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب سلامي بأحسن منه، ويلتفت الي قائلاً ـ :

ما يبكيك يا ابن أرومة؟

ابن أرومة : يا أبا الحسن لما أرى.

الإمام الهادي (عليه السلام) : لاتبك لهذا يا ابن أرومة، فإنه لا يتم لهم ذلك.

ابن أرومة ـ فاطمئننت إلى قوله (عليه السلام) وسكن ما كان بي.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يضيف كلامه ذلك ويبشرني بقوله ـ :

اعلم يا ابن أرومة، إنه لا يلبث أكثر من يومين، حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته.

ابن أرومة : فوالله ما مضى على كلامه (عليه السلام) هذا غير يومين، حتى قُتل هو وصاحبه..."[1].

(١) بحار الأنوار : ج٥٠ ص١٩٥ ح٧، عن مختار الخرائج : ص٢١٢، بتصرف.

ابن كركر

السجن ـ ومجرّد السجن العادي والنزيه من أي تعذيب ـ في القوانين الجزائية للإسلام، قد أعدّ لأفراد معدودين من المجرمين، ووضع عقاباً لأنواع معدودة من الجرائم، لاتتجاوز أصابع اليدين ولا تتعداها.

بينما نرى المتوكل وأمثاله من الحكام الجائرين، المتطفلين على الإسلام، قد أعدوا السجون والمطامير لكل من يخشونه على سلطانهم، ويخافون منه على ملكهم، وإن كان ذلك الإنسان معصوماً كالإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، فإنهم يلقونه في السجن بلا ذنب منه أتاه إليهم، أو تقصير ارتكبه في حقهم، سوى عدم تأييده وتصفيقه لهم.

وقد أمر المتوكل بسجن الإمام الهادي (عليه السلام) مرات عديدة، لعل هذا كان آخرها، حيث دعا عليه الإمام (عليه السلام)، فاكتسحه غضب الله، وطهّر الأرض من رجسه.

وبذلك يحدثنا كتاب المناقب عن الحسين بن محمد أنه قال:

لما حبس المتوكل أبا الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، ودفعه إلى علي بن كركر الموكّل بالسجون ليسجنه.

عندها ضاق صدر أبي الحسن الهادي (عليه السلام) من ذلك ومن كثرة مضايقاته له، وعلم أن الله سينتقم له منه عاجلاً، فقال مشيراً إلى ذلك:

"أنا أكرم على الله من ناقة صالح".

ثم تلا قوله تعالى:

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[١].

الحسين بن محمد: فلما كان من الغد، امر المتوكل ابن كركر أن يطلق سراحه (عليه السلام) ويعتذر إليه.

الإمام الهادي (عليه السلام): يحمد الله على خلاصه ويشكره على نعمائه.

الحسين بن محمد: وبقينا ننتظر توعّد الإمام الهادي (عليه السلام) المتوكل، وما سيجري عليه، حتى إذا كان اليوم الثالث، وثب عليه ياغز وتامش ومعطون، وكانوا من قواد الجيش وامرائه فقتلوه، ونصبوا المنتصر ابن المتوكل مكانه[٢].

---

(١) سورة هود: ٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠٤، عن المناقب ج٤ ص٤٠٧، بتصرف.

ابن خاقان

السباب واللعن، وإعلان البراءة والخصومة - في من عدا من استثناهم الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) منها، كالظالمين والغاصبين لحقوق أهل البيت (عليهم السلام) - من الأمور التي ذمّها الإسلام وحاربها، حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حرم الله الجنة على كلّ فاحش بذيء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له»[1].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لقوم من أصحابه عندما سمعهم يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به»[2].

نعم هذا هو ما يوصي به الإسلام وقادته المعصومون (عليهم السلام)، لكن المتوكل قد تجرّد حتى من فضيلة اللسان، فلننظر كيف يتعامل مع ابن رسول الله

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٥٠٠.

(٢) انظر: نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٠٦.

الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)؟

يحدثنا كتاب المناقب عن أبي سالم أنه قال:

كان المتوكل كثير الحقد وشديد البغض لآل الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكان يحاول إفراغ بغضه وإعمال حقده بصورة وأخرى تجاه الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، وذلك بتستّر وتكتّم، حتى لا يطلع الناس عليه، وكان من ذلك أن أمر وزيره الفتح بن خاقان بسبّه وشتمه.

الفتح بن خاقان: يذكر له من السباب والشتائم ما أمره به المتوكل.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يرى دناءة المتوكل وانحطاطه إلى هذا المستوى السحيق، مما يأذن بانتقام الله تعالى منه يجيبه بتلاوة آية من القرآن الحكيم ويُشير إلى ذلك بتلاوة قوله تعالى ـ:

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1].

الفتح بن خاقان: يسمع جواب الإمام الهادي (عليه السلام) ويوصله إلى المتوكل.

المتوكل ـ يشتّد حنقاً وغيظاً عند ما يسمع الجواب ويتوعّد الإمام (عليه السلام) بقوله:

سوف أقتله بعد ثلاثة أيام.

أبو سالم: ولكن لم يكن كما أراد المتوكل، بل كان ما توعّده الإمام

---

(١) سورة هود: ٦٥.

الهادي (عليه السلام)، حيث هبّ بعض قواد الجيش وقاموا بقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان في اليوم الثالث من ذلك[١].

تضييقات جديدة

كانت هذه نماذج من سيرة الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) تجاه السلطة الحاكمة وتجاه التضييقات التي أعملها المتوكل في حقّه (عليه السلام)، وكانت من نوع الرقابة المشدّدة عليه، والجلب له، والتحري لمنزله، والمحاولة للحط من شخصيته (عليه السلام) ـ كما اتضح مما مضى ـ والآن نتطرق لذكر تضييقات أخرى، ومن نوع آخر، سجلها التاريخ في صفحاته مما كان يمارسها المتوكل في حق الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، ليشدد الخناق عليه، ويقيّده عن الانطلاق في مهامّه، فلنرى معاً ما هي تلك التضييقات، وكيف كانت سيرة الإمام الهادي (عليه السلام) تجاهها، وكيف كان يواجهها؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠٤، عن المناقب ج٤ ص٤٠٧، بتصرف.

رحلات عابثة

يحدثنا السيد هاشم البحراني في كتابه "مدينة المعاجز" عن إحدى الرحلات العابثة التي كان يقوم بها المتوكل للصيد، وذلك للتنزّه واللهو، علماً بأن رحلات الصيد البرّية أو البحرية مما قد أجازها الإسلام وخاصة لمن قد توقفت معيشته عليها، وليس له مورد يعيل به نفسه وأهله إلا عن طريقها، وحرّمها لمجرّد الصيد وتركه يتلف، كما يفعله الأغنياء الذين يملكون قوتهم وقوت عيالهم، ويصنعه المترفون الذين يخرجون إليها طلباً للنزهة واللهو، ويتركون الصيد للتلف، وخصوصاً على الطبقة الحاكمة، الذين عليهم أن لا يشتغلوا بشيء عن مصلحة الشعب، وتأمين سعادته ورفاهه، وتضمين تقدمه ورُقيّه.

والإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) هو أول من يلتزم بذلك، لأنه الأسوة والقدوة للمسلمين في كل التعاليم الإسلامية، وجميع الثقافات السماوية، ومنها: عدم الخروج للصيد، لكن المتوكل العباسي لم يكن كذلك، بل كان كسائر الحكام المترفين من بني أمية وبني العباس وبني عثمان، ولوعاً بالصيد، مشغولاً بنزواته، لا يعبأ بالشعب، ولا يفكّر فيه، ولا يبالي به، سواء شقي أو سعد، تأخر أو تقدم، مات أو عاش.

هذا مضافاً إلى أن المتوكل كان يهدف من رحلاته هذه العابثة، تحقيق نواياه السيئة تجاه الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، كما ترويه لنا القصة التالية:

يحدثنا المصدر المذكور عن ابن ماهويه أنه قال:

ركب المتوكل يوماً وهو يريد الصيد، فبعث رسوله إلى سيدنا أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ليقول له:

إن المتوكل قد ركب يريد الصيد، وهو يخصك بالسلام ويقول لك:

أنا راكب، فاخرج معنا إلى الصيد، لنتبرك بك.

الرسول: يبلّغ الإمام الهادي (عليه السلام) رسالة المتوكل.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يتبع ـ كما سبق ـ سياسة المهادنة مع المتوكل يجيب الرسول قائلاً:

قل له: إني راكب، وعلى أهبة الالتحاق به.

الرسول: يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) ويخرج.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت بعد خروج الرسول إلى من حوله ويخبرهم عما ينويه المتوكل من سوء تجاهه بقوله ـ:

إن كلام المتوكل ورسالته لم يتطابقا مع ما يقصده وينويه.

الجماعة الحاضرون: يا مولانا يا أبا الحسن فما الذي ينويه المتوكل ويريده من دعوتكم للمشاركة؟.

الإمام الهادي (عليه السلام): إن المتوكل يُظهر هذا القول، ويقصد غير ذلك، وهو:

أنه إذا أصابه في رحلته هذه خير، نسبه إلى ما يريد وما أظهره من كلامه،

وإن أصابه شر، نسبه إلينا وتشاءم بنا.

لكنه سوف يركب في هذا اليوم ويخرج إلى الصيد، فيصل هو وجيشه إلى قنطرة على نهر، فيعبر سائر الجيش ولا تعبر دابته، فيرجع، فيسقط من فرسه، وتزل رجله، وتتوهن يداه، فيمرض شهراً.

ابن ماهويه: ثم إن سيدنا أبا الحسن ركب وركبنا، وسار وسرنا معه، والتحقنا في أواخر الموكب العباسي.

المتوكل ـ وهو يظهر شوقه وتلهفه إلى ابن عمه أبي الحسن وينادي ـ :

أين ابن عمي المدني؟

خاصة المتوكل ـ وقد علموا بالتحاق الإمام الهادي (عليه السلام) بهم، يقولون له ـ :

إن ابن عمك المدني أبا الحسن، سائر في الجيش.

المتوكل: ألحقوه بنا، ليكون معنا.

ابن ماهويه: ونحن في هذه الحال، إذ وردنا النهر ووصلنا القنطرة، فتشعّبت القنطرة وتهدّمت، ونحن نسير في أواخر الناس مع سيدنا أبي الحسن، فعندها رجع أبو الحسن ورجعنا معه، وبقينا ننتظر ما يجرى على المتوكل مما أخبر به الإمام الهادي (عليه السلام)، فلم يمض من النهار إلا ساعات، حتى جاءنا الخبر على النحو التالي:

ورد الجيش النهر والقنطرة، وعبرت دوابهم إلا دابة المتوكل، حيث

امتنعت من العبور وأبت عن ذلك، فاجتهدت خاصّة المتوكل في عبور دابته وسعت سعيها الحثيث، فلم تعبر الدابة، وأخيراً في أثناء معالجتها للعبور، نفرت الدابة فسقط المتوكل من عليها، وزلت رجله، وتوهنت يداه.

ابن ماهويه: ثم إن المتوكل العباسي بقي على إثر ذلك عليلاً طريح الفراش مدة شهر كامل، فكان كما أخبرنا به أبو الحسن الهادي (عليه السلام).

المتوكل ـ وقد علم برجوع أبي الحسن (عليه السلام) وعدم حضوره لحظة سقوطه من على دابته في الجيش أخذ يعتب على الإمام الهادي (عليه السلام) ويخاطب خاصّته مظهراً ما كان ينويه من سوء نيته تجاهه (عليه السلام) ويقول:

إنما رجع أبو الحسن عنا، لئلا تصيبنا هذه السقطة وهو معنا، فيكون مورداً لتشاؤمنا به.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يلتفت إلينا بعد وصول هذه الأخبار ويقول ـ:

لقد اعترف المتوكل وصدق فيما قاله أخيراً، لقد أظهر بكلامه هذا ما كان يخفيه في نفسه، ويحاول أن لا يبديه من سوء سريرته، وخبث نيته.

ابن ماهويه: فصدّق الجميع كلام الإمام الهادي (عليه السلام) وعلموا بوقوع كل ما أخبرنا به (عليه السلام) مما يجري على المتوكل[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٢٠ ح٢٧، عن مدينة المعاجز للبحراني، بتصرف.

ألعاب رياضيّة

الرياضة البدنية، وتنشيط الجسم، وتقوية العضلات، مما اعتنى بها الإسلام وحث عليها كثيراً، واهتم لها اهماماً بالغاً، حتى أعدّ لها برامج خاصة، ومناهج معيّنة، وذلك في اطار نظيف ودقيق، ينسجم مع فطرة الإنسان، ويتلائم مع سلامته ونشاطه، ولا يضر بسعادته وكماله، ولا يصدّه عن تقدمه ورُقيّه.

بينما أصبحت الرياضة في بعض أقسامها وأساليبها، في عالم اليوم وعند بعض الدول، من ضمن المخدارت القوّية، والمغفّلات الفعالة التي تستخدم لإغفال الناس وخاصة الشباب وصدّهم عن التقدم والرقي، وكذا تستخدم كوسيله للسيطرة على الشعوب المستضعفة، ونهب ثرواتها، وسلب خيراتها، وبالتالي استرقاقها واستعبادها.

وملك الروم آنذاك كان ممن يخاف الإسلام والمسلمين على ملكه وسلطانه، ويحاول إغفالهم عنه، وخير طريق إلى ذلك هو إغفال حاكمهم المتوكل، فأرسل له ضمن هدايا عديدة مُصارعاً قديراً، ادعى أنه لم يتمكن أحد على أن يصرعه، وذلك ليلهو به عن التفكر في الفتح الثقافي والتصحيح الفكري والعلمي لبلاد الروم وإنقاذها من ظلمات الجهل والفقر، وكان كما

أراد حيث إن القصة التالية تشرح لنا ذلك.

المتوكل ـ شأنه شأن سائر بن أُمية وبني العباس وبني عثمان وغيرهم من الحكام الطائشين، من حيث السذاجة والسفاهة السياسية، وعدم الحنكة ومعرفة الموازين الأساسية ـ : يقبل ذلك ويفرح به فرحاً شديداً، ويفكر في اتخاذ هذا المصارع لهواً يلهو به ووسيلة يضعف بها شخصية الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، وخصوصاً عندما أدخلوه عليه ومثل بين يديه ورآه رجلاً جسيماً عظيماً يباين أهل وقته وزمانه، ويفارقهم في عظم الخلقة وكبر الجثة، وكانت عليه دراعة ديباج سوداء، جعلته يبدو كأنه جبل أسود قد أحرقته الشمس بلهيبها، وصبغته بشررها، وشوّهته بنيرانها، عندها التفت إليه وقال له:

أهلاً بهدية الملك وتحفته، اجلس حتى نرى لك من يصارعك.

المصارع: يبتسم لابتسامة المتوكل ويجلس على إحدى المقاعد المعدّة في القاعه بانتظار المصارع.

المتوكل ـ وهو يلتف إلى أحد أخصائه يدعى بابن الرومي ويقول له ـ :

ادع لنا أبا الحسن ابن الرضا، وقل له: إن المتوكل يسأل عنك.

ابن الرومي: ينفّذ مأموريته بسرعة فائقة، ويعود ـ بعد أن أبلغ الإمام (عليه السلام) الدعوة ـ إلى مجلس المتوكل من حينه.

الإمام الهادي (عليه السلام): يتهيأ للخروج، ويدخل على المتوكل، ويتّجه نحوه، ولما أن قرب منه، قام إليه ابن الرومي وبإشارة من المتوكل ليقول له وبكل صلافة:

يا أبا الحسن، إن المتوكل يأمرك أن تصارع هذا الرجل، وأشار بيده نحو الرجل العظيم الخلقة، الكبير الجثة، الجالس على إحدى مقاعد القاعة.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو لا يعبأ بالرجل ولا ينظر إليه، وإنما يلتفت إلى ابن الرومي ويردّ على كلامه بقوله:

إن بيني وبين المتوكل رحماً ماسّة، وفي هذا ما يخالف قواعد الرحم وأصولها، ونصيحتي هذه إشفاقاً مني عليه ورحمة، فلو استدعى واحداً من العسكر غيري، يصارع هذا الرجل وينازله، فإنه أكرم للرحم وأقرب.

ابن الرومي: كلا يا أبا الحسن، إن المتوكل لا يرضى بغيرك أحداً يصارع هذا الرجل، ولا يسحب أمره عنك، فلابد لك من ذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ حيث يرى إصرار المتوكل وإكراهه له في مصارعة الرجل ـ يعزم على الأمر، ويشير للرجل المصارع بالتهيؤ لذلك.

الرجل المصارع: يهيؤ نفسه، ويستعد للمنازلة، لكنّه بمجرد أن قام وقابل الإمام الهادي (عليه السلام)، وصار معه وجهاً لوجه، وهو يحاول الهجوم وممارسة فنونه الرياضية، إذ رمقه الإمام (عليه السلام) بنظرته، وأومأ إليه بيده، فإذا به لم يتمالك نفسه، وسقط على الأرض ليس مصروعاً فحسب، بل وقع مغشياً

عليه لا يدرك شيئاً، ثم أفاق بعد حين، وهو يسلّم لأبي الحسن ويتواضع له، ويقرّ بخسارته وهزيمته، ويخضع لعظمته وقدرته، ويؤمن بولايته وإمامته (عليه السلام).

المتوكل: وهو يتذوق طعم الانكسار ويتحسّس ألم الهزيمة لا يرى بُداً من أن يقوم من مجلسه ويعانق الإمام الهادي (عليه السلام) ويعتذر من مزاحمته له ويأذن له بالانصراف موقّراً مكرّماً[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٢٢ ح٢٨، نقلاً عن الدمعة الساكبة، بتصرف.

أسئلة محرجة

إن الذين يتسلّلون إلى مناصب الحكومة، ويتربعون على كرسّي الحكم، بلا كفاءة نفسية، ولا مؤهلات ذاتية، بل عبر الحديد والنار، أو التزوير والدجل، فإنهم حيث لا يرون في أنفسهم الكفائة اللازمة ولا الأهلية المطلوبة، يحاولون دفن كل الكفائات وطم كل المؤهلات الموجودة بين الناس، كي لا تنكشف سوءاتهم، ولا تبدو عوراتهم، فيميل الناس عنهم.

ومحاولتهم تكون إما عن طريق شراء من يستطيعون شراءه من أصحاب الكفاءات والمؤهلات، وصهره في بوتقتهم، أو اغتياله والتخلص منه إذا لم يرضخ لعملية الشراء، سواء اغتيال شخصيته بالصاق التهم والافتراءات عليه، وإشاعة الأكاذيب ضدّه، أو اغتيال شخصه بالبحث عن مستمسك فيه، يتشبث به لضربه، وإذا لم يكن هناك عليه أي مستمسك، قوبل بأسئلة محرجة، قد يؤدّي جوابها ـ مع أقل غفله ـ إلى مستمسك عليه، فيؤاخذ بها أخذاً شديداً.

والمتوكل هو أحد هؤلاء الذين تسللوا إلى الحكم كبقية أقرانه من بني أُمية وبني العباس وبني عثمان وغيرهم، بلا كفاءة نفسية، ولا مؤهّلات ذاتية، وشأنه كشأنهم في ممارسة هذه الضغوط ضد من يتحلّى بالكفائة ويتزين بالمؤهلات وعلى رأسهم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، فلننظر كيف يتذرّع المتوكل ـ ضمن مخططاته الفاشله وأسئلته المحرجة ـ لضرب الإمام الهادي (عليه السلام)، بعد أن باء

بالفشل في عملية الشراء، وخاب في اغتيال شخصيته (عليه السلام)؟

يحدثنا الإربلي في كتابه "كشف الغمة" عن علي بن يحيى بن أبي منصور أنه قال:

كنت بين يدي المتوكل، إذ دخل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (عليه السلام) عليه، فقام له المتوكل ورحّب به، وأجلسه إلى جانبه، ثم التفت إليه قائلاً:

أخبرني يا أبا الحسن عما يقوله ولد أبيك في العبّاس بن عبد المطلب؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يحتاط في الجواب ـ وهو يعلم أن المتوكل حيث ينتسب عبر آبائه إلى العباس بن عبد المطلب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله) ومن أجل ذلك عرفوا بالعباسيين، قد طرح عليه هذا السؤال ليحرجه به، ويؤاخذه عليه بكل دقيقة فيه، ثم يتذرع عبرها إلى ايذائه، أو لربما إلى قتله ـ فيجيبه بحذر كامل، وكياسة عالية ويقول ـ :

ما ظنك في ولد أبي أن يقولوا في رجل فرض الله طاعة نبيه على جميع خلقه، وفرض الله طاعته على نبيه (صلى الله عليه وآله)؟

هذا والإمام الهادي أبو الحسن علي بن محمد (عليه السلام) ـ كما في مروج الذهب للمسعودي ـ يقصد من الجملة الأخيرة:

"وفرض الله طاعته على نبيه" أي طاعة الله على نبيه فرض، لا طاعة العباس فرض على النبي، لكنه (عليه السلام) جعل العبارة موهمة لذلك، وهو من

بديع الكلام وجميله، وقمة الفصاحة والبلاغة أمام الحكام الظالمين.

المتوكل ـ وهو يتصور المعنى الموهم من كلام الإمام الهادي (عليه السلام)، فيفرح فرحاً كثيراً، ويشكره بقوله:

أحسنت يا أبا الحسن وأجدت، جزاك الله عنا وعن العباس خيراً.

ثم يأمر له بصلة تساوي مائة ألف درهم، ويصرفه معزّزاً مكرّماً[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٤ ح٥، عن كشف الغمة، بتصرف.

من هو الظالم؟

ويحدثنا كتاب "الاستدراك" عن ابن المتوكل، أنه قال:

رفع الوشاة إلى المتوكل تقريراً على أبي الحسن، جاء فيه: إن أبا الحسن علي بن محمد بن علي الرضا (عليه السلام)، يفسّر قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾[1] في الأول والثاني.

المتوكل ـ يشتد غضباً من ناحية، ويفرح من ناحية أخرى، حيث يرى أن في هذا الكلام مستمسكاً كافياً لمؤاخذة الإمام الهادي (عليه السلام) عليه، والنيل من شخصه وشخصيته، وهذا ما يتمنّاه ويسعى في الوصول إليه، لذلك يلتفت إلى خاصّته ويقول ـ :

فكيف الوجه في أمره، والحيلة في شأنه؟

خاصّة المتوكل: تجمع له الناس من كل الطبقات: من العامة والنصّاب، ومن الشيعة والموالين له، وتسأله بحضرتهم، فإن فسّرها بهذا، كفاك الحاضرون أمره، وإن فسّرها بخلاف ذلك، افتضح عند أصحابه وشيعته.

المتوكل ـ وهو يستحسن هذا الوجه، فيبعث إلى كافة الطبقات من الناس، وإلى القضاة، وبني هاشم، والأولياء، ثم يدعو الإمام الهادي (عليه السلام)

---

(١) سورة الفرقان: ٢٧ و٢٨.

للحضور، وعند ما يحضر (عليه السلام) ويستقر في مجلسه، يلتفت إليه المتوكل بغرور وكأنه قد تطاول إلى السماوات العلى، وغزا ما في الفضاء والكون الرحيب، فيشق سكوت المجلس وسكونه بكلامه قائلاً ـ :

أخبرنا يا أبا الحسن، في من تفسر قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾[1]؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت اليه بلا تأمل ولا تريث، ويجيبه بما يحط من غلوائه وجبروته، ويرده إلى نفسه متصاغراً خانعاً بقوله (عليه السلام) له ـ :

هذان رجلان عناهما الله تعالى، ولكن كنّى عنهما، ومنّ بالستر عليهما، أفتُحب أن تكشف ما ستره الله؟

المتوكل ـ يرجع إلى نفسه، وهو يرى أنه أراد أن يحرج الإمام الهادي (عليه السلام) وينال منه، لكنه هو الذي قد أحرج، فيفكر ما الذي يجيب؟. هل يقول: نعم أحب ذلك، فهو تجاسر على الله وكتابه ويستنكره عليه الحاضرون، أو يقول: لا أحب ذلك، فقد تخلص الإمام الهادي (عليه السلام) من الجواب، ونجى من الأمر المدبّر ضده، لكنه حيث لم ير لنفسه بداً من انتخاب الشق الثاني والرضوخ إليه، يرفع رأسه إلى أبي الحسن (عليه السلام) ويقول ـ :

كلا يا أبا الحسن، لا أحب ذلك.

وهكذا استطاع الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) أن يتخلص من

---

(١) سورة الفرقان: ٢٧ و٢٨.

المأزق الذي قد أعده له المتوكل، ظافراً مظفراً، وأن يردّ المتوكل بغيظه لم ينل خيراً[١].

شيخ الأبطح

ويحدثنا السيد هاشم البحراني في كتابه: "مدينة المعاجز" عن الحسيني أنه قال ما يلي:

ركبنا مع سيدنا أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) إلى دار المتوكل في يوم السلام - وهو اليوم الذي كان يجلس فيه الخليفة لقضاء حوائج الناس - ولما قضينا هناك وطراً، وأراد أبو الحسن (عليه السلام) أن ينهض وتهيئنا لننهض معه، إذ التفت إليه المتوكل وهو يقول: اجلس يا أبا الحسن، فإني أريد أن أسألك عن أسئلة تختلج في صدري.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يعود ليستقر في مكانه، واستقررنا أيضاً في مكاننا يتوجّه إليه ويقول له: سل عما بدا لك.

المتوكل: هل هناك في الآخرة شيء غير الجنة والنار، يحلّون به الناس؟

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو - لحكمة يراها ومصلحة يعرفها - لا يريد الدخول في جزئيات الموضوع ودقائقه لذلك يجيبه قائلاً: لا يعلمه إلا الله.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٤ ح٧، عن الاستدراك، بتصرف.

المتوكل وهو يتوقع الجواب الشافي والشرح المبسوط عما سأل عنه فيعود ليقول: فعن علم الله أسألك؟.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه للمرة الثانية بإجمال ويقول: ومن علم الله أخبرك.

المتوكل وهو يرى خيبته عن تحصيل الجواب، وفشله في عرض المقدمة، يغيّر طريقة السؤال ويتطرق لعرض ما يهدفه، ويكر متسائلاً بقوله: ما تقول يا أبا الحسن، في ما رواه الناس من: أن أبا طالب، يوقف إذا حوسب الخلائق، بين الجنة والنار، وفي رجله نعلان من النار يغلي منهما دماغه، لا يدخل الجنة لكفره، ولا يدخل النار لكفالته رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وصدّه قريشاً عنه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يتألم من هذا الحديث المجعول، المفترى على الله ورسوله، فيرّد على المتوكل بحدّة وشدّة قائلاً: ويحك، لو وُضع إيمان أبي طالب (عليه السلام) في كفّة، ووُضع إيمان الخلق في كفة أخرى، لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم جميعاً.

المتوكل وهو يظهر استنكاره من كلام الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: ومتى كان أبو طالب مؤمناً؟

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يرى شرر الحسد، وسهام الأنانية تتطاير من عيني المتوكل، وتتناثر في طيات كلامه، فينهره بقوله: دع ما لا تعلم، واسمع ما لا يردّه المسلمون، ولا يكذّبون به.

المتوكل وهو ينصاع لعظمة الإمام الهادي (عليه السلام) وينقاد لهيبته الربانية، ويتحسس من نفسه النقص والذل، لكن يصارع أحاسيسه، ويتظاهر بصورة الفائق الغالب ويقول: وما هو ذلك الذي يسلّمه المسلمون، هاته يا أبا الحسن؟

ملوك أهل الجنة

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبدأ ببيان الحديث الشريف مراعياً فيه مستوى درك المتوكل وفكره، حيث إن عبارات هذا الحديث ـ كما سترى ـ منزّلة على معتقد العرف العام، المتأثر بالأجواء السياسية المصطنعة آنذاك ضد أهل البيت (عليهم السلام) عامة، وأبي طالب (عليه السلام) بصورة خاصة، وإلا فإن آباء وأُمهات الأنبياء كلهم موحّدون مؤمنون بالله بروايات الفريقين، ولعلّ ما يذكره (عليه السلام) من إحيائهم بعد موتهم كان لأجل إقرارهم بولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليكمل بذلك إيمانهم، ويؤيده ما سيأتي في الحديث: "..فادعهم إلى الإيمان.."ولم يقل إلى الإسلام، فإن ولايته (عليه السلام) تكميل للدين كما قال تعالى بعد أن نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..﴾[1] لذلك بدأ (عليه السلام) يقول ـ:

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حج حجة الوداع، فنزل بالأبطح وذلك بعد فتح مكة، فلما جنّ عليه الليل، أتى القبور: قبور بني هاشم، وقد ذكر أباه

(١) سورة المائدة: ٣.

وأُمه وعمه أبا طالب (عليهم السلام)، فداخله حزن عظيم عليهم، و رقّةً بهم.

عندها أوحى الله تعالى إليه: أن الجنة محرمة على المشرك بي، وأني أعطيك يا محمد ما لم أعطه أحداً غيرك، فادع أباك وأمك وعمك أبا طالب، فإنهم يجيبونك، ويخرجون من قبورهم أحياءً لم يمسّهم عذابي، لكرامتك عليّ، فادعهم إلى الإيمان ورسالتك وموالاة أخيك والأوصياء منه إلى يوم القيامة، يجيبونك ويؤمنون بك، فأهب لك كلما سألت، واجعلهم ملوك الجنة كرامةً لك يا محمد.

فرجع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له: قم يا أبا الحسن فقد أعطاني ربي هذه الليلة ما لم يعطه أحداً من خلقه، في أبي وأمي وأبيك عمّي" ثم حدّثه بما أوحى الله تعالى إليه، وخاطبه به، وقد أخذ بيده وصار معه إلى قبورهم، حتى إذا وقف عليهم ناداهم بأسمائهم فأجابوه.

فدعاهم إلى الإيمان بالله وبه وبآله (عليه وعليهم السلام) والإقرار بولاية علي ين أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) والأوصياء منه، فلبّوا دعوته، وآمنوا بالله وبرسوله وأمير المؤمنين والأئمة منه واحداً بعد واحد إلى يوم القيامة.

ثم التفت إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك وقال لهم:

عودوا إلى الله ربكم، وإلى الجنة، فقد جعلكم الله ملوكها، فعادوا إلى قبورهم.

الاستدلال لإيمان أبي طالب عليه السلام

ثم إن الإمام الهادي (عليه السلام) أخذ يستدل للمتوكل على إيمانهم: بنيابة الإمام أمير المؤمنين والأئمة (عليهم السلام) بالحج عنهم، المتضمن ذلك لطلب الاستغفار لهم، والاستغفار لا يجوز إلا عن المؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى..﴾[1].

وأردف يقول: فكان والله أمير المؤمنين (عليه السلام) يحج عن أبيه وأمه وعن أب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمه، حتى مضى، ووصّى الحسن والحسين (عليهما السلام) بمثل ذلك، وكل إمام منا يفعل ذلك إلى أن يظهر الله أمره.

المتوكل ـ وهو يتظاهر بمظهر مَن قد مرّ على سمعه هذا الحديث، فيعقّب كلام الإمام الهادي (عليه السلام) بما يجعل لنفسه المنفذ والمهرب، ويحرز لها الظفر والغلبة بحسب نظره، فيقول ـ: قد سمعت هذا الحديث، ولكن سمعت إلى جانبه أيضاً: بأن أبا طالب في ضحضاح من نار، فهل تقدر يا أبا الحسن أن تريني أبا طالب بصفة، حتى أقول له ويقول لي، وأُكلّمه ويكلّمني؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه بكل بداهة وبساطة، على خلاف ما كان يتصوره المتوكل في نفسه، ويقول له: إن الله سيريك أبا طالب في منامك الليلة،

---

(١) سورة التوبة: ١١٣.

فتقول له ويقول لك، وتكلّمه ويكلّمك.

المتوكل وهو يرى أنه قد أُفحم، ولم يحصل له مهرب، يحاول التشبث بما يوطّيء لنفسه أرضية المكر والخداع، والكذب والأفتراء، فيقول: سيظهر صدق ما تقول يا أبا الحسن، فإن كان حقاً صدّقتك في كل ما تقول، هذا وهو ينوي في نفسه، إخفاء الحق والواقع، وتمويه كلام الإمام (عليه السلام) وتكذيبه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يطلع على سوء نيته، فيجيبه بما يسدّ النوافذ والطرق عليه بقوله: اعلم أني ما أقول لك إلا حقاً، ولا تسمع مني إلا صدقاً.

المتوكل، وهو يحاول إبقاء النوافذ مفتوحة عليه للمكر والخداع، والتمويه والتشويه فيقول بغرور: أليس يأتي في هذه الليلة في منامي، كما تقول يا أبا الحسن؟.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يعود ليسدّ على المتوكل المنافذ بقوله ـ : بلى كما قلت لك، سيأتيك ويكلّمك حتماً.

المتوكل: حيث يرى نفسه مغلوباً تجاه عظمة الإمام الهادي (عليه السلام) وحجته، يأذن له بالتوديع والانصراف.

الإمام الهادي (عليه السلام): يودّع وينصرف غالباً منتصراً.

المتوكل يخلو بنفسه ويفكر في أمره، حتى إذا جنّ عليه الليل، أخذ يتمتم ويقول: أريد أن لا أرى أبا طالب في منامي هذه الليلة، فاتذرع بذلك إلى قتل أبي الحسن علي بن محمد بادعائه الغيب وافترائه الكذب.

الفرار الماكر والخاسر

ثم ارتأى المتوكل أن يشرب الخمر ويعمل المنكرات وينام على جنابة، حتى لا يرى أبا طالب في منامه، وفعل ذلك كله واستلقى وهو على جنابة، حتى إذا غلب عليه النوم، وغمضت عيناه، إذا به يرى أبا طالب في نومه، فيهرع إليه فزعاً مرعوباً، ويقول له ويكلمه، ويسمع منه ردّه وجوابه، كنص ما قال له أبو الحسن (عليه السلام) في يقظته، وما جرى له في يومه، بلا زيادة ولا نقيصة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يخبر أصحابه في صبيحة تلك الليلة بما رآه المتوكل، ويرفع الستار عن تآمره وسوء ما نواه بقوله: لقد رأى المتوكل أبا طالب في منامه وكلّمه وسأله، رغم كل القبايح التي عملها، والجنابة التي صار فيها، حتى لا يراه.

المتوكل حيث إنه لم يحصل على ما يريد، ولم يصل إلى هدفه، يخفي ما رآه، ولم يسأل عن أبي الحسن (عليه السلام)، ولا يطلب زيارته ولا حضوره، وظل يفكر في حيلة أخرى، حتى إذا مضت ثلاثة أيام أحضره، وقال له مهدداً، وبكل صلافة: يا أبا الحسن، قد حلّ لي دمك، وطاب لي قتلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يرمقه بنظر الاستنكار والاستصغار، ويقول له: ولم ذلك؟ وكيف؟

المتوكل وقد دبّر المؤامرة من ذي قبل، وهو يحاول الآن تنفيذها يقول:

لأجل ادعائك الغيب، وافترائك الكذب، أليس قلت لي: إني أرى أبا طالب في منامي فأسأله ويجيبني؟.

الإمام الهادي (عليه السلام): نعم، قلت لك ذلك، ثم ماذا؟

المتوكل: فإني لم أره في ليلتي، وعملت الأعمال الصالحة في الليلة الثانية والثالثة لعلي أراه، فلم أره، ولذلك فقد حلّ لي قتلك، وطاب لي سفك دمك.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يرى طغيان المتوكل وجبروته، يعلم أن لا طريق لردعه إلا بكشف الستار عن جرمه وجريرته، وسوء نيته وسريرته، فيقول له بشدّة: ويحك، ما أجرأك على الله تعالى، ويحك، سوّلت لك نفسك اللوّامة، حتى أتيت المحّرمات، وركبت الفجور، وشربت الخمور، ونمت على جنابة، لئلا ترى أبا طالب في منامك، فتتذرع بذلك إلى قتلي، ولكن لم يكن ما تريد، بل كان ما يريده الله تعالى، حيث أراكه في منامك، فأتاك وقال لك وقلت له، وسألته وأجابك، وكلّمته وكلّمك.

ثم قصَّ (عليه السلام) له كل ما كان بينه وبين أبي طالب في منامه، حتى لم ينقص منه حرفاً، ولم يزد عليه حرفاً.

المتوكل ـ وقد سقط في يديه، و باء بغضب من الله، وأحس بهياج سخط الناس، ونقمة الجماهير عليه، يحاول بدهاء، امتصاص النقمة، وتهدئة النفوس، وتضليل الأفكار، فيراوغ في كلامه ويماكر، ويقول بتفنّن وتصنّع ـ :

كلنا يا أبا الحسن بنو هاشم، ولكن سحركم يا آل أبي طالب من دوننا عظيم.

الإمام الهادي (عليه السلام): يستنكر على المتوكل افتراءه هذا بالنهوض من عنده بلا إذن، والانصراف من مجلسه بلا توديع، ويترك الحكم والقضاء في الأمر إلى الناس والجماهير، التي كانت حاضرة تتفرج مسرحية المراوغة والدجل، التي دبرها ونفّذها المتوكل ضد الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٢١ ح٢٩، عن مدينة المعاجز، بتصرف.

سياسة خاطئة

كان تخطيط المتوكل مستمراً، ومحاولاته جادة، تتعاقب إحداها الأخرى، سعياً في الحط من شخصية الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام)، والنيل من كرامته وعلو مقامه، وكانت كلها تبوء بالفشل وتعود بالخيبة.

غير أن المتوكل كواحد من الحكام الطغاة، لم يكن من أصحاب العقول والحنكة، ولا من أولي النُهى والحجى، حتى يرعوى عن أعماله، ويعتبر منها، بل كان يزداد إصراراً ولجاجاً، وذلك لما قد أزالت عقله الخمور والفجور، وأعمته الدنيا وحب الرئاسة، وأسكرته العلائق والمناصب، فبات لا يعرف غيّه من رشده، ولا يعي ما يضرّه مما ينفعه، وراح يصرّ على مناوئة الإمام الهادي (عليه السلام) ومضايقته، وحيث لم يكن هناك ما يتشبث به لإيذائه (عليه السلام)، فكّر في اختلاق لعبة جديدة، ومسرحية حديثة، ومسابقة ركضٍ وعدوٍ غريبة، وإنما هي غريبة لأنها ليست من نوع مسابقات الركض المعروفة لدينا، والمتداولة في عالم الرياضة والمسابقات عندنا، بل هي من نوع جديد، تميّزها النقاط التالية:

١: اشتراك كل طبقات الشعب فيها، من الجيش والأمراء، والأشراف والأعيان، حتى الناس العاديين.

٢ : المسابقة لا تحظى حتى بمتفرج واحد، بل بقيت بعيدة عن صخب المتفرجين وضوضائهم، لأن الكل متسابقون وقد نزلوا ساحة المسابقة.

٣ : المسابقة إجبارية غير حرة، ولم يكن لأحد من الشعب التخلف عنها.

٤ : جميع المتسابقين مشاة رغم مكانتهم الاجتماعية أو عجزهم الجسمي، ما عدا أصحاب السيادة بزعمهم مثل : المتوكل ووزيره.

٥ : السبق والفوز محرز من ذي قبل بلا شك ولا ترديد لاثنين فقط، وهما : المتوكل ووزيره.

٦ : الهدف من المسابقة، ليست تقوية عضلات، أو نزهة ساعات، أو إعطاء جوائز للسابقين ـ كما يتذرع بها اليوم ـ بل إثبات الشموخ والكبرياء للمتوكل ووزيره، وتحقيق الاستهانة والاستخفاف بالشعب، والحط والنيل من شخصية الإمام الهادي (عليه السلام).

فمسابقة هذه هويتها وجنسيتها، كم تكون شاقة على الناس معنوياً ومادياً، ومؤلمةً روحياً وجسيماً، وخصوصاً على الشيوخ منهم والعجزة، وخاصة على ذوي المكانات الاجتماعية منهم والعلمية؟

فلننظر إلى أين سوف تؤدي هذه المسابقة؟

مسرحية كاذبة

يحدثنا زرافة حاجب المتوكل وبوابه قائلاً:

كان المتوكل يفكر في النيل من الإمام الهادي (عليه السلام) والحط من شخصيته، فارتأى أن يدبر مسابقة مشي وعَدو مصطنعة، يمشي ويركض فيها أبا الحسن (عليه السلام)، فينال بذلك منه.

كما أنه كان لحظوة الفتح بن خاقان وزيره عنده، وقربه منه دون الناس جميعاً حتى دون ولده وأهله، أراد أن يبّين للناس ـ عبر هذه المسابقة ـ موضعه عنده، ومنزلته لديه، دونهم.

فطرح المتوكل فكرته هذه ـ التي ستحقق له حسب نظره كلا الهدفين: إعلاء كعب الوزير المحبوب، والاستخفاف بالإمام الهادي (عليه السلام)، ـ على وزيره الفتح بن خاقان، ليهيّئ الأسباب، ويتخذ الاجراءات اللازمة لتنفيذها.

الفتح ـ وهو يقلّب الأمر ويتدبر فيه، فيحسّ بالخطر كامناً وراء هذه المسابقة، ويحدس بأن المسابقة ستتم بثمن غالٍ جداً، ربما يكون هو دم المتوكل ودمه، وحياة المتوكل وحياته، فيقول له بصراحة ـ:

إني أرى في هذه شناعة عليك، وسوء قالة، فلو أغضيت النظر عنها، وتركتها، لكانت بنفعك وفي مصلحتك.

المتوكل ـ وقد أسكرته نشوة الملك، وأطغته تمركز القوى لديه، لا يلتفت لنصح وزيره، فيلحّ قائلاً ـ :

كلا، لابد لنا من هذه.

الفتح ـ حيث قد أوجس بالخطر المحدق، لما كان يلمسه من الشعبية التي يحظو بها الإمام الهادي (عليه السلام) في النفوس، يطرق برأسه قليلاً، ثم يرفع رأسه ويشير عليه بقوله ـ :

فإن لم يكن بد من هذا، فأمر بأن يمشي القواد والأشراف كلهم، وأن يشترك الجميع في المسابقة، حتى لا يظن أحد من الناس، بأنك قد قصدت أبا الحسن علي بن محمد بهذا، دون غيره.

المتوكل ـ ينزل إلى ما أشار عليه وزيره الفتح، ويقبل نصحه، فيقول ـ :

لا بأس، سأفعل ذلك، فمهّد المقدمات اللازمة لها.

ثم إنه أمر جميع أركان مملكته من الأشراف، والوزراء، والأمراء، والقواد، وسائر العساكر، ووجوه الناس، وكل المتواجدين في سامراء، أن يتزيّنوا بأحسن زينة، ويظهروا في أفخر ملابسهم الخاصة بكل صنف منهم، والجيش في أفضل معداتهم وذخائرهم العسكرية، وأن يخرج الجميع مشاة بين يديه، وأن لا يركب أحد إلا هو ووزيره الفتح بن خاقان خاصة.

المسابقة وساعة الصفر

وحانت ساعة الصفر وبدأت المسابقة، وأقبل الناس، كل الناس، يمشون بين يدي المتوكل ووزيره الأوحدي الفتح بن خاقان على مراتبهم وأصنافهم مكرهين، ويشتركون في مسابقة غريبة لا عهد لهم بها، وعجيبة لا يعرفون الهدف العقلائي منها مجبرين، وكان الفصل صيفاً، واليوم شديد الحر، والناس يتصبّبون عرقاً، ويتلهفون عطشاً وظمأً، وقد أخرجوا مع الأشراف الإمام أبا الحسن علي بن محمد (عليه السلام) وهم رجالة وهو راجل أيضاً، وقد شقّ عليه ما لقي من الحر والازدحام وطول المسافة، وبان ذلك على وجهه الكريم.

زرافة: حتى إذا أعلنت صافرة الحَكَم نهاية المسابقة، وتنفّس الناس الصعداء، لارتياحهم من هذا البلاء والعناء، وأخذوا في التفرق، أقبلتُ إلى أبي الحسن (عليه السلام)، فأخذت بيده، وأجلسته في الدهليز، ومسحت عرق جبينه ووجهه بمنديل وقلت له:

يا أبا الحسن، إن ابن عمك المتوكل، لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجد ـ أي لا تسخط ولا تغضب ـ عليه في قلبك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يشير إلى نهاية الظالمين، وشمول غضب الله لهم، بما يتحكمّون بمقدّرات الشعب، ويتلاعبون بمصالح الناس، ويستهينون بأولياء الله، وذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقول ـ :

إيهاً عنك يا زرافة، فما ناقة صالح عند الله بأكرم مني، ولا بأعظم قدراً مني على الله، ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1].

زرافة: بعد أن مضت فترة، استراح فيها الإمام، وبعد أن أجابني فيها على أسئلة عرضتها عليه استفدت منها، قدّمت بغلة له، ليركبها إلى منزله.

الإمام الهادي (عليه السلام): يشكرني على ذلك، ثم يركب البغلة متوجهاً إلى منزله.

زرافة: ركبت معه إلى داره، فلما نزل ودّعته، وانصرفت إلى داري، وكان لولدي مؤدّب ومعلّم يتشيّع، وكان من أهل العلم والفضل، وكانت من عادتي إحضاره عند الطعام، فلما حضر، تداولنا حديث المسابقة، والتقائي بأبي الحسن الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، وما جرى بيني وبينه، وذكرتُ له ما سمعته من قوله: ما ناقة صالح عند الله بأعظم قدراً مني، وما تلاه من الآية الكريمة: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ...﴾ وهو يتصبب عرقاً[2].

زرافة يواصل كلامه ويقول: هذا والمعلم يأكل معي، ويستمع إلى حديثي، حتى إذا انتهيت إلى ما قاله (عليه السلام)، إذا به يرفع يده عن الطعام ويلتفت إلي مستفسراً وهو يقول:

بالله عليك يا زرافة، إنك سمعت هذا اللفظ منه؟

---

(١) سورة هود: ٦٥.

(٢) سورة هود: ٦٥.

زرافة: والله يا أيها الأستاذ، إني سمعته يقول ذلك، بلا زيادة ولا نقيصة.

المعلم: إذن اعلم يا زرافة بأنه لو كان علي بن محمد (عليه السلام) قال بما قلت، فإن المتوكل في خطر، وسوف لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام، ثم يهلك بموت أو قتل، فانظر في أمرك، واحرز ما تريد إحرازه، وتأهّب لأمرك، كي لا تذهب أموالك بهلاك هذا الرجل.

زرافة ـ وهو يتعجب من تفسير المعلم لكلام الإمام (عليه السلام)، ويستاء منه، لكنه يكتم غيظه وغضبه ويقول له ـ:

من أين لك ذلك أيها الاستاذ؟

المعلم ـ ويبدو مطمئناً واثقاً ويقول بلا تزلزل ولا تلكّؤ ـ :

أما قرأت يا زرافة ما تلاه الإمام الهادي (عليه السلام) من قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة النازلة في قصة قوم ثمود وناقة النبي صالح (عليه السلام): ﴿ **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[1]، ولا يجوز أن يبطل قول الإمام (عليه السلام).

زرافة: لم يتمالك نفسه من شدة الغضب، فينهال على الأستاذ سباً وشتماً، ويطرده من بين يديه.

المعلم ـ يخرج بسرعة من عند زرافة، ولا يلتفت إلى ورائه، ويذهب وهو يتمتم في نفسه ويقول ـ :

---

(١) سورة هود: ٦٥.

عند الصباح، يعلو الصياح، ويستبين الحق من الباطل.

زرافة يخلو بنفسه، ويفكر حول ما قاله الأستاذ قليلاً، ثم يخاطب نفسه قائلاً:

ما يضرني أن آخذ بالحزم وأعمل بالحيطة، فإن كان من هذا الذي قاله الأستاذ شيء، كنت قد أخذت بالحزم، ونجوت بنفسي ومالي، وإن لم يكن لم يضرني ذلك شيئاً.

ثم إنه ركب إلى دار المتوكل، وأخرج كل ما كان له فيها، وفرّقه وفرق ما في داره من أموال وذخائر، بين أقوام يثق بهم، ويعتمد على أمانتهم، ولم يترك في داره إلا حصيراً يجلس عليه.

فلما كانت الليلة الرابعة، هجم المنتصر، ابن المتوكل ومعه بغاء ووصيف والأتراك من كبار الجيش على المتوكل، فقتلوه وقطّعوه، والفتح بن خاقان الوزير الأوحدي معه جميعاً، قطعاً قطعاً حتى لم يعرف أحدهما من الآخر، وأزال الله تعالى عنهما نعمته ومملكته.

وهكذا سلم زرافة بنفسه وماله بفضل ذلك الأستاذ الشيعي الفاضل، وصار بسببه ممن يعرف حق الإمام الهادي (عليه السلام) وممّن يتشيّع له، كما أنه لزم خدمته وسأله أن يدعو له بالخير، وبالثبات على ولايته، بعد موالاته له حق الولاية، كما أنه شكر الأستاذ والمؤدّب على ذلك واعتذر منه[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١١ ح١٨، عن مهج الدعوات والخرايج، بتصرف.

الحمّاني[١] أشعر الشعراء

يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء"[٢] عمّا رواه ابن شهر آشوب في "مناقبه" أنه قال: روى أبو محمد الفحام قائلاً:

سأل المتوكل وبمحضر من الإمام الهادي (عليه السلام) ابن الجهم ما يلي:

المتوكل: أخبرني يا ابن جهم عمّن هو أشعر الناس؟

ابن الجهم: نعم، ثم يذكر له بعض شعراء الجاهلية والإسلام ويزعم أنهم أشعر الناس.

المتوكل: يلتفت بعد ذلك إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويطرح عليه نفس السؤال ويقول: من هو برأيكم أشعر الناس؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه قائلاً:

أشعر الناس هو: "الحمّاني" ثم يستدل لذلك بقطعة من قصيدة له قال فيها:

---

(١) الحمّاني هو: أبو الحسين علي بن محمد بن جعفر الكوفي، سيد من أحفاد زيد بن علي السجاد (عليه السلام)، ذكره العلامة الأميني في الجزء الثالث من موسوعة "الغدير"، و عدّه من الرعيل الأول من فقهاء العترة ومدرّسيهم في الكوفة عاصمة التشيّع بالعراق، وجعله في السنام الأعلى من خطباء بني هاشم وشعرائهم، وقد سار بذكره وشعره الركبان، توفي سنة ٣٠١ من الهجرة وكان من المعمّرين.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٢و١٠٣، بتصرف.

"لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمّط خدودٍ وامتدادِ الأصابع"
"ترانا سكوتاً والشهيدُ بفضلنا عليهم جهيرُ الصوت في كل جامع"
"فلمّا تنازعنا المقالَ قضى لنا عليهم بما يهوى نداءُ الصوامع"
"فإن رسول الله أحمد جدّنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالع"

المتوكل لا يستسيغ ذلك ويقول شبه المعترض: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يعرّفه على نداء الصوامع ويقول: هو صوت المؤذّنين فوق المنائر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم يضيف قائلاً: محمد رسول الله جدّي أم جدّك؟

المتوكل يكظم غيظه ويستسلم للواقع ويقول بصوت يراقفه الضحك المتصنّع: نعم هو جدك يا أبا الحسن ولا ندفعك عنه.

الشعبذة والأعمال السحرية

الشعبذة والأعمال السحرية هي الأخرى أيضاً من العوامل التي كان يلهو بها حكام الجور ويقضون فيها أوقاتهم، متناسين مسؤوليهم تجاه شعبهم، ومتجاهلين ما يجب عليهم أمام رعاياهم، كما أنهم كانوا يتشبّثون بها، ويروّجون لها، ليشغلوا الناس عن قضاياهم المهمّة، ويُلهوهم عن أمورهم الضرورية.

وكان المتوكل كأسلافه من حكام بني العباس وبني أُمية ممن يلهو بالشعبذة والأعمال السحرية، ويتشبّث بها، ويروّج لها، ويستخدمها في الوصول إلى مآربه، وتحقيق مطامعه.

وإلى هذا المعنى يشير ما جاء في كتاب مشارق الأنوار ـ بحسب ما نقله لنا العلامة المجلسي في بحاره ـ عن محمد بن الحسن الجهني أنه قال:

حضر مجلس المتوكل مشعبذ هندي، فلعب عنده بالحُقّ، فأعجبه.

المتوكل يلتفت إلى المشعبذ ويقول له: يا هندي، سيحضر الساعة مجلسنا رجل شريف، فإذا حضر فالعب عنده بما يخجله، ويهدم شخصيته، ويهدر كرامته.

المشعبذ يعد المتوكل بأنه سوف ينفّذ ما يريده وذلك على أحسن ما يرام، ويرضى به المتوكل.

فلما حضر الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، أخذ المشعبذ الهندي يمارس لِعبه، فلم يلتفت (عليه السلام) إليه.

المشعبذ الهندي يُقبل بوجهه على الإمام الهادي (عليه السلام) ويخاطبه قائلاً: يا شريف أما يعجبك لعبي، كأنك جائع؟

ثم أشار إلى صورة مدوّرة في البساط على شكل الرغيف وقال: يا رغيف مرّ إلى هذا الشريف، فارتفعت الصورة باتجاه الإمام الهادي (عليه السلام) وبشكل غير لائق بمقامه (عليه السلام) مما يضحك منه الجالسون.

الإمام الهادي (عليه السلام) ينصح المشعبذ بالكف عن لعبه، فلم يقبل النصيحة ويصرّ على ذلك، فيضع الإمام (عليه السلام) يده على صورة سبع مرسومة في البساط ويقول: قم فخذ هذا المشعبذ.

صارت الصورة سبُعاً حقيقياً وهجم هذا السبع على المشعبذ وابتلعه بالكامل، ثم عاد إلى مكانه في البساط، ولكن قبل أن يعود إلى مكانه، بل بمجرّد انقلاب الصورة سبعاً حقيقياً وهجومه على المشعبذ، إذا بالمتوكل يسقط لوجهه مغشياً عليه، ويهرب كل من حضر في ذلك المجلس[1].

وهكذا يرجع كيد المتوكل إليه ولم يبلغ ما نواه من شر تجاه الإمام (عليه السلام).

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢١١ ح٢٤، بتصرف.

بين جيش السماء و جيش الأرض

يروي لنا العلامة المجلسي في بحاره ما رواه الخرائج من القصة التالية قائلاً:

إن المتوكل ولأجل أن يخيف الإمام الهادي (عليه السلام) كان قد أمر ذات يوم عسكره وجيشه، وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين في ثكناتهم بسرّ من رأى، أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه ـ والمخلاة هي ما يجعل فيه العلف ويعلّق في عنق الدابة لتعتلفه ـ من الطين الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط ساحة واسعة هناك.

الجيش يمتثل ما أمر به المتوكل ويملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الأحمر، ويطرحوه بعضاً على بعض في تلك الساحة الكبيرة حتى صار مثل جبل عظيم، سمّي باسم "تلّ المخالي".

المتوكل يصعد فوق هذا التل العظيم، ويستدعي الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ويطلب منه الصعود إليه، فلما صعد (عليه السلام) إليه، توجّه المتوكل نحوه وقال: استحضرتك لنظارة خيولي، ومشاهدة استعراض عسكري.

هذا وكان المتوكل قد أمر جيشه بأن يلبسوا التجافيف (وهي آلة للحرب يلبسه الفارس والفرس للوقاية) ويحملوا الأسلحة، وأن يكون استعراضهم بأحسن زينة عسكرية، وأتم عدّة حربية، وأعظم هيبة قتالية.

كل ذلك كان من أجل إخافة الإمام (عليه السلام) وإبلاغ رسالة إلى كل من يفكر في الخروج عليه، وينوي الإطاحة به، فإنه كان يخاف من الإمام (عليه السلام) أن يأمر أحداً من أهل بيته أو مواليه بأن يخرج عليه ويطيح بكرسيه وعرشه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت حينئذ إلى المتوكل ويقول له بكل هدوء ووقار: رأيتُ استعراض عسكرك، فهل تحب أن أعرض عليك عسكري، وأُريك جيشي؟

المتوكل يتفاجأ من كلام الإمام الهادي (عليه السلام) هذا ويقول بكل تعجب واستغراب: نعم إن كان لك جيش وعسكر فأرني ذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرفع يديه بالدعاء ويدعو الله تبارك وتعالى، ثم يقول للمتوكل ـ وهو يشير بيده إلى السماء ـ: انظر.

المتوكل ينظر، فإذا به يرى الملائكة مدجّجين بالسلاح، وقد ملأوا ما بين السماء والأرض، ومن المشرق إلى المغرب، فيقع مغشياً عليه، ولا يفيق إلاّ بعد أن يرشّوا الماء على وجهه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت حينئذ إلى المتوكل ويُطَمئنه بقوله: نحن لا ننافسكم في الدنيا، نحن مشتغلون بأمر الآخرة، ثم يقول له: فلا عليك شيء مما تظن[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٥ و١٥٦، بتصرف.

مع اليسع بن حمزة القمي

روى السيد بن طاووس في "مهج الدعوات" على ما جاء في كتاب "تاريخ سامراء"[١] ـ بسنده عن اليسع بن حمزة القمي أنه قال:

إن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم العباسي جعل يظلمني، وجاء عليّ بمكروه فظيع ـ من السجن والقيد والحديد ـ، حتى تخوّفت منه على إراقة دمي، وقطع عقبي، فكتبت إلى سيّدي ومولاي الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة أشكو فيها ما حلّ بي منه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يكتب إليه في جواب رسالته بأن لا روع عليك ولا بأس، ثم يكتب له دعاءً[٢]، ويوصيه بأن يدعو الله به، ويعده بأن يخلّصه الله وشيكاً مما حلّ به، وينجيه مما وقع فيه، ويجعل له فرجاً ومخرجاً، ثم يذكر له بأن آل محمد (عليهم السلام) يدعون بهذا الدعاء عند إشراف البلاء، وظهور الأعداء، وعند تخوّف الفقر، وضيق الصدر.

اليسع بن حمزة يقول: وصلني كتابه (عليه السلام) ودعوت الله تعالى بذلك الدعاء الذي كتبه إليّ سيّدي في صدر النهار، فوالله ما مضى شطراً من النهار

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٨٨ ح٤٠، بتصرف.

(٢) وهو دعاء يشبه الدعاء السابع من أدعية الصحيفة السجادية، بعنوان: (دعاؤه (عليه السلام) في المهمات) ولا يبعد أن يكون هو بنفسه وقد اختلفت بعض كلماته لاختلاف النسخ.

حتى جاءني رسول عمرو بن مسعدة وزير المعتصم يقول لي: أجب الوزير، فنهضت ودخلت عليه.

الوزير حين وقع نظره علي وبصر بي تبسّم إليّ، وأمر بالحديد ففكّ عني، والأغلال فحلّت مني، وأمر لي بخلعة من فاخر ثيابه، وأتحفني بطيب، ثم أدناني وقرّبني، وجعل يحدّثني، ويعتذر إليّ، وردّ عليّ جميع ما كان قد صادره مني، وأحسن رفدي، وردّني إلى الناحية التي كنت أتقلدّها، وأضاف إليها الكورة التي تليها، ـ والكورة: المدينة وكل بقعة تجتمع فيها المساكن والقرى ـ.

مع القاضي العباسي

القاضي، كما في الأحاديث الشريفة، على شفير جهنم، وأنه من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عزوجل فقد كفر، وأن لسان القاضي بين جمرتين من نار، هذا وغيره من الأحاديث الشريفة إن دلت على شيء، فإنها تدل على خطورة القضاء، وعظيم مسؤولية القاضي، إذ هو بأقل غفلة أو زلة أو انحياز إلى طرف، يرتكب ظلماً عظيماً، وجوراً كبيراً على من يحكم عليه بغير حق، فإن المحكوم عليه حينئذ يبقى مظلوماً ومقهوراً، لا يستطيع الانتصار ولا إحقاق حقه.

وفي هذ المعنى يُحدّثنا كتاب "تاريخ سامراء"[1]، عن العلامة الإربلي في كتابه "كشف الغمة" عن أيوب بن نوح، أنه قال:

كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) رسالة وشكوت فيها إليه القاضي العباسي: جعفر بن عبد الواحد، وأخبرته بأنه يؤذيني ويتعرض إلى مضايقتي في الكوفة، بحيث ضاقت عليّ الكوفة وضاق عيشي بها.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبه على رسالته بالجواب التالي:

"تكفى إن شاء الله تعالى أمره إلى شهرين".

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١٨، بتصرف.

أيوب بن نوح يقول: فعزل عن الكوفة في شهرين، واسترحت منه، ونجوت من شره ببركة الإمام الهادي (عليه السلام) ودعائه لي، والحمد لله رب العالمين.

لا أمان من الحكام الظلمة

وروى المحدث الخبير الشيخ حرّ العاملي في "إثبات الهداة" ـ على ما جاء في "تاريخ سامراء"[1] ـ بسنده عن محمد بن علي عن رجل أنه قال: دخلت على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) عائداً وهو شديد العلّة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرفع رأسه عن المخدّة ويرحب بعائده ويقول: صاحبكم من بعدي أبو فلان ـ ولعله يعني (عليه السلام) بذلك التنصيص على الإمام من بعده ـ.

العائد يستفيد من هذا الكلام: أن الإمام الهادي (عليه السلام) ينعى إليه نفسه، حيث ينص على الإمام من بعده، فيقول: جُعلت فداك يا ابن رسول الله نخاف أن يكون هؤلاء قد اغتالوك ـ بدس السم إليك ـ عندما رأوا من شدّة علّتك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: ليس عليّ بأس.

العائد يقول: فكان كما قال الإمام (عليه السلام) حيث إنه برأ من علّته تلك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٦٨ ح٩٩، بتصرف.

جبرائيل يحلق رأس آدم عليه السلام

ويروي لنا كتاب "تاريخ سامراء"[١] عما رواه الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" والفقيه الشامي في كتابه "الدر النظيم" بسنده عن محمد بن يحيى المعاذي عن يحيى بن أكثم قاضي القضاة العباسي أنه قال في مجلس الواثق العباسي وعلماء البلاط بحضرته:

مَن حلق رأس آدم حين حجّ؟

القوم يعجزون عن الجواب ويختلفون فيما بينهم.

الواثق العباسي يلتفت إلى القوم ويقول: أنا سوف أحضر لكم من ينبؤكم بذلك.

ثم يبعث خلف الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ويطلب حضوره.

الإمام الهادي (عليه السلام) يحضر مجلس الواثق ويجلس في المحل المعدّ له.

الواثق العباسي يلتفت حينئذ إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويخاطبه قائلاً:

يا أبا الحسن من حلق رأس آدم حين حج؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يتوجه إلى الواثق ويسأله أن يعفيه عن الجواب

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٥ ح٩، بتصرف.

على هذا السؤال.

الواثق العباسي يقول له وبكل إصرار: أقسمت بالله عليك إلا ما أخبرتنا عن ذلك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول: أما الآن وقد أقسمتني، فاعلم بأن أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جدّه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

أمر الله جبرائيل بأن ينزل بياقوتة من الجنّة، فهبط بها ومسح بها على رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً.

تعقل وتدبر

كان هذا نبذاً يسيراً، وشيئاً قليلاً من التهديد والتوعيد، والخشونة والغلظة التي مارسها المتوكل العباسي وغيره من العباسيين تجاه الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام)، مما لو لم يكن سوى هذا الذي وصلنا عبر التاريخ من تضييق وتشديد، لكان أقوى عامل في صدّ الإنسان وتعويقه عن أعماله اليومية، فكيف بمواصلة أعماله الاجتماعية والسياسية؟

هذا والإمام الهادي (عليه السلام) يمر عليها مرور الكرام، ولا يظهر من نفسه سوى المهادنة والمسالمة، وعدم التعرض والمجابهة، حتى كأنه (عليه السلام) لم يواجه بشيء منها، ولم يتعرض لسوء من قبل الهيئة الحاكمة.

وكان موقفه (عليه السلام) هذا هو من إحدى معجزاته الكريمة، التي دلت على عقله الوافر، وحنكته الكبيرة، بل وعلى عصمته وارتباطه بالسماء، إذ لولا اتخاذه (عليه السلام) هذه السياسة الحكيمة: سياسة عدم المجابهة، وسياسة الحكمة والتدبير، تجاه العباسيين من أمثال المتوكل، لما استطاع أن يواصل هدفه السامي، الذي من أجله عاش وحيى، ولا تمكّن من إحياء الدين والإيمان، وإصلاح الكون والحياة، وإسعاد الإنسان والمجتمع، الذي لإكماله نطق أو سكت.

نعم لولا تلك السياسة الحكيمة، لاشغلت كل حياته قضايا التحدي

والمجابهة، ولملأت كل أوقاته مسائل الحرب والمنازلة، والكرّ والفرّ، ولتغيرت واجهة الإمام الهادي (عليه السلام) الإصلاحية الخيّرة، إلى واجهة ثانية ليست كذلك، ولم يستطع بعدها أن يكون مثالاً للخير والصلاح، ونموذجاً للتقوى والفضيلة.

لكنه (عليه السلام) تغاضى عما يجري عليه من التضييقات، وتحمل المصاعب والمتاعب بكل رحابة صدر، ليتفرغ عن مشاكل المجابهة السافرة، والتحدي العلني، إلى مواصلة نشاطه لحفظ الإسلام والمسلمين، وتربية العلماء والمفكرين، وتوطيد دعائم الشيعة والتشيع[1]: المذهب الحق الذي لا يرضى الله بغيره بدلاً، ولا عنه حولاً، وترسيخ الثقافة الإسلامية العالية في النفوس، وتعميم المفاهيم الأخلاقية والإنسانية في الأوساط الاجتماعية، وبالتالي: وضع الخطوط العريضة المتكفلة للإصلاح العام في الكون والحياة، والإسعاد التام للإنسان والمجتمع، وذلك حسب ما اتخذه من إجراءات حكيمة، وإقدامات جازمة، من عزل ونصب، وتعيين وتوكيل، وأمر ونهي، كان أشبه شيء بحكومة مستقلة، داخل حكومة المتوكل العباسي، دون أن يحيط بها المتوكل علماً أو يتمكن أن يسعها سلطاناً ونفوذاً، أو يستطيع القضاء عليها، وعلى رجالها، كماً وكيفاً.

---

(١) جاء في كتاب: حياة الإمام الهادي (عليه السلام): ص٢٩ أنه: كانت للشيعة في عصر الإمام الهادي (عليه السلام)، قوة رهيبة، كما كانت لهم تشكيلات وتنظيمات خاصة في بغداد وغيرها من البلاد الإسلامية، يزدادون على اثرها كل يوم عدة وعدداً.

ومن تلك المواقف والقرارات ما يلي:

موقف الإمام وقرار الإمامة

الإمامة منصب إلهي، وتعيين سماوي، وهي الرئاسة الشرعية للدنيا والدين، والقيادة العليا في الإسلام والمسلمين، بعد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، المتمثلة في الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم (عليهم السلام) الوحيدون الذين يمكنهم السير على ما سار عليه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بلا إنحراف وزيغ، ولا فتور وقصور، وبقبول الإمامة يمتاز شيعة أهل البيت (عليهم السلام) عن سائر المسلمين.

وحيث إن الإمامة منصب إلهي، وتكريم سماوي لخصوص الإمام، فعلى الإمام أن يعرّف للناس نفسه ـ رغم كل المضايقات والتشديدات المانعة من ذلك ـ لتكمل الحجة من الله عليهم، ويكون هو قد تحدث بنعمة ربّه كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

والكتاب التالي، يشير فيه الإمام الهادي (عليه السلام) إلى إمامته مدة حياته، كما وينبّه على إمامة ولده العسكري "أبي محمد (عليه السلام)" من بعده، ثم على إمامة حفيده الإمام المهدي (عليه السلام) من بعد الإمام العسكري (عليه السلام)، ويرمز إلى غيبته وامتحان الأمّة به، وهذا هو أصلب موقف وأجرأ قرار يتخذه الإمام الهادي (عليه

(١) سورة الضحى: ١١.

السلام) تجاه العباسيين، داخل سلطانهم وخلال حكمهم، فلننظر إلى الكتاب ماهو؟:

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن علي بن عبد الغفار قائلاً:

لما استشهد الإمام أبو جعفر الثاني محمد بن علي الجواد (عليه السلام)، كتبت الشيعة إلى ولده أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يسألوه عن أمر الإمامة، وعن الإمام من بعد أبي جعفر الجواد (عليه السلام)، فكتب إليهم أبو الحسن (عليه السلام) ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

"الأمر لي ما دمت حياً، فإذا نزلت بي مقادير الله تبارك وتعالى، أتاكم الخلف مني، وأنّى لكم بالخلف من بعد الخلف"[1].

وهكذا يخبر (عليه السلام) الناس عن إمامته ما دام حياً، ثم لم يكتف بذلك بل يخبرهم عن الأئمة من بعده ويمهّد لهم أيضاً.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٦ ح٣٩، عن بحار الأنوار: بتصرف.

توكيل عام

الإمامة بما أنها قيادة إلهية منصوصة في أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لابد لهم - بعد التعرف إلى الناس - من الإشراف التام، والإتصال الدائم بالمسلمين أينما تواجدوا، وذلك حرصاً على مصالحهم ومآربهم، وحفظاً لمعتقداتهم وثقافتهم، وهذا بحسب المتعارف، وعلى النحو الظاهر والأمور الطبيعية بحاجة إلى وكلاء ونواب، وممثلين يمثلون الإمام (عليه السلام) في كل مكان، وهو يتم إما عن طريق التوكيل العام أو التوكيل الخاص.

أما التوكيل العام: فقد روى لنا الكشي في رجاله عن أحمد بن الحاتم بن ماهويه ما يشير إلى ذلك بقوله:

كتبت أنا وأخي إلى أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي (عليه السلام) نسأله عمن نأخذ معالم ديننا؟

فكتب (عليه السلام) في جوابنا:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، "فهمت ما ذكرتماه، فاصمدا في دينكما على: مسنٍّ في حبنا، وكل كثير القدم في أمرنا، فإنهم يكفونكما إن شاء

الله تعالى"[١].

والكتاب هذا ـ كما ترى ـ لم يصرح باسم شخص خاص، وإنما استعرض فيه الصفات المؤهلة للوكالة بصورة عامة، ليتعرف الناس من خلالها عليهم.

توكيل خاص

وأما التوكيل الخاص، فقد عيّن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) لنفسه وكلاء خاصين، وممثلين ثقاة، نص عليهم بالاسم، وعرفهم بصفاتهم إلى شيعته ومواليه، وأمرهم بالرجوع إليهم في أمر دينهم ودنياهم، نذكر نماذج منهم كما يلي:

يحدثنا الشيخ الجليل، والثقة الأمين، الشيخ الكليني في كتابه "الكافي" عن أحمد بن إسحاق القمي أنه قال:

دخلت على أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في يوم من الأيام، وسألته قائلاً:

يا سيدي يا أبا الحسن أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فماذا تأمرني؟ مَن أعامل، وعمن آخذ، وقول من أقبل؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيبه بلطف وحنان قائلاً ـ :

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٢ ح٢٥، عن رجال الكشي، بتصرف.

نعم، يا ابن إسحاق، اعلم بأن العمري ثقتي، فما أدّى إليك عني، فعنّي يؤدّي، وما قال عني، فعني يقول، فاسمع له يا ابن إسحاق وأطع، فإنه الثقة الأمين[1].

والعَمري هذا هو: عثمان بن سعيد بن عمرو الأسدي العَمري العسكري السمّان أو الزيّات، وهو من خيرة أصحاب الإمام الهادي والإمام العسكري، وكذلك الإمام المهدي (عليهم السلام)، ولوثاقته انتخبه الإمام المهدي (عليه السلام) سفيراً خاصاً له، فكان هو السفير الأول في زمن الغيبة الصغرى، وابنه: محمد بن عثمان العَمري هو السفير الثاني، وكلاهما موردا ثقة الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣١١ ح١، عن الكافي، بتصرف.

توثيق وتفويض

ويحدثنا الشيخ المحلاتي في كتابه "تاريخ سامراء" عن خيران الخادم القراطيسي أنه قال:

قلت لسيدي أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام): جعلت فداك، إنه ربما أتاني الرجل، لك قِبله الحق، أو يعرف موضع الحق لك، فيسألني عما يعمل به؟ فيكون رأيي أن آخذ منه ما يتبرّع في ستر، فكيف يكون ذلك؟.

فأجابني (عليه السلام) قائلاً: اعمل في ذلك برأيك، فإن رأيك رأيي، ومن أطاعك أطاعني[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٣١٠، بتصرف.

قرار عزل ونصب

ويحدثنا الشيخ الكبير، شيخ الطائفة، الشيخ الطوسي (قدس الله سره)، عن محمد بن عيسى الراوي المعروف: مكاتبة الإمام الهادي (عليه السلام) إلى شيعته ومواليه في أمر وكلائه قائلاً:

كتب أبو الحسن العسكري علي بن محمد (عليه السلام) إلى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها الكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قد أقمت أبا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه، ومَن قِبَله من وكلائي، وقد أوجبت في طاعته طاعتي، وفي عصيانه الخروج إلى عصياني، وكتبت بخطي[1].

التوقيع الشريف

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٠ ح٧، عن غيبة الشيخ الطوسي، بتصرف.

تعزيز الوكلاء

ويحدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن تعزيز الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) وكلاءه ونوّابه، ودعمه لهم، وتأييده إياهم، ومنهم أبو علي بن راشد، حيث لما عيّنه (عليه السلام) وكيلاً عنه ونائباً له في العراق أردف معه ـ تعزيزاً له ـ الكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد، المقيمين بها، والمدائن والسواد وما يليها:

أحمد الله إليكم ما أنا عليه من عافيته وحسن عائدته، وأصلّي على نبيه وآله أفضل صلواته، وأكمل رحمته ورأفته، وإني أقمت أبا علي بن راشد، مقام الحسين بن عبد ربه، ومن كان قبله من وكلائي، وصار في منزلته عندي، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم، لقبض حقي، وارتضيته لكم، وقدّمته في ذلك، وهو أهله وموضعه.

فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك وإليّ، وأن لا تجعلوا له على أنفسكم علّة، فعليكم بالخروج عن ذلك، والتسرّع إلى طاعة الله، وتحليل أموالكم، والحقن لدمائكم، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم

والعدوان، واتقوا الله لعلكم ترحمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون، فقد أوجبت في طاعته طاعتي، والخروج إلى عصيانه الخروج إلى عصياني، فألزموا الطريق يأجركم الله ويزيدكم من فضله، فإن الله بما عنده واسع كريم، متطول على عباده رحيم، نحن وأنتم في وديعة الله وحفظه، وكتبته بخطي والحمد لله كثيراً[1].

التوقيع الشريف

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٣ ح١١، عن رجال الكشي، بتصرف.

توقير أصحاب الشخصيات

أصحاب الشخصيات الاجتماعية المعروفون، وذووا البيوتات المشهورون، وكبار القوم الذين يتوارثون السيادة والكرامة خلفاً عن سلف، يتأهّلون نفسياً وروحياً ـ كما يدل عليه علم النفس وعلم الاجتماع ـ بمؤهلات وكفاءات، تجعلهم في مستوى الزعامة والسيادة، وفي مصاف القيادة والرئاسة، لذلك اهتم الإسلام وقادته الأبرار: النبي والأئمة الطاهرون (عليه وعليهم السلام) بهم، وفوّضوا إليهم مناصبهم ومراتبهم، بعد إسلامهم، ولم ينقصوهم شيئاً، كما لم يخدشوا في كرامتهم خدشة.

نعم إذا كانت مناصبهم مما لها ارتباط بالناس، استفتوا الناس في إبقائهم، وأقروهم على مناصبهم برضاهم وانتخابهم لهم، وعزّزوا بذلك الإسلام، وشدّوا به أواصر المجتمع الإسلامي.

والإمام الهادي (عليه السلام) حيث يريد ترسيخ منصب وكيله الجديد، ودعم وكالته في صالح الإسلام والمسلمين، ينتهج ذلك السبيل، فيعمد إلى علي بن بلال، شيخ ناحيته وكبيرها يوصيه بابن راشد والإطاعة له، والحض على طاعته ـ تعزيزاً لموقع وكيله الجديد ـ، وذلك عبر رسالة يبعثها إليه، وقد جاء فيها ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد الله إليك، وأشكر طَوله وعَوده، وأُصلّي على محمد النبي وآله صلوات الله ورحمته عليهم.

ثم إني أقمت أبا علي مقام حسين بن عبد ربه، فائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده والذي لا يقدمه أحد.

وقد اعلم أنك شيخ ناحيتك، فأحببت إفرادك وإكرامك بالكتاب بذلك، فعليك بالطاعة له، والتسليم إليه جميع الحق قبلك، وأن تحضّ مواليّ على ذلك، وتعرّفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته، فذلك توفير علينا، ومحبوب لدينا، ولك به جزاء من الله وأجر، فإن الله تعالى يعطي من يشاء أفضل الإعطاء والجزاء برحمته، أنت في وديعة الله، وكتبت بخطي وأحمد الله كثيراً[1].

التوقيع الشريف

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٢ ح١٠، عن رجال الكشي، بتصرف.

التوكيل تمهيد للغيبة

ويحدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، شيخ القميين ورئيسهم، وفقيههم الأوحدي، عن بعض المكاتبات التي كاتب بها الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) وكلاءه أطراف البلاد في امر توكيلهم، وطريقة عملهم، وكيفية تعاملهم الواحد مع الآخر، وتعاملهم مع الناس، وعدم إذنهم للناس بمواجهة الإمام الهادي (عليه السلام) والالتقاء به، وحمل الأموال إليه، بل تمرينهم على مراجعة الوكلاء وتسليم الحقوق والأموال إليهم، وذلك تمهيداً منه (عليه السلام) لغيبة حفيده الإمام المهدي (عليه السلام)، وتعليماً للناس على تقبل فكرة الغيبة، واستئناسهم بها، وتدريباً لهم على التعامل مع الوكلاء المنصوبين من قبله (عليه السلام).

والرسالة التالية تشير إلى شيء من ذلك، فلقد جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأنا آمرك يا أيوب بن نوح[1]، أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي، وأن يلزم كل واحد منكما، ما وكّل به، وأُمر بالقيام فيه بأمر ناحيته، فإنكم أن

(١) هو الذي قال في حقه الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) لعمرو بن سعيد المدائني: "ياعمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا"، بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٠ ح٧، عن غيبة الشيخ الطوسي.

انتهيتم إلى كل ما أُمرتم به، استغنيتم بذلك عن معاودتي.

وآمرك يا أبا علي بمثل ما آمرك به يا أيوب: أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه، ولا تلي لهم استيذاناً عليّ، ومر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يصيّره إلى الموكّل بناحيته...

وآمرك يا أبا علي بمثل ما أمرت به أيوب، وليقبل كل واحد منكما ما أمرته به[1].

التوقيع الشريف

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٤ ضمن ح١١، عن رجال الكشي، بتصرف.

الترحم على الوكلاء

يروي لنا محمد ين يعقوب رسالة جوابية أرسلها الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) إلى أحد وكلائه وهو: محمد بن الفرج الرخجي، جواباً على رسالته التي بعثها إليه (عليه السلام) وهو في السجن، يتفقد فيها عن أحوال ثلاثة من إخوانه الوكلاء: أبي علي بن راشد، وعيسى بن جعفر، وابن بندار العاصمي.

فكان مما كتبه (عليه السلام) إليه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكرت ابن راشد رحمه الله، إنه عاش سعيداً ومات شهيداً، ودعا لابن بندار العاصمي، وابن بندار ضُرب بعمود وقُتل، وابن عاصم ضُرب بالسياط على الجسر، ثلاثمائة سوط، ورمي به في نهر دجلة[1].

التوقيع الشريف

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٠ تتمة الحديث ٧، عن غيبة الشيخ الطوسي، بتصرف.

تمويل الوكلاء

وفي غيبة الشيخ الطوسي، عن أبي جعفر العَمري، قال:

حج أبو طاهر بن بلال، فنظر إلى علي بن جعفر ـ أحد وكلاء الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ـ وهو ينفق النفقات العظيمة، فتعجب من ذلك ولم يقل شيئاً، بل أضمره في نفسه، حتى إذا انصرف كتب بذلك إلى الإمام (عليه السلام).

فوقّع (عليه السلام) في رقعته مجيباً له:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

"قد كنا أمرنا له بمائة ألف دينار، ثم أمرنا له بمثلها، فأبى قبوله ابقاءً علينا"

ثم إنه (عليه السلام) عرّض به، ليحمله على حسن الظن بالمؤمنين، وخصوصاً بمثل علي بن جعفر الذي هو ثقته (عليه السلام) بقوله:

"ما للناس والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه؟"

ثم إنه دخل على أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، فأمر له بثلاثين ألف دينار[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٠ ضمن الحديث ٧، عن غيبة الشيخ الطوسي، بتصرف.

إسعاف وإغاثة

وفي المناقب: أنه دخل عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، فشكى إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يتدارك شكوى ابن إسحاق ويقول لوكيله أبي عمرو:

" يا أبا عمرو، ادفع إلى أحمد بن إسحاق ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت أيضاً ثلاثين ألف دينار".

ثم يردف المناقب قائلاً:

فهذه معجزة منه (عليه السلام)، حيث إنه لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء[1].

ولا يخفى أن هذه المساعدات من الإمام الهادي (عليه السلام) إنما هي لأجل إنفاق هؤلاء أموالهم في الفقراء والمساكين، ولأجل أنهم الوسائط في الإصلاح بين الناس، وفي تأمين معائش المعوزين منهم، حتى أنهم كانوا يستدينون لأجل هذه الأمور الاجتماعية والإنسانية، فيغيثهم الإمام (عليه السلام) ويسعفهم ليستمروا في إنفاقهم وبذلهم، وخيراتهم ومبرّاتهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٣ تتمة الحديث ٥٢، عن مناقب آل أبي طالب، بتصرف.

كشف المندسّين

الإنسان ـ وطبعاً غير المعصومين (عليهم السلام) ـ بما هو معرّض للأهواء، ووساوس الشيطان، ومغريات الحياة، ومكائد الحكام وسلاطين الجور، قد ينحرف عن الطريق المستقيم والنهج القويم، وخصوصاً إذا كان في مستوى علمي رفيع، ومكانة اجتماعية مرموقة ـ كالوكالة والنيابة مثلاً ـ فإنه يشكّل عند انحرافه، خطراً كبيراً على الدين والأُمة، حيث لا يؤمن عليه من أن يمد يد الخيانة إلى الدين ومعالمه، فيظهر فيها البدع، ويرتكب فيها التحريف، ويجني على الأمّة بتشويه الحق وتضييعه عليها، كما ابتُليت به الأديان السابقة من مسيحية ويهودية ومجوسية وغيرها وتعرضت للتحريف والتشويه مما لم يترك لها وجه وجيه، ولا صورة حسنة.

وقد تصدّى لهذه الثغرة الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) وسائر الأئمة الأطهار من أهل البيت (عليهم السلام)، ورابطوا عليها، وصرعوا المندسين والمتسللين، وكشفوهم على واقعهم.

وذلك بما رسموه من حدود لمعرفة الوكلاء الصالحين، والنواب الأخيار، وبما ألقوه عليهم من أنوار كشافة، فضحتهم على الرأي العام، وعرّتهم في الأوساط الإسلامية، حتى يأمن الإسلام من كيدهم وخطرهم، ويسلم المسلمون من دسائسهم وبوائقهم.

والرسالة التالية هي واحدة من تلك الرسائل التي جاءت في هذا المجال، مزمجرة كالرعد، محرقة كالصاعقة، كاشفة كالبرق، فلننظر ماذا جاء فيها:

فارس القزويني

يحدثنا شيخ الطائفة الشيخ الطوسي عن الحِمْيري أنه قال:

كتب أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) بخطه رسالة جوابية إلى أحد وكلائه يدعى باسم: "علي بن عمرو القزويني" في ذم "فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني" وفضحه، جواباً على ما استنبأه علي عنه، ومما جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اعتقد ـ يا علي ـ فيما تدين الله به، أن الباطن عندي حسب ما أظهرت لك، في من استنبأت عنه، وهو "فارس" لعنه الله، فإنه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه، وقصده ومعاداته، والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه، ما كنت آمر أن يدان الله بأمر غير صحيح، فجدّ وشدّ في لعنه وهتكه، وقطع أسبابه، وسدِّ أصحابنا عنه، وإبطال أمره، وأبلغهم ذلك مني، واحكه لهم عني، وإني سائلكم بين يدي الله عن هذا الأمر المؤكد، فويل للعاصي وللجاحد، وكتبت بخطي ليلة الثلاثاء لتسع ليال من شهر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين، وأنا أتوكل على الله وأحمده كثيراً[1]. التوقيع الشريف

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢١ ح٨، عن غيبة الشيخ الطوسي، بتصرف.

علي بن حسكة

ويحدثنا الكشي في رجاله عن سهل بن زياد الآدمي أنه قال:

كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يسأله عن علي بن حسكة ـ صاحب الدعوة المبتدعة ـ ، فكان في ما كتب:

" جُعلت فداك يا سيدي، إن علي بن حسكة يدّعي: أنه من أوليائك، وأنك أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيّك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم، كل ذلك معرفتك، ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة، فيما يدّعي من النيابة والنبوة، ويدّعي من كان في مثل حال ابن حسكة فهو مؤمن كامل، سقط عنه الاستعباد بالصوم والصلاة والحج، وذكر جميع شرايع الدين، وأن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال إليه ناس كثير، فإن رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجدهم من الهلكة".

فكتب (عليه السلام) في جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"كذب ابن حسكة عليه لعنة الله، وبحسبك أني لا أعرفه في مواليّ"

ما له لعنه الله، فو الله ما بعث الله محمداً والأنبياء قبله إلا بالحنيفية، والصلاة والزكاة والحج والصيام والولاية، وما دعا محمدٌ إلاّ إلى الله وحده

لا شريك له، وكذلك نحن الأوصياء من ولده، عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا، وإن عصيناه عذّبنا، ما لنا على الله من حجة، بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك، وانتفي إلى الله من هذا القول.

فاسجروهم لعنهم الله، والجأوهم إلى أضيق الطريق..."[1].

التوقيع الشريف

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٥ ح٣٥، عن رجال الكشي، بتصرف.

قاسم اليقطيني

ويروي لنا الكشي في رجاله عن إبراهيم بن شيبة أنه قال:

"كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في أمر علي بن حسكة، والقاسم اليقطيني ما يلي:

جُعلت فداك، إن عندنا قوماً يختلفون في معرفة فضلكم بأقاويل مختلفة، تشمئز منها القلوب، وتضيق لها الصدور، ويروون في ذلك الأحاديث، لا يجوز لنا الإقرار بها، لما فيها من القول العظيم، ولا يجوز ردها، ولا الجحود بها، إذ نُسبت إلى آبائك، فنحن وقوف عليها من ذلك، لأنهم يقولون ويتأوّلون معنى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[2] أن الصلاة: معناها رجل، لا ركوع ولا سجود، وكذلك الزكاة: معناها ذلك الرجل، لا عدد دراهم ولا إخراج مال، وأشياء تشبهها من الفرائض والسنن والمعاصي، تأوّلوها وصيّروها على هذا الحدّ الذي ذكرت.

فإن رأيت أن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) سورة البقرة: ١١٠، ٨٣، ٤٣، سورة النساء: ٧٧، سورة النور: ٥٦، سورة المزمل: ٢٠.

تصيرّهم إلى العطب والهلاك، والذين ادّعوا هذه الأشياء، ادّعوا أنهم أولياء، ودعوا إلى طاعتهم، منهم، علي بن حسكة، والقاسم اليقطيني.

فما تقول في القبول منهم ؟"

فكتب (عليه السلام) في الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"اعلم أنه ليس هذا ديننا، فاعتزله"[1].

التوقيع الشريف

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٥ ح٣٣، عن رجال الكشي، بتصرف.

ابن حسكة واليقطيني

كما أنه (عليه السلام) كتب إلى محمد بن علي بن عيسى، في القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة ابتداءً منه، ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"لعن الله القاسم اليقطيني، ولعن الله علي بن حسكة القمي، إن شيطاناً تراءى للقاسم، فيوحي إليه زخرف القول غروراً"[1].

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٥ ح٣٤، عن رجال الكشي، بتصرف.

الفهري وابن بابا

ويحدثنا المصدر نفسه عن العبيدي، أنه قال:

كتب إليّ أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ـ ابتداءً كتاباً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اعلم يا عبيدي، أن الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي، يجب أن تتبرأ منهما، فإني محذّرك وجميع مواليّ منهما، وأني ألعنهما، عليهما لعنة الله، مستأكلَين بأكلان بنا الناس، فتّانَين مؤذَين، آذاهما الله، وأركسهما الله في الفتنة ركساً.

يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، وأنه باب، ويله، لعنه الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قَبِل منه ذلك.

يامحمد... إنه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة[1].

التوقيع الشريف

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٦ ح٣٧، عن رجال الكشي، بتصرف.

المطورة

ويروي لنا المصدر المزبور عن إبراهيم بن عقبة أنه قال:

كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أسأله عن أمر المطورة ـ وهم جماعة الواقفة الذين وقفوا على الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وأثاروا الفتنة والشبهة حول الإمامة بين الشيعة ـ وكان في ما كتبت ما يلي:

"جعلت فداك، قد عرفت هؤلاء المطورة، فأقنت عليهم في الصلاة ـ أي: ألعنهم في قنوتي إذا صليت ـ ؟.

فكتب (عليه السلام) في جوابي: "نعم أقنت عليهم في صلاتك..."[1]

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٦ ح٣٨، عن رجال الكشي، بتصرف.

الغالية

وفي "الدر النظيم" عن السري بن سلامة، أنه كتب إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) يسأله عن الغالية - وهم جماعة غالَوا في الأئمة (عليهم السلام) وقالوا فيهم بالربوبية - وما يدعون إليه، وما يتخوّف من معرتهم وفسادهم، وسأله الدعاء له ولإخوانه في ذلك.

فكتب (عليه السلام) في جوابه:

عدل الله عنكم، وصرفكم عما سلكوا فيه من الغلو، فحسبهم أن تبرّأ أولياؤه منهم، وجعل الله ما أنتم عليه مستقراً ولا جعله مستودعاً، وثبّتكم بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، ولا أضلكم بعد إذ هداكم، وأحمد الله كثيراً وأشكره[1].

التوقيع الشريف

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٣ ح٢٨، عن الدر النظيم، بتصرف.

شكوى وإعراض

يحدثنا العلامة الفقيه الشيخ عبد النبي في كتابه : "روح الإيمان" القطعة التاريخية التالية، ويقول ما مضمونه :

لقد عُرف القميون بقِدَم تشيّعهم لأهل البيت (عليهم السلام)، ولم يزل أن كانوا في صف الأخيار، فظهرت فيهم جماعة من الفسقة والأشرار، فضاق المخرج على الأخيار، فكتبوا إلى الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) بسامراء يشكون إليه منهم، مع أسئلة من المسائل الشرعية أرفقوها مع الشكوى وأرسلوها إليه (عليه السلام).

فورد جوابه (عليه السلام) عن المسائل من غير تعرض لشكواهم، مع أنه كان من أهم ما سألوه عنه، فتعجب القميون من ذلك، لكن لم تمض مدة إلا وظهرت فيهم عدة من أهل البدع والضلال، وأقبلوا يسارعون في إغواء الناس وإضلالهم، فعظم خطبهم على القميين، ولم يجدوا لدفعهم علاجاً، فكتبوا إلى الإمام الهادي (عليه السلام) بالقصة، وطلبوا منه العلاج.

فكتب (عليه السلام) إليهم يأمرهم بمراجعة الذين كانوا عندهم من الفسقة والأشرار، والذين اشتكوا إليه منهم، ويقولوا لهم : إن الإمام الهادي (عليه السلام) أمرنا في رسالة أرسلها إلينا، يدعوكم فيها لدفع هؤلاء المبدعين المضلّين.

فتعجب القميون من كتابه (عليه السلام) هذا، وقالوا في أنفسهم : كيف ننتصر

بالفسقة الأشرار الذين هم أعداؤنا ونحن أعداؤهم؟

لكن امتثالاً لأمر الإمام الهادي (عليه السلام)، وإيقاناً منهم بأنه لا يخلو من حكمة، جاؤوا إليهم وأخبروهم بما تضمنته رسالة الإمام (عليه السلام)، وما يدعوهم إلى دفع المبدعين المضلين.

وفور ما سمع هؤلاء انتداب الإمام الهادي (عليه السلام) لهم، وأمرِهم بتنفيذ هذه المهمة، أنعموا بالقبول، وطَمأنوا القميين بتنفيذ ما أراده الإمام الهادي (عليه السلام) منهم.

وبالفعل فلقد أصبح القميون ولم يروا بعد ذلك أثراً من أهل البدع والضلال، وقد قُطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

عند ذلك علم القميون وعرفوا مصلحة إعراض الإمام الهادي (عليه السلام) عن جواب شكواهم[1].

هذا، ولا يخفى أن تواجد أهل البدع والضلال بين آونة وأخرى ـ وخاصة في صفوف الشيعة ـ يكون عادةً بدعم من السلطات الظالمة والحكام الجائرين، وذلك لإيجاد الشرخ في الشيعة، وزرع الخلاف والفُرقة فيما بينهم، لذلك كانوا يرون ردّ الإمام (عليه السلام) على أهل البدع وكشفهم، نوعاً من التحدي لهم والتصدّي لسلطانهم، فكانوا لا يتحملون وجود الإمام (عليه السلام) ويقومون بتصفيته، ومن هذه الزاوية العدائية كان نظر حكام بني أمية وبني العباس وبني

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٤ ح٣٣، عن روح الإيمان، بتصرف.

عثمان وأمثالهم بالنسبة إلى تعيين الإمام (عليه السلام) القائم بالإمامة بعده والتنصيص عليه، فلننظر معاً من هم المنصوص عليهم بالإمامة من بعده (عليه السلام):

الإمام والامامة

يحدثنا كتاب "تاريخ سامراء" نقلاً عن البحار، وفي باب نصّ الإمامين العسكريّين (عليهما السلام) على القائم (عليه السلام) بالإسناد عن علي بن عبد الغفار قال: لما مضى أبو جعفر الثاني (الإمام الجواد (عليه السلام) شهيداً) كتبت الشيعة إلى أبي الحسن (عليه السلام) رسالة يسألونه فيها عن أمر الإمامة.

فكتب الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) إليهم الجواب التالي: أمر الإمامة لي ما دمتُ حياً، فإذا نزلَت بي مقادير الله تبارك وتعالى، أتاكم الخلف منّي، وأنّى لكم بالخلف من بعد الخلف؟"[1]

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٧٦ ح٣٩، عن بحار الأنوار، بتصرف.

التنصيص على إمامة العسكري عليه السلام

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن عبد العظيم الحسني (عليه السلام) عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه نصّ على إمامة ابنه: الحسن العسكري وقال:

الإمام من بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟[١]

ويحدثنا أيضاً عن الصقر بن دلف أنه قال: سمعت الإمام أبا الحسن علي بن محمد الهادي ابن الإمام علي الرضا (عليهم السلام) يقول:

الإمام بعدي: الحسن العسكري، وبعد الحسن ابنه: القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً[٢].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٣٩ ح٣، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٣٩ ح٤، بتصرف.

سبع الدجيل: السيد محمد عليه السلام

كان للإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) من بين أولاده من البنين، ابناً يدعى باسم: السيد محمد، ويكنّى بأبي جعفر، وهو المعروف بين الناس بسبع الدجيل، وقبره مزار معروف في "بلد"، والعامة والخاصة يعظّمون مشهده الشريف ويقصدونه للزيارة وحلّ خصوماتهم بالحلف به.

كان السيد محمد هذا من الجلالة وعظم الشأن بمكان رفيع بحيث تصور الناس أنه هو المرشح للإمامة بعد أبيه: الإمام الهادي (عليه السلام)، ولكنه توفّي في زمان أبيه الإمام الهادي (عليه السلام) فانكشف خطأ تصوّرهم فيه، وراموا سؤال الإمام الهادي (عليه السلام) عن الإمام بعده.

إلى هذا المعنى يشير ما جاء في البحار نقلاً عن غيبة الشيخ الطوسي، مسنداً عن شاهويه بن عبد الله الجلاّب، أنه قال:

كنت رويت عن الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في ابنه السيد محمد أبي جعفر روايات تصوّرت أنها تدلّ على إمامته بعده، فلما مضى قلقت لذلك، وبقيت متحيراً لا أتقدم ولا أتأخّر، وخفت أن أكتب إليه (عليه السلام) في ذلك، فلا أدري ما يكون.

الجلاّب يواصل كلامه ويقول: فكتبت إليه (عليه السلام) رسالة أسأله فيها: الدعاء أن يفرّج الله عنا، في أسباب من قِبل السلطان كنا نغتّم بها في غلماننا.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على رسالة الجلاّب بما يحكيه لنا الجلاّب نفسه بقوله: فرجع الجواب بالدعاء وردّ الغلمان علينا، وقد كتب (عليه السلام) في آخر الرسالة ما يلي:

"أردتَ أن تسأل عن الخلف بعد مضي السيد محمد أبي جعفر وقلقت لذلك، فلا تغتّم، فإن الله لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون، صاحبكم بعدي: أبو محمد (الحسن العسكري) ابني، وعنده ما تحتاجون إليه، يقدّم الله ما يشاء، ويؤخر ما يشاء ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[1] قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان"[2].

(١) سورة البقرة: ١٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٤٢ و٢٤٣، بتصرف.

المجال الثاني:

سيرة الإمام الهادي عليه السلام مع عامة الناس

الإمام عليه السلام وعامة الناس

لما كان هدف الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) والذي انتخبه الله تعالى لتحقيق ذلك الهدف، هو: إسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة، كان الناس وبصورة عامة: المحور الذي يدور عليه رحى الإسعاد والإصلاح، والنقطة المركزية الذي يتمركز حولها اهتمام الإمام (عليه السلام) وعنايته.

فكان (صلوات الله وسلامه عليه) بينهم كأحدهم، يألفهم ويألفونه، ويحبّهم ويحبّونه، وكان يسعى سعياً دؤوباً في إرشادهم وهدايتهم، وإقناعهم ودلالتهم إلى الحق والصواب، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا توقفت هدايتهم على إراءتهم المعجزة، والاستدلال لهم بالأمور الخارقة للعادة، كان (عليه السلام) لا يأبى من إظهار المعجزة لهم، وإبداء الأمر الخارق للعادة بينهم، حتى يجلب اطمئنانهم، ويكتسب ودّهم، ويثبت لهم حقانيته، ويتم عليهم الحجّة عند ربهم، فكان تعامله (عليه السلام) مع الناس تعامل الأب الحنون مع أولاده الأوفياء، والوالد الشفيق مع أبنائه البررة.

بينما كانت سيرة المتوكل مع الناس كبقية خلفاء الجور ممن كان قبله وممن

كان بعده على العكس من ذلك تماماً، فكانوا معزولين عن الناس، بعيدين عنهم، يخافون منهم ويهابونهم، ويكيدونهم ويمكرون بهم، ويحاولون إضلالهم عن دينهم، وإبعادهم وفصلهم عن أئمتهم: أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين استجاب الله تعالى دعاء أبيهم الخليل إبراهيم (عليه السلام) في حقهم، وذلك حيث قال وهو يدعو ربه:

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[1].

وفي سيرته (عليه السلام) مع عامة الناس قضايا كثيرة، وقصص طريفة نذكر بعض ما تيسر لنا منها إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

ما شأنكم جلستم ها هنا؟

يحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن الخرائج قائلاً: روي عن أبي القاسم بن القاسم، عن خادم الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) أنه قال: كان المتوكل يمنع الناس من الدخول إلى الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ويحول بينهم وبينه، ولا يسمح لهم الالتقاء به.

الخادم يواصل كلامه ويقول: فخرجت يوماً والإمام الهادي (عليه السلام) في دار المتوكل، فإذا جماعة من الشيعة جلوس خلف الدار فقلت لهم: ما شأنكم؟ ولماذا قد جلستم ها هنا؟.

جماعة الشيعة يجيبون على سؤاله قائلين: ننتظر انصراف مولانا وسيدنا الإمام الهادي (عليه السلام) لننظر إليه، ونُسلّم عليه، ثم ننصرف.

الخادم يلتفت إليهم ويقول لهم: هل تعرفونه إذا رايتموه؟

جماعة الشيعة يقولون بأجمعهم وبكلمة واحده: نعم كلّنا يعرفه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يخرج من عند المتوكل فيقوم الشيعة له ويحيّونه ويسلّمون عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب تحياتهم، ويردّ سلامهم، ويلوّح لهم بيديه الكريمتين ترحيباً بهم وتوديعاً لهم وينزل فيدخل داره.

جماعة الشيعة وقد تزوّدوا من النظر إلى وجهه المبارك، ينصرفون إلى

منازلهم ومساكنهم فرحين مستبشرين بما قد نالوا من بلوغ آمالهم وتحقق أمنيّاتهم، ولكن عند استفسار الخادم منهم عن كيفية صورته (عليه السلام) يظهر: أن كل واحد منهم كان قد رآه بصورةٍ غير ما رآه الآخر وبحسب تصوره، وتلك هي معجزة من معجزاته (عليه السلام)[1].

هو وصي نبي المسلمين

وفي تاريخ سامراء نقلاً عن مدينة المعاجز عن ثاقب المناقب، بإسناده عن حاجب المتوكل قال:

كنت أحجب المتوكل، فأهدي له خمسون غلاماً، وأمرني أن أعلّمهم وأحسن إليهم، فلما تمّت سنة كاملة وكنت يوماً واقفاً بين يدي المتوكل إذ دخل عليه الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) فأخذ مجلسه في المكان المعدّ له.

المتوكل يلتفت حينئذ إليّ ويقول لي: أخرج الغلمان عن بيوتهم ليؤذوا الإمام الهادي ويتعرضوا له بسوء.

الحاجب يجيبه قائلاً: سمعاً وطاعة.

ثم يقول: فأخرجتهم، فلما بصروا بالإمام الهادي (عليه السلام) وقعوا له ساجدين ـ أي خاضعين ـ بأجمعهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٨ ح٣٣، عن الخرائج، بتصرف.

المتوكل ينزعج من ذلك كثيراً، فلم يتمالك نفسه حتى قام وهو يجرّ ذيوله وتوارى خلف الستار.

الإمام الهادي (عليه السلام) ينهض من مكانه حين يرى ذلك الموقف من المتوكل، ويخرج من الدار.

المتوكل حين يعلم بخروج الإمام الهادي (عليه السلام) يتوجه نحو الحاجب ويقول له بكل عنف وشدة: ويلك! ما هذا الفعل الذي فعله هؤلاء الغلمان؟

الحاجب وهو يرتجف خوفاً من نكال المتوكل يقول: والله ما أدري.

المتوكل وهو يشتد حنقاً وغيظاً ويقول: سلهم عن ذلك.

الحاجب يلتفت إلى الغلمان ويقول لهم متسائلاً: ما هذا الذي فعلتموه تجاه الرجل؟

الغلمان يجيبون بكل صلابة: هذا رجل يأتينا كل سنة مرة، فيعرض علينا الدين ويقيم عندنا عشرة أيام، وهو وصي نبي المسلمين.

المتوكل لا يتمالك نفسه من شدة الغيظ ويأمر بقتلهم عن آخرهم انتقاماً منهم على مدحهم للإمام الهادي (عليه السلام) وولائهم له[1].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٧ ح٢٤، بتصرف.

عرسوا و كلوا و اشربوا

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الخرائج، قائلاً: روى أبو محمد البصري عن أبي العباس خال شبل، كاتب إبراهيم بن محمد، قال: كنا أجرينا ذكر الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) فيما بيننا وتحدثنا حوله.

أبو العباس وهو يلتفت إلى البصري ويقول له: يا أبا محمد! إني لم أكن في شيء من هذا الأمر، وكنت أعيب على أخي وعلى أهل هذا القول (أي على القائلين بمذهب أهل البيت (عليهم السلام)) عيباً شديداً بالذم والشتم، إلى أن كنت في الوفد الذي أوفده المتوكل إلى المدينة لإحضار الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام).

أبو محمد البصري وهو يشتاق إلى استماع القصة بكاملها فيلتفت إلى أبي العباس ويقول: نعم يا أبا العباس! ثم ماذا حدث؟.

أبو العباس: فلما وصلنا إلى المدينة وأبلغنا الإمام الهادي (عليه السلام) بالخروج، خرج وخرجنا حتى إذا صرنا في بعض الطريق وطوينا المنزل وكان منزلاً صائفاً شديد الحرّ سألناه أن ينزل للاستراحة والطعام.

الإمام الهادي (عليه السلام) يأبى النزول ويقول: لا.

أبو العباس: فخرجنا ولم نطعم ولم نشرب، فلما اشتد الحرّ، وأثّر الجوع والعطش بنا، وتوسطنا في أرض ملساء لا نرى شيئاً ولا ظلاً ولا شجراً ولا ماءً نستريح إليه، جعلنا نشخص بأبصارنا نحوه.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يقرأ الضرّ في وجوهنا فيحنّ علينا ويقول: ما لكم؟ أحسبكم جياعاً وقد عطشتم؟

أبو العباس: نعم يا سيدنا، فو الله لقد نصبنا وعيينا.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يشير بيديه الكريمتين إلى جهة من الصحراء ويقول: عرّسوا، وكلوا واشربوا.

أبو العباس وهو من العارفين بهذا الطريق ويعلم بأنها صحراء ملساء لازرع فيها ولا ماء، يتعجب من قول الإمام الهادي (عليه السلام) ويبقى متردّداً لا يدري ما ذا يفعل.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرفع تردّده بقوله: ما لكم؟ عرسّوا.

أبو العباس يمتثل أمر الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فابتدرت إلى القطار لأُنيخ الإبل، فالتفت فإذا أنا بشجرتين عظيمتين يستظل تحتها عالَم كثير من الناس، وإلى جنبهما عين تسيح على وجه الأرض أعذب ماء وأبرده، فنزلنا واسترحنا وأكلنا وشربنا، ثم وقع في قلبي ذلك الوقت أعاجيب.

الإمام الهادي (عليه السلام) وكأنه يقرأ ما وقع في قلبي، ينظر إليّ ويبتسم كلما وقع نظري عليه وكأنه يقول لي بابتسامته ونظرته تلك: إني عالم بما تفكر فيه، وبما يقع في قلبك.

أبو العباس وهو يتعجب من ذلك ويقول في نفسه: والله لأعرفنّ هذا كيف هو؟ ثم يقول: فأتيت من وراء الشجرة فدفنت سيفي ووضعت عليه حجرين

وتخلّيت وتهيأت للصلاة وصليت مع الإمام الهادي (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) بعد ما فرغ من صلاته يلتفت إلى القوم ويقول: استرحتم؟.

أبو العباس يجيب: نعم يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يردّ عليهم بقوله: إذن، فارتحلوا على اسم الله.

أبو العباس: فارتحلنا من هناك، وبعد أن سرنا ساعة رجعت على الأثر، فأتيت الموضع، فوجدت الأثر والسيف مع العلامة، ولكن لم أجد شيئاً من شجر ولا ماء ولا ظلال ولا ناس، حتى كأن الله تعالى لم يخلق هنا شيئاً قبلها، فتعجبت كثيراً ورفعت يدي نحو السماء وقلت: اللهم أسألك الثبات على محبته، والايمان به، والمعرفة له، ثم أخذت الأثر ولحقت بالقوم.

الإمام الهادي (عليه السلام): يُقبل عليّ عند ما رآني ويلتفت إليّ ويقول: يا أبا العباس: فعلتها؟

أبو العباس يجيب قائلاً: نعم يا سيدي، ثم يضيف: لقد كنت يا ابن رسول الله شاكاً، وأصبحت أنا اليوم عند نفسي موقناً ومعترفاً بأني من أغنى الناس في الدنيا والآخرة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يشكر الله تعالى على هدايتي ويقول: هو كذلك والحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٦ ح٤٥، عن الخرائج، بتصرف.

تنحّ عافاك الله

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار عن الخرائج قائلاً:

روى أبو هاشم الجعفري: أنه ظهر برجل من أهل سامراء برص، فتنغّص عليه عيشه، فجلس يوماً إلى أبي علي الفهري وشكا إليه حاله.

الفهري ينصحه ويقول له: لو عرضت نفسك يوماً على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وسألته أن يدعو لك بالشفاء، فإنه أرجو أن يزول عنك بدعائه (عليه السلام).

المريض وهو يسمع نصيحة الفهري ويفكر في عرض نفسه على الإمام الهادي (عليه السلام)، فيجلس في طريقه ويقول:

جلست له (عليه السلام) يوماً في الطريق، وذلك عند منصرفه من دار المتوكل، فلما رأيته مقبلاً قمت لأدنو منه وأسأله أن يدعو لي بالشفاء والعافية.

الإمام الهادي (عليه السلام) إذا به قد أقبل علي وهو يشير إليّ بيده الكريمة ويقول لي بابتسامة جميلة: تنحّ عافاك الله، وأعادها عليّ ثلاث مرات.

المريض يواصل كلامه ويقول: عندها لم أجسر على الدنو إليه، ولا السؤال منه، فانصرفت ثم التقيت بالفهري وعرفته الحال وما قال (عليه السلام) لي.

الفهري: يبتسم ويبدو على وجهه بشائر السرور والفرح ويقول: لقد

بلغت مناك، فإن الإمام الهادي (عليه السلام) قد دعا لك قبل أن تسأل منه، فامض مسروراً فإنك ستعافى من دائك إن شاء الله تعالى.

المريض وهو يفرح من بشارة الفهري وإخباره عن دعاء الإمام الهادي (عليه السلام) له بالعافية، فينصرف إلى بيته ويقول: بتُّ تلك الليلة مستبشراً فرحاً، فلما أصبحت لم أر على بدني وجسمي شيئاً من ذلك البرص، والحمد لله رب العالمين[1].

استجاب الله دعاءك

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار عن الخرائج أيضاً قائلاً: حدّث جماعة من أهل أصفهان وقالوا: كان بأصفهان رجل يقال له: عبد الرحمان وكان شيعياً ومن أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فقيل له: ما السبب في تشيّعك وقولك بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام) دون غيرك من أهل الزمان؟

عبدالرحمان يجيب على سؤال السائل و يقول: شاهدت من الإمام الهادي (عليه السلام) ما أوجب علي الحجّة الكاملة و سبّب لي القول بإمامته.

السائل: وما الذي شاهدته منه؟

عبد الرحمان: كنت رجلاً فقيراً و كان لي لسان و جرأة، فأخرجني أهل اصفهان فيمن أخرجوه إلى المتوكل متظلّمين. فكنا بباب المتوكل إذ خرج الأمر

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٥ ح٢٩، عن الخرائج، بتصرف.

بإحضار الإمام علي الهادي، ابن رضا (عليهما السلام) فسألت بعض الحاضرين قائلاً: من هذا الرجل الذي قد صدر الأمر باحضاره؟

بعض الحاضرين يقول: إنه رجل علوي يقول الشيعة بإمامته، ثم يضيف: و يحتمل أن المتوكل يحضره للقتل.

عبد الرحمان يشكر الرجل على جوابه و يقول في نفسه: لا أبرح من مكاني هذا حتى أرى الرجل المطلوب إحضاره من هو؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يُطل على الناس وهو راكب فرسه، فيقومون له يمنة الطريق ويسرتها صفّين ينظرون إليه يحيّونه ويسلّمون عليه، وهو يردّ عليهم تحياتهم ويجيب سلامهم.

عبد الرحمان: فلما وقع عليه بصري ونظرت إليه وقع حبّه في قلبي، فجعلت أدعو في نفسي بأن يدفع الله عنه شر المتوكل.

الإمام الهادي (عليه السلام) وقد أقبل يسير بين الناس ويتخطّاهم حتى إذا وصل إليّ - وأنا دائم الدعاء له - أقبل بوجهه نحوي وقال: يا عبد الرحمان، لقد استجاب الله دعاءك، وأطال في عمرك، وكثّر مالك وولدك.

عبد الرحمان وهو يهتز من أعماقه لجلالته (عليه السلام) ويرتعش في نفسه سروراً وفرحاً، وترتعد فرائصه روعاً وهيبةً، ويقع بين أصحابه الأصفهانيين.

الأصفهانيون يتعجبون من حاله ويتساءلون عما حدث به قائلين: ما شأنك وما جرى عليك؟

عبد الرحمان يجيبهم بجواب مجمل ويقول: خير إن شاء الله تعالى.

ثم يواصل عبد الرحمان كلامه قائلاً: انصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان، ففتح الله عليّ وجوهاً من المال، حتى أصبحت أُغلق باب داري على ما قيمته ألف ألف درهم، سوى مالي خارج الدار، ورزقني الله عشرةً من الأولاد، وقد بلغت الآن من عمري نيفاً وسبعين سنة، كل ذلك بفضل دعاء الإمام الهادي (عليه السلام) فقد استجاب الله تعالى دعاءه فيّ وتحقق كل ما دعالي من طول العمر، وزيادة المال، وكثرة الأولاد، والحمد لله رب العالمين على ذلك كله، وخصوصاً على ولايتي له، واعتقادي بإمامته، وتشيعي واعتناقي لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)[1].

الرياح المتعقبة للمطر

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره نقلاً عن مروج الذهب بإسناده عن يحيى بن هرثمة قائلاً:

بعثني المتوكل في مأموريّة عاجلة إلى المدينة، ألا وهي إشخاص الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) لشيء بلغه عنه، وتقرير كان قد كتبه عليه بعض الوشاة.

يحيى وهو يتعجب مما يراه في أهل المدينة من شدة تعلقهم بالإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: لما صرت إلى المدينة ضجّ أهلها ضجيجاً، وعجّوا عجيجاً

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤١ح٢٦، عن الخرائج، بتصرف.

عيظماً لم أسمع مثله، فجعلت أُطمئنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه.

ثم إني فتشت منزله فلم أُصب فيه إلا مصاحف وأدعية وما أشبه ذلك، فأشخصته وتوليت خدمته، وأحسنت معاملته وعشرته.

يحيى يواصل كلامه ويقول: فبينا أنا في يوم من الأيام والسماء صاحية، والشمس ضاحية، إذ ركب الإمام الهادي (عليه السلام) وعليه ممطر وقد عقد ذنب دابته، فتعجبت من فعله وهيئته، لكن لم تمض علينا إلا مدة يسيرة حتى علت رؤوسنا سحابة سوداء فأرخت عزاليها، ونالنا من المطر أمر عظيم جداً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلى يحيى ويقول له: يا يحيى! إني أعلم أنك أنكرت عليّ في قلبك ما رأيت مني، وفكّرت في نفسك أني أعلم من الأمر ما لم تعلم، نعم فإني نشأت بالبادية، فأنا أعرف الرياح التي تكون في عقبها المطر، فلما أصبحت شممت منها رائحة المطر، فتأهبت لذلك.

وهذا تعليل ظاهري لما كان يعلمه (عليه السلام) بإذن الله تعالى من الغيب.

يحيى - وهو يزداد تعجباً حيث يرى أن الإمام الهادي (عليه السلام) قد أخبر عما فكّره في نفسه ويقول: فلما قدمت مدينة السلام بدأت بوالي بغداد إسحاق بن إبراهيم الطاهري وأخبرته الخبر.

والي بغداد يوصي يحيى بالإمام الهادي (عليه السلام) خيراً، ويقول له: إن هذا الرجل قد ولّده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمتوكل من تعلم، فإن حرّضته

عليه، قتله فيكون خصمك رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يحيى يقبل وصيّة والي بغداد ويجيبه قائلاً: صحيح ما قلت، فوالله إني ماوقفت منه إلا على أمر جميل.

يحيى يواصل كلامه ويقول: ثم صرت إلى سامراء فبدأت بوصيف التركي وكنت من أفراده ومجموعته وعرضت عليه الأمر ونقلت له الخبر.

وصيف هو الآخر أيضاً الذي يوصي ابن هرثمة بالإمام الهادي (عليه السلام) خيراً ويقول له: والله لئن سقط من رأس هذا الرجل شعرة واحدة، فلا يكون الطالب بها غيري.

يحيى يسمع وصية وصيف أيضاً، ويعمل على تطبيقها وتطبيق وصية والي بغداد معاً، فيدخل على المتوكل ويوقفه على أمر الإمام الهادي (عليه السلام) وما سمعه في حقه من الثناء والإطراء.

المتوكل يجيب يحيى جواباً إيجابياً ويحسن جائزته، ويظهر تكرمة الإمام الهادي (عليه السلام) ويبرّ به[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠٧، ضمن ح٢٢، وتاريخ سامراء: ج٣ ص١٠٧ ح١٢، وكلاهما عن مروج الذهب، بتصرف.

هكذا يملأ الله البريّة قبوراً

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن الخرائج، إشخاص الإمام الهادي (عليه السلام) إلى سامراء برواية أخرى قائلاً:

روي عن يحيى بن هرثمة أنه قال: دعاني المتوكل يوماً لحاجةٍ خاصة فذهبت إليه لأرى ماذا يريد؟

المتوكل وكان يفور غيظاً وحنقاً يلتفت إليّ ويقول: عليك بتنفيذ مأمورية مهمة تنفيذاً سريعاً، وذلك بأن تجلب علي بن محمد الهادي بن الرضا إلى سامراء، فاختر ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة، فخلّفوا أثقالكم فيها، ثم اخرجوا عن طريق البادية إلى المدينة، فأحضروه عندي بعد تسليمه كتابي، وحاولوا في أن يكون إحضاره إحضاراً مكرّماً مبجّلاً، وبصورة لا تثير الرأي العام ضدّنا.

يحيى: سمعاً وطاعة، ثم إنه يقول: ففعلت ما قال، وخرجنا لتنفيذ المهمة.

خرجنا وكان فيمن صحبناه معنا قائد من الخوارج، كما كان فينا كاتب لي وهو شيعي يعتقد بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام) ويعتنق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وكنت أنا على مذهب الحشوية.

ثم يواصل يحيى كلامه ويقول: كان ذلك القائد الخارجي يكلّم الكاتب

الشيعي حول المذهب والإمامة، وكنت أستريح إلى كلامهما ومناظرتهما ويساعدني ذلك لقطع الطريق.

القائد الخارجي يلتفت إلى الكاتب الشيعي ـ وقد وصلنا منتصف الطريق وكان براً قفراً ـ ويقول له: أليس من قول صاحبكم وإمامكم علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبالتالي قولكم: إنه ليس من الأرض بقعة إلا وهي قبر أو سيكون قبراً، ثم أشار بيده إلى الصحراء الجرداء وقال: فانظر إلى هذه البرّيّة، أين من يموت فيها حتى يملأها الله قبوراً كما تزعمون؟

يحيى وهو يلتفت إلى كاتبه الشيعي ويقول له متسائلاً: هل هذا القول هو من قولكم؟

الكاتب: نعم هو من قولنا.

يحيى يكرّ عليه قائلاً: إن أقررت بذلك، فيكون السؤال وارداً عليكم، إذ أين مَن يموت في هذه البرّيّة العظيمة حتى تمتلئ قبوراً؟

الكاتب وهو متحيّر ولا يعرف جواباً عن السؤال، يختار السكوت وينخذل في أيديهم.

يحيى يواصل كلامه ويقول: دار بيننا هذا الكلام ونحن في الطريق ومستمرين في سيرنا حتى دخلنا المدينة، فقصدت باب الإمام أبي الحسن الهادي علي بن محمد بن الرضا (عليهم السلام)، فدخلت عليه بعد الاستئذان منه وقدّمت له الكتاب الذي وجهه المتوكل اليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقرأ الكتاب ويعرف مقصود المتوكل من كتابه

هذا، ثم يرفع رأسه نحو يحيى ويقول: انزلوا، وليس من جهتي خلاف.

يحيى يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) ليذهب إلى أصحابه، ثم يرجع إليه في الغد ويقول: فلما صرت إليه من الغد فإذا بي أرى بين يدي الإمام الهادي (عليه السلام) خياطاً يقطع من ثياب غلاظ وأقمشة سميكة خفاتين (أي: دروعاً من لبد) له ولغلمانه، فتعجبت من ذلك كثيراً، لأنا كنا في تموز والهواء أشد ما يكون من الحرّ، ولكني لم أُظهر تعّجبي له.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يتوجّه إلى الخياط قائلاً: إجمع عليها جماعة من الخياطين، واعمد على الفراغ منها يومك هذا، وبكّر بها إليّ في مثل هذا الوقت من يوم غد.

الخياط: سمعاً وطاعةً، وعلى الرأس والعين.

الإمام الهادي (عليه السلام) يشكر الخياط على ذلك ثم يلتفت إلى يحيى ويقول له: يا يحيى: اقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم، واعمدوا على الرحيل غداً في مثل هذا الوقت.

يحيى وهو يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على استجابته للطلب، وإسراعه في المسير، يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) ويخرج من عنده وهو متعجب من تهيئة الخفاتين ويقول في نفسه:

نحن في تموز وحرّ الحجاز وليس بيننا وبين العراق سوى عشرة أيام، فما يصنع الإمام الهادي (عليه السلام) بهذه الثياب الشتوية؟

ثم كان يجيب على نفسه ويقول في توجيه ذلك: لعله إنما يهيّئ هذه الملابس لأنه رجل لم يسافر، ويفكّر أنّ كل سفر يحتاج فيه إلى مثل هذه الثياب.

ثم يضيف في حديث نفسه قائلاً:

والعجب من هؤلاء الشيعة حيث إنهم مع كل ذلك يعتقدون بإمامته.

ثم يقول: فعدت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) في الغد في مثل الوقت نفسه فرأيت الثياب قد أحضرت.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلى غلمانه ويقول لهم: ادخلوا واحملوا لنا معكم لبابيد وبرانس، ثم أقبل (عليه السلام) على يحيى مشيراً عليه بالرحيل قائلاً: ارحل يا يحيى.

يحيى وقد تهيأ للرحيل يقول: نعم، إننا راحلون.

ثم إن يحيى يفكّر في نفسه متعجباً من توصية الإمام الهادي (عليه السلام) غلمانه بحمل اللبابيد والبرانس معهم ويقول: هذا أعجب من الأول، أيخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى أخذ معه اللبابيد والبرانس؟

ثم إنهم يرحلون حتى إذا وصلوا الموضع الذي وقعت فيه المناظرة بين القائد الخارجي والكاتب الشيعي حول القبور، فإذا بسحابة سوداء تظلّهم، وإذا بها ترعد وتبرق، ثم ترسل عليهم بَرَداً (حبّ الغمام وهي عبارة عن قطع ثلجية مختلفة الحجم وقد تكون أحياناً كبيرة الحجم مثل الصخور).

الإمام الهادي (عليه السلام) وقد شدّ على نفسه، وكذلك غلمانه قد شدّوا

على أنفسهم الخفاتين، ولبسوا اللبابيد والبرانس، يقول لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لبّادة، وإلى الكاتب برنساً.

يحيى وهو يرتجف من شدة البرد، ويتخوف من سقوط البَرَد على رأسه يقول: تجمعنا ولاذ بعضنا ببعض والبرد يأخذنا كل مأخذ حتى مات ثمانون شخصاً من الجماعة الذين كانوا معي، ثم تقشعت السحابة وزالت، ورجع الحرّ على ما كان عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يُقبل على يحيى ويقول له: يا يحيى قل لمن بقي من جماعتك أن ينزلوا ويدفنوا من قد مات منهم، ثم أضاف قائلاً: هكذا يملأ الله البرّيّة قبوراً.

يحيى وهو يتذكر الكلام الذي جرى بينهم في الطريق ويسمع نفس الحديث ونصّه الذي سخروا منه، من لسان الإمام الهادي (عليه السلام) وكلامه، فيثبت لديه صدق إمامته وولايته، ويحرز حقانيّة خلافته ووصايته لجده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيرمي بنفسه عن دابته، ويعدو نحوه، ويقبّل ركابه ورجليه وهو يقول: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنكم خلفاء الله في أرضه، وقد كنت كافراً وإنني الآن قد أسلمت على يديك يا مولاي يا ابن رسول الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يهنّؤه على هدايته ويشكر الله على ذلك ويقول له: أشكر الله على أن هداك إلى المذهب الحق: مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

يحيى وهو فرح مستبشر من استبصاره واعتناقه المذهب الحق يقول: الحمد لله على الهداية ثم يواصل كلامه قائلاً: فتشيعت ولزمت خدمته إلى أن مضى (عليه السلام) شهيداً[1].

هنا موضع ماء

ويحدثنا "تاريخ سامراء" نقلاً عن كتاب "المناقب" للحسين بن عبد الوهاب، عن يحيى بن هرثمة أنه قال: رأيت من دلائل إمامة الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) في الطريق الأعاجيب، مما دعاني إلى القول بإمامته (عليه السلام) واعتناق مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومن تلك الأعاجيب القصة التالية:

قال: إننا نزلنا منزلاً لم يكن فيه ماء، وأشرفنا ودوابّنا وجمالنا على التلف والهلاك، وكان معنا جماعة عظيمة قد التحقوا بنا من المدينة وغيرها.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلينا ويقول: كأني أعرف على بُعد ستة أميال موضع ماء.

يحيى يتوجه إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: لو تفضلت علينا يا مولاي وعدلت بنا إليه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يلبّي الطلب ويعدل بهم إليه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٢ ح٢٧، عن الخرائج، بتصرف.

يحيى: ثم سرنا معه نحو ستة أميال، فأشرفنا على روضة غنّاء، فيها عيون وأشجار، وزرع وماء، وليس فيها زارع ولا فلّاح، ولا أحد من الناس.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلينا ويقول: انزلوا، فكلوا واشربوا، واسقوا دوابّكم وجمالكم، واستريحوا من وعثاء السفر.

يحيى وهو يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فنزلنا وشربنا وسقينا دوابّنا وجمالنا وأقمنا فيها إلى بعد العصر، ثم تزوّدنا وارتوينا وحملنا منها معنا من القِرب وأوعية الماء ورجعنا نحو الطريق راحلين.

يحيى: وهو يواصل كلامه ويقول: فلم نبعد عن المكان كثيراً حتى عطشتُ، وكان لي كوز فضة عند بعض غلماني، فاستقيته.

الغلام وهو يتلجلج في الجواب، ويتلكّأ في الكلام، ويجيب بما لا جدوى له مما يثير استفهام يحيى حول الكوز، وإذا به قد نسي الكوز في تلك الروضة الغنّاء.

يحيى يقفل راجعاً ليأخذ الكوز من الروضة، فيشدّ على فرس له جواد سريع السير حتى يشرف على المكان، فيتعجب حيث يراه جدباً يابساً، لا عين فيه ولا شجر، ولا زرع ولا ماء، ويرى الكوز موضوعاً في محله الذي نسيه الغلام فيه، فيأخذه وينصرف، ويلتحق بالقوم.

الإمام الهادي (عليه السلام) ينظر إليه حين التحاقه بهم نظرة موحية، ويتبسّم في وجهه وكأنه يقول له في ابتسامته ما هو أبلغ وأوضح من التصريح، ويكتفي

بذلك ولم يقل له شيئاً[١].

قلبك اشدّ سواداً

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن كتاب النجوم، راوياً بإسناده عمن رأى "يزداد" الطبيب النصراني تلميذ بختيشوع، وهو منصرف من دار موسى بن بغا قائلاً:

سايرني يزداد الطبيب في بعض الطريق، وحاورني إلى أن أفضى الكلام به إلى قوله: أترى هذا الجدار، وهو يشير إلى دار الإمام الهادي (عليه السلام)؟

الراوي: نعم، أراه.

يزداد الطبيب: أتدري من صاحبه؟

الراوي: ومن صاحبه؟

يزداد الطبيب: هذا الفتى العلوي الحجازي ـ يعني: الإمام الهادي علي بن محمد بن الرضا (عليه السلام) ـ.

الراوي يجيب: نعم، ويضيف: لقد كان هذا الحوار منا في حين كنا نسير في فناء داره (عليه السلام) فالتفتّ إلى يزداد متسائلاً وقلت: فما شأنه؟

يزداد الطبيب: إن كان هناك مخلوق يعلم الغيب فهو هذا.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١١٠ ح١٥، بتصرف.

الراوي: وكيف ذلك.

يزداد الطبيب: يأخذ العهد من الراوي قبل أن يحدّثه، ويجعل الله عليه كفيلاً وراعياً بأن لا يحدّث به أحداً، لأنه ذو عيال وله معيشة يرعاها عند السلطان، والتحدث عنه بمثل ذلك يجعل حياته ومعيشته في خطر.

الراوي يتعهد له بذلك، ويقول: لك عليّ ذلك، فحدّثني به، وليس عليك بأس، إنما أنت رجل نصراني، ولا يتهّمك أحد فيما تتحدّث به عن هؤلاء القوم.

يزداد الطبيب يطمئن إليه ويعده التحدث به قائلاً: نعم أُخبرك به.

الراوي: تفضل بذلك مشكوراً.

يزداد الطبيب يقول: إن قصتي عجيبة وغريبة، وإنك لن تمسع بمثلها أبداً، ولن يسمع بها غيرك من الناس أيضاً، لقد خاف الخليفة من الإمام الهادي وفرق منه على سلطانه، فاستقدمه إلى سامراء لئلا ينصرف إليه وجوه الناس، فيخرج هذا الأمر عن بني العباس.

ثم يواصل كلامه ويقول: وإني قد التقيت به ـ أي بالإمام الهادي (عليه السلام) ـ منذ أيام وهو على فرس أدهم، وعليه ثياب سود، مع عمامة سوداء، وهو أسود اللون، فلما بصرت به وقفت إعظاماً له وإجلالاً، وقلت في نفسي ـ وما خرجَتْ وحق المسيح من فمي لأحد ـ العبارة التالية: رجل أسود، عمامة سوداء، ثياب سود، ودابة سوداء، سواد في سواد في سواد.

الإمام الهادي (عليه السلام) يصل بإزائي فيحدّ النظر إليّ ويخاطبني قائلاً: يا

يزداد: قلبك أسود مما ترى عيناك من سواد في سواد في سواد.

الراوي يتعجب كثيراً ويقول متسائلاً: فما صنعت عند ذلك وما قلت له؟

يزداد الطبيب: لقد أُسقطت في يدي ولم أُحر جواباً.

الراوي يعود عليه ويقول: فهل ابيضّ قلبك بعد ما شاهدت ذلك منه؟

يزداد الطبيب: الله أعلم.

الراوي يواصل كلامه ويضيف قائلاً: ثم مضت الأيام والأعوام، وفي يوم من الأيام إذا بيزداد الطبيب يبعث إليّ، فسرت إليه وحضرت عنده فإذا به قد اعتل.

يزداد الطبيب وهو يفرح من قدوم الراوي ويرحب به ويقول له: إن قلبي قد ابيضّ بعد سواد، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله، وأن الإمام الهادي علي بن محمد (عليه السلام) حجة الله على خلقه، وناموسه الأعظم.

الراوي: ثم إن يزداد الطبيب مات في مرضه ذلك على الإسلام، وحضرت تشييعه والصلاة عليه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٦١ ح٥٠، عن كتاب النجوم، بتصرف.

سيُسلم ولدك و يكون من شيعتنا

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار عن الخرائج قائلاً: روى هبة الله بن أبي منصور الموصلي وقال: كان بديار ربيعة كاتب نصراني وكان من أهل (كفر توثا) يسمّى يوسف بن يعقوب وكان بينه وبين والدي صداقة وأُلفة، فنزل ذات مرة ـ مع غلام له ـ عند والدي.

أبو منصور يرحّب به كضيف نزل به ويسأله قائلاً: ماشأنك قدمت في هذا الوقت؟

يوسف: لقد دُعيت إلى الحضور عند المتوكل، وأنا قلق لا أدري ما الذي يريده مني، غير أني قد اشتريت نفسي من الله بمائة دينار أحملها إلى علي بن محمد الهادي ابن الرضا (عليه السلام) معي.

أبو منصور يحبّذه على هذه الفكرة ويُطمئنه بقوله: قد وفّقت في هذا.

يوسف يودّع والدي ويخرج إلى المتوكل، ثم يأتينا بعد أيام قلائل فرحاً مسروراً.

أبو منصور يرحّب بقدوم يوسف عليه ثانية ويسأله عما حدث له بقوله: حدّثني يا يوسف حديثك وأخبرني بخبرك.

يوسف: نعم، لقد صرت إلى سامراء ولم أكن أدخلها من ذي قبل،

فنزلت في دار من دور المسافرين وأحببت أن أوصل الدراهم التي معي للإمام الهادي (عليه السلام) إلى صاحبها، قبل مصيري إلى باب المتوكل وقبل معرفة أحد بقدومي.

يوسف يواصل كلامه ويقول: فعرفت أن المتوكل قد منع الإمام الهادي (عليه السلام) من الركوب، وأنه ملازم لداره، فقلت في نفسي: كيف أصنع؟ إني رجل نصراني فإذا سألت عن دار ابن الرضا لا آمن أن يبدر بي، فيكون ذلك زيادة فيما أخافه وأحاذره.

يوسف يضيف قائلاً: فكّرت في هذا الموضوع ساعة، فوقع في قلبي أن أركب دابتي، وأجعل عنانها على غاربها، وأتركها تذهب حيث تريد، فلعلي أقف على معرفة داره بهذه الطريقة من غير أن أسأل أحداً.

يوسف يستمر في حديثه ويقول: ففعلتُ ذلك وحملت معي الدنانير وأخفيتها في كُمي، فكانت الدابة تسير بي مخترقة الشوارع والأزقة إلى أن صارت إلى باب دار فوقفت أمامه، وعند ما حوالت إزالتها من مكانها والاستمرار في حركتها لم تتحرك ولم تبرح من مكانها، فالتفت إلى الغلام الذي كان معي وقلت له: سل لمن هذه الدار.

الغلام ينزل ويسأل بعض المارّة ويقول: لمن هذه الدار؟

بعض المارة يجيب قائلاً: هذه دار ابن الرضا: الإمام الهادي (عليه السلام).

يوسف وهو يكاد يطير فرحاً حيث يرى أنه قد بلغ أمنيته فيقول: الله أكبر،

دلالة والله ما أوضحها وأبينها.

ثم إن يوسف يواصل حديثه ويقول: في هذه الأثناء وأنا أفكر فيما يجب علي أن أعمله لإصابة الهدف، وإذا أنا بخادمٍ أسود قد خرج من الدار وهو يقصدني.

الخادم يتجه نحوي، ثم يلتفت إلى ويخاطبني متسائلاً: أنت يوسف بن يعقوب؟.

يوسف يهتز فرحاً وغبطة ويقول: نعم، أنا يوسف بن يعقوب.

الخادم يرحّب به ويقول له: انزل على الرحب والسعة.

يوسف ينزل ويجلس في الدهليز بانتظار الدخول إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول في نفسه: هذه والله دلالة أخرى، لأنه من أين عرف الخادم اسمي، مع أني لم أدخل البلد قبل ذلك قط، ولم يوجد أحد يعرفني هنا؟.

يوسف وهو غارق في أفكاره، وإذا بالخادم أقبل نحوه وأخرجه من أفكاره بحضوره وخطابه.

الخادم يلتفت إليه ويقول له: هات المائة دينار التي هي في كمّك.

يوسف يخرج الدنانير من كمّه ويناولها إياه، ثم يقول في نفسه: هذه والله دلالة ثالثة.

الخادم لم يلبث إلاّ قليلاً حتى يرجع ويقول له: ادخل، فقد أذن لك

مولاي الإمام الهادي (عليه السلام) بالدخول.

يوسف وهو لا يكاد يستقر على الأرض من شدة فرحه وسروره يقوم ويدخل فيرى الإمام الهادي (عليه السلام) في مجلسه وحده.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرحّب به ويقول له: يا يوسف! أما آن لك أن تسلم؟.

يوسف يقول بتلكّأ: قد بان لي يا مولاي من البراهين ما فيها كفاية لمن اكتفى، وهدايه لمن اهتدى.

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيب على كلام يوسف كاشفاً عما يدور في ضميره قائلاً: هيهات يا يوسف إنك لا تسلم، ولكن سيسلم ولدك فلان، ويكون من شيعتنا.

ثم يواصل (عليه السلام) كلامه بقوله: يا يوسف إن أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالكم، كذبوا والله إنها لتنفع أمثالك، امض فيما وافيت له، فإنك سترى ما تحب.

يوسف يودّع الإمام الهادي (عليه السلام) وهو في غاية الوثوق والاطمئنان ويقول: ثم مضيت إلى باب المتوكل وكان كما أخبرني به (عليه السلام) إذ ما رأيت منه إلا ما أحب، وانصرفت إلى بلدي فائزاً ظافراً.

هبة الله يقول: فلقيت ابنه بعد موت أبيه وهو والله مسلم حسن التشيّع، فأخبرني أن أباه مات على النصرانية كما أخبر بذلك الإمام الهادي (عليه السلام) وأنه

قد أسلم بعد موت أبيه، وكان يقول: أنا بشارة مولاي الإمام الهادي (عليه السلام)[١].

لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزدناك

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن الخرائج أيضاً قائلاً: روي عن أحمد بن عيسى الكاتب أنه قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يرى النائم، كأنه نائم عندي في حجرتي وقد دفع إليّ كفاً من تمر عدده خمس وعشرون تمرة.

أحمد وهو يتعجب من رؤياه تلك ويقول: فما لبثت إلا وأنا بالإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ومعه قائد فأنزله حجرتي، وكان القائد يبعث ويأخذ من العلف من عندي.

القائد وهو يسأل أحمد يوماً ويقول: كم لك علينا؟

أحمد: لا شيء، فإني لست آخذاً منك شيئاً.

القائد يشكر أحمد على تفضله ويقول له: أتحب أن تدخل إلى هذا العلوي فتسلّم عليه؟.

أحمد يجيب على سؤاله بلهفة وشوق قائلاً: نعم، أُحب ذلك.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٤٤ ح٢٨، عن الخرائج، بتصرف.

القائد: إذن فهو مسموح لك، تفضل عنده متى شئت زيارته وأردت السلام عليه.

أحمد يشكر القائد على ذلك ويقول: فرحت كثيراً من ذلك ودخلت فسلّمت عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام): يرّد سلامي ويشكرني على زيارتي له.

أحمد: إن في هذه القرية يا مولاي لكذا وكذا من مواليك ومحبيك، فإن أمرتنا بحضورهم، فعلنا.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو لا يرى مصلحتهم في زيارته يقول: لا، لاتفعلوا ذلك.

أحمد يعود فيقول: ياسيدي إن عندنا تموراً جيّدة، فهل تأذن لي أن أحمل لك بعضها؟.

الإمام الهادي (عليه السلام) يشكرني على ذلك ويقول: إن حملت شيئاً يصل إليّ، ولكن احمله إلى القائد، فإنه سيبعث إليّ منه.

أحمد يجيب الإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: على الرأس والعين، ثم يحمل إلى القائد أنواعاً من التمر، وبعدها يأخذ نوعاً جيداً من التمر في كُمّه، وسكرّجة من زبد، ويتوجّه نحو القائد ناوياً لقاء الإمام الهادي (عليه السلام).

القائد وهو يرى أحمد مقبلاً فيلتفت إليه ويقول: هل تحب أن تدخل على صاحبك الإمام الهادي (عليه السلام)؟

أحمد يجيب ويقول: نعم.

القائد: تفضل على الرحب والسعة.

أحمد: يشكر القائد ويدخل فرِحاً ويقول: دخلت فإذا قدّامه (عليه السلام) من ذلك التمر الذي بعثت به إلى القائد، فأخرجت التمر الذي كان معي والزبد ووضعته بين يديه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرحّب بي ويشكرني على هديتي ثم يأخذ كفاً من تمر ويدفعه إليّ ويقول: لو زادك رسول الله (صلى الله عليه وآله) لزدناك.

أحمد يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) على ذلك ويعدّ التمر الذي أهداه إليه، فإذا عددها خمس وعشرون تمرة لا تزيد ولاتنقص، كما رآها في النوم[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٣ ح٣٩، عن الخرائج، بتصرف.

نحن على قارعة الطريق

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن كشف الغمة، عن محمد بن شرف أنه قال: التقيت بالإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) وأنا أمشي في بعض الطريق بالمدينة فصرت أمشي معه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إليّ ويقول متسائلاً: ألست ابن شرف؟

ابن شرف يجيب الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: بلى يا ابن رسول الله، ثم إنه يفكر في نفسه أن يسأل الإمام الهادي (عليه السلام) عن مسألة.

الإمام الهادي (عليه السلام) وهو لا يرى موقعاً مناسباً للسؤال، فيُقبل عليه ويبتسم إليه ويقول له مبتدئاً وهو يخبره عما فكّره في نفسه: يا ابن شرف نحن على قارعة الطريق وليس هذا موضع مسألة[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٦ ضمن ح٥٥، عن كشف الغمة، بتصرف.

ما كان هنالك ولا كذلك

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره عن الكافي، بإسناده عن أحمد بن محمد بن عبد الله قائلاً:

كان عبد الله بن هُليل ممن يقول بإمامة عبد الله الأفطح، فصار إلى العسكر في المنطقة التي كان فيها الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) فرجع عن ذلك، واعتقد بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام)، فسألته يوماً عن سبب رجوعه عن الأفطح واعتقاده بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام)

ابن هُليل يجيب على سؤالي قائلاً:

إني قصدت يوماً من الأيام الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام) حتى أسأله عن إمامة الأفطح وعن اعتقادي بإمامته، فوافقني في طريق ضيق.

الإمام الهادي (عليه السلام) يُقبل عليّ ويتجه نحوي حتى إذا حاذاني وصار بإزائي طرح إليّ بشيء وقع على صدري، فأخذته فإذا هو رق (قرطاس) مكتوب فيه:

«ما كان هنالك، ولا كذلك».

ابن هُليل يتعجب من ذلك كثيراً، حيث إنه لم يكلّم الإمام الهادي (عليه السلام)

شيئاً، ولم يُبح بنيّته له، ولا بسؤاله إليه، ومع ذلك يجيبه (عليه السلام) بما أضمره، ويعرّفه بانحراف عقيدته، وعدم إمامة المسؤول عنه، فيهتدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم[1].

الأكرمين على الله

يحدثنا العلامة المجلسي في البحار عن المناقب قائلاً: وفي تخريج أبي سعيد العامري رواية عن صالح بن الحكم بيّاع الصابري أنه قال: كنت واقفياً، حتى أخبرني حاجب المتوكل بالقصة التالية:

صالح يقول: لقد التفت إليّ حاجب المتوكل يوماً وأخذ يقصّ عليّ قصة عجيبة ويقول: قلت يوماً للمتوكل: ما يعمل أحد بك ما تعمله أنت بنفسك في حق الإمام الهادي علي بن محمد؟

المتوكل يغضب من قولي ويقول: وكيف ذلك؟

الحاجب: إنه لم يكن أحد في الدار إلاّ ويخدم الإمام الهادي، حتى أنهم لا يتركونه يتعب برفع الستار لنفسه.

المتوكل يدعو حينئذ كل من في الدار ويقول لهم بشدة وعنف: لا يقوم أحد منكم بعد هذا اليوم بخدمة الإمام الهادي كلما دخل علينا.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٤ ح٦١، عن الكافي، بتصرف.

الحاجب: فقال الجميع في جواب المتوكل: سمعاً وطاعةً.

ثم إنه رفع البواب الخبر بدخول الإمام الهادي (عليه السلام) الدار، فأحجم الجميع عن خدمته ولم يتقدم أحد لرفع الستار بين يديه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يدخل، فإذا بريح تهبّ فترفع الستار بين يديه كلما دخل وكذلك كلما خرج.

المتوكل وهو يموت غيظاً وحنقاً إذ يرى فشل مخطّطه وأنه صار يزيد ذلك في كرامة الإمام الهادي (عليه السلام) ويجعل من في داره يعتقد بفضله ومنزلته، فيدعو من في الدار مرة أخرى ويقول لهم بعكس ما قال لهم في المرة الأولى، إنه يقول لهم في هذه المرة وبشدّة:

عليكم أن تقوموا من الآن وفيما بعد بخدمة الإمام الهادي وأن ترفعوا له الستار، فإنا لا نريد أن تخدمه الريح في رفع الستار.

صالح يواصل كلامه ويقول: فلما سمعت هذه القصة العجيبة من حاجب المتوكل لم أصدقه فيها وأخذت أضحك منها واستهزئ بناقلها، وإني لكذلك إذ خرج الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) من عند المتوكل، فمرّ بي، وأخذ يبتسم في وجهي وذلك من غير معرفة بيني وبينه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يخاطبني ويقول والابتسامة لا تغادر شفته: يا صالح! إن نبيك وأوصياء نبيك أكرم على الله تعالى من النبي سليمان، إشارة إلى ما سخره الله تعالى لنبيه سليمان من الريح، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ

﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ...﴾[١].

صالح وهو لا يستقر في نفسه فرحاً وسروراً يقول: لقد انسلّ بكلام الإمام الهادي (عليه السلام) وخطابه إليّ العمى والضلال من قلبي، ودخل فيه البصيرة والهداية، فتركت الوقف وقلت بإمامته واعتقدت بمذهب أهل البيت (عليهم السلام والحمد لله رب العالمين[٢].

إلى كم هذه النومة؟

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره نقلاً عن المناقب عن أبي الحسن ـ سعيد ـ بن سهلويه البصري أنه قال: كنت واقفياً معتقداً بالوقف، فدلّني الإمام الهادي أبو الحسن الثالث (عليه السلام) على الحق وذلك عند ما التقيت به ذات مرة.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت إلي ويقول لي معاتباً: إلى كم هذه النومة؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟

البصري: يهزّني كلام الإمام الهادي (عليه السلام) ونصحه من الأعماق، ويقدح في قلبي نور المعرفة، مما يسبب لي الإقلاع عن الوقف، والإيمان بإمامة الإمام الهادي (عليه السلام)، والاعتقاد بالمذهب الحق، والحمد لله رب العالمين[٣].

---

(١) سورة الأنبياء: ٨١.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٠٤ تتمة ح١٢، عن المناقب، بتصرف.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٢ تتمة ح٥١، عن المناقب، بتصرف.

طب نفساً وقرّ عيناً

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن كشف الغمة، عن محمد بن طلحة قائلاً: خرج الإمام الهادي (عليه السلام) يوماً من سامراء إلى قرية مجاورة لمهمّ عرض له فيها، وفي نفس اليوم يفد إلى سامراء أعرابي من الكوفة.

الأعرابي: يقصد دار الإمام الهادي (عليه السلام) ويطلبه لحاجة له.

ابن طلحة يقول: فقيل للأعرابي: إن الإمام الهادي (عليه السلام) قد ذهب إلى قرية كذا المجاورة لسامراء.

الأعرابي: يقصد الإمام الهادي (عليه السلام) في القرية المجاورة ويلتقي به (عليه السلام) هنالك.

الإمام الهادي (عليه السلام): يرحب به، ويُقبل عليه ويقول له: ما حاجتك؟

الأعرابي يجيب قائلاً: أنا رجل من أعراب الكوفة، من الموالين لجدك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن المتمسكين بولايتكم ومحبتكم، وقد ركبني دَين فادح، أثقلني حمله وبهضني ثقله، ولم أر من أقصده لقضائه سواك.

الإمام الهادي (عليه السلام) يبشّره ويُطَمئنه بقوله له: طِب نفساً، وقُرّ عيناً، فإن حاجتك مقضية إن شاء الله، ثم أنزله عنده وآواه إليه.

الأعرابي: يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) وينزل ضيفاً عنده.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلتفت عند صباح تلك الليلة إلى ضيفه ويقول له وبكل شفقة وإصرار: أريد منك حاجة، الله الله أن تخالفني فيها؟

الأعرابي يقول: على الرأس والعين، فإني أطيعك يا ابن رسول الله فيها، مع قدرتي عليها، ولا أخالفك أبداً.

الإمام الهادي (عليه السلام) بعد أن يأخذ القول بالوفاء منه، يكتب ورقة (صكاً) بخطّه معترفاً فيها ـ من باب أن وعد المؤمن دَينٌ عليه، ومن باب أن الله اختصهم بخلافة الأرض وبخمس المال وبالأنفال وله أن يقتصّ بعضه من الغاصبين ـ بأن عليه للأعرابي كذا وكذا من المال، والمقدار الذي عيّنه (عليه السلام) في الصك كان يرجح على مقدار دَين الأعرابي.

ثم إنه (عليه السلام) يُسلم الورقة إلى الأعرابي ويقول له: خذ هذا الصك واحتفظ به، فإذا وصلت إلى سامراء احضر إليّ في مجلسي وعندي جماعة، فطالِبني به أمامهم وأغلظ في القول عليّ في المطالبة، ثم يؤكّد عليه بعدم مخالفته في ذلك كلّه قائلاً: الله الله في مخالفتي.

الأعرابي وهو يأخذ الصك من الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: افعل إن شاء الله تعالى.

الإمام الهادي (عليه السلام) يرجع من القرية المجاورة إلى سامراء، فيحضر عنده جماعة كثيرون من أصحاب المتوكل وغيرهم، فيدخل الأعرابي ويخرج الصك ويأخذ بمطالبة الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول كما أوصاه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يلين له في القول، ويرفق به، ويطيّب نفسه، ويعده الوفاء والأداء.

أصحاب المتوكل الحاضرون في المجلس يرون هذا المنظر فيتأثرون منه وينقلون خبره إلى المتوكل.

المتوكل ينفعل مما أخبره به أصحابه، ويخشى تغيّر الرأي العام ضده، فيأمر أن يحملوا آلاف الدراهم إلى الإمام الهادي (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) يترك المال المحمول إليه من المتوكل حتى يجيء الرجل الأعرابي، فيلتفت إليه ويقول له: خذ هذا المال، واقض منه دَينك، وانفق الباقي على عيالك وأهلك، وأعذرنا على ذلك.

الأعرابي وهو يطير فرحاً وسروراً من كثرة ما حصل عليه من المال يجيب قائلاً: والله يا ابن رسول الله إن أملي كان يقصر عن ثلث هذا، ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم يأخذ المال ويودّع الإمام الهادي (عليه السلام) وينصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) يودّعه بقوله: كان الله معك، حياك الله وبيّاك[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٥ ح٥٥، عن كشف الغمة، بتصرف.

مع قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن تفسير العياشي، عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) أنه قال:

أدخل على الحجاج بن يوسف الثقفي: قنبر مولى امير المؤمنين (عليه السلام) فقال له الحجاج وهو يبحث عن أمر يتذرع به لقتله: ما الذي كنت تلي من أمر علي بن أبي طالب؟

قنبر يجيب وبكل فخر وعزة: كنت أوضّيه.

الحجاج يسأله ثانية ويقول: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟

قنبر يقول بكل شجاعة وشهامة:

كان (عليه السلام) يتلو الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[1].

الحجاج يسأله ثالثة ويقول: كان يتأوّلها علينا؟

قنبر يجيب على سؤاله بكل قوّة وصلابة: نعم.

الحجاج يمتلئ غضباً وغيضاً ويسخدم لغة التهديد والتوعيد ويقول: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟.

---

(١) سورة المائدة: ٤٤ و٤٥.

قنبر يجيبه بكل اطمينان وسكون: إذن أسعد بنَيل الشهادة، وتشقى بقتل بريء لا يستحق القتل.

الحجاج يركب عقله ويمضي غضبه وغيضه ويأمر بقتله[1].

نعم هكذا كان دأب بني أمية والظالمين قبلهم وبعدهم في الاستبداد في الحكم وسفك الدماء والاستخفاف بالناس وخاصة العلماء والأتقياء منهم.

(١) بحار الأنوار: ج٨٠ ص٣١٥ ح٦، بتصرف.

المجال الثالث والأخير

من الظاهرة الطبيعية

بُعد السيرة الاجتماعية والسياسية:

سيرة الإمام الهادي عليه السلام مع ذويه وأسرته

سيرته عليه السلام مع خواصه وأسرته

إن ذوي الإنسان وحامّته، وخواصّه وأسرته، هي قاعدة الانطلاق لأفكاره وأهدافه، ونقطة المنطلق لأمانيّه وآماله، وتحقيق مقاصده ومآربه.

وحيث كان هدف الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ـ الذي اختاره الله تعالى إماماً على الناس ـ هو: إسعاد الإنسان والمجتمع، وإصلاح الكون والحياة، كان له عناية خاصة بأُسرته وقرابته، ورعاية كبيرة بخاصّته وحامّته، إذ بنسبة صلاحهم يصلح الإنسان والمجتمع، وبقدر سعادتهم يسعد الكون وتسعد الحياة، ومن لهم هذا الدور الكبير، والأثر البليغ في إنجاز مهمة الإنسان وبلوغ أهدافه، جدير بالعناية الكبرى، وحقيق بالرعاية المثلى.

ولذلك كان الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) بالنسبة إلى خواصّه وأسرته، وذويه وحامّته، ليس فقط أباً حنوناً ووالداً شفيقاً، بل كان معهم أكبر من ذلك وأعظم.

إنه كان في تعامله معهم، مضافاً إلى مقام الأبوّة، مصلحاً كبيراً، وإماماً عظيماً، معصوماً في تربيته لهم من الخلل، ومصوناً عن الزلل، ومأموناً في تنشئته إياهم من الغفلة والخطأ، وعن الإفراط والتفريط.

كيف لا، وهو ملمّ بكل مقوّمات التربية الحسنة، وجامع لجميع أركان

التنشئة الصالحة، ومدرك لقاطبة أساليب التعليم الناجح والتوجيه المفيد.

فإن من يكون في تعامله بالنسبة إلى عامة الناس كالأب الرحيم والوالد الشفيق، كيف يكون تعامله مع خواصه وأسرته، وذويه وحامّته؟

إنه تعاملٌ إنساني كبير، وأخلاقي عظيم، وملائكي رفيع.

وكذلك يكون الأسوة والقدوة، والنموذج والمثال، كي يحرّض الناس على أن يحلّقوا بأنفسهم إلى فضائه في الإقتداء به، ويعرّجوا في أجوائه عند التأسي به، فيدركوا إنسانية الإنسان، وكرامة الأملاك وقدسيّتهم، فيسعد بذلك الإنسان والمجتمع، ويصلح الكون والحياة.

وفي هذا المجال قضايا كثيرة وقصص جميلة، نشير إلى ما تيسّر لنا منها بإذن الله تعالى:

يا عم خذ هذه السبيكة

يحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن المناقب، عن داود بن القاسم الجعفري قائلاً: أردت الحج، فدخلت لأُودّع الإمام الهادي (عليه السلام) وهو بسامراء آنذاك، فخرج معي يشيّعني.

الإمام الهادي (عليه السلام): ينزل عند انتهائنا إلى آخر الحاجز، فنزلت معه، فعمد إلى الأرض وخطّ بيده الكريمة عليها خطة شبيهة بالدائرة، ثم إلتفت إليّ وهو يقول: يا عم! خذ ما في هذا الدائرة، تكون في نفقتك، وتستعين بها على حجّك.

داود ـ يتعجب من ذلك ويقول: فضربت بيدي فإذا سبيكة ذهب، فوزنتها فكان فيها مائتا مثقال.

وهكذا يتعامل الإمام الهادي (عليه السلام) مع خاصته وذويه، فهو لا يقتصر على الصلة المعنوية والأخلاقية مثل التشييع إلى آخر البلد، بل يتعدى ذلك إلى الصلة النقدية والمادية أيضاً.

وكم في هذا التعامل الطيّب: المادي والمعنوي ـ مع تثبيته وانتشاره ـ، من آثار طيبة في إسعاد الإنسان والمجتمع، وبالتالي إصلاح الكون والحياة؟[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٢ ح٥٢، عن المناقب، بتصرف.

لا تضع من قدرك

ويحدثنا الحبر الجليل، العلامة المجلسي في بحاره، عن الكافي، عن يعقوب بن ياسر قائلاً:

أمر المتوكل في خُطة مدروسة، ومؤامرة مدسوسة، أن يكتبوا إلى موسى المبرقع بن محمد بن الرضا، أخ الإمام الهادي (عليه السلام)، يستقدموه إلى سامراء، وقال: ابعثوا إليه وجيئوا به حتى نموّه به على الناس، ونخدش في شخصية الإمام الهادي بخدش شخصيته ونقول: ابن الرضا، يفعل كذا وكذا.

يعقوب يواصل كلامه ويقول: فكتب إليه، وأُشخص بإكرام، وتلقّاه جميع بني هاشم، والقوّاد والناس، وأمر له المتوكل فيما أن وافى بأن يُقطع له قطيعة، ويُبنى له فيها بناءً مناسباً، ويُنقل إليه وسائل الرفاه والترف جميعاً، وأن يُجعل له منزلاً فخماً يزوره هو فيه.

الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام): يلتقى أخاه في قنطرة وصيف ـ وهو موضع يُتلقّى فيه القادمون ـ فيسلّم عليه ويوفّيه حقّه، ويصله ويكرمه، ثم يقول له: إن هذا الرجل يا أخي قد دعاك وأحضرك ليهتك حرمتك، ويحطّ من قدرك، فلا تستجب لما يدعوك إليه مما يحطّ من شأنك ويوهن شخصك.

موسى المبرقع يسأل أخاه الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فإذا كان المتوكل قد دعاني لهذا، فما حيلتي، وكيف الخلاص منه؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يُعرض عليه النزول عنده، والمقام مكرماً معزّزاً، بدل أن ينزل عند غيره فيذلّه ويستصغره، ثم يقول له: أوصيك يا أخي أن لا تضع من قدرك، ولا تفعل ما يوهن مقامك، فإنه إنما يريد هتكك، وانتهاك حرمتك.

موسى المبرقع - يريد أن لا يزاحم الإمام (عليه السلام) بالنزول عليه، ويريد طريق الخلاص من المتوكل.

الإمام الهادي (عليه السلام) يبشر أخاه ويقول له: أعلم يا أخي أن هذا مجلس لا تجتمع أنت وهو عليه أبداً، وبهذا الكلام المعجز يخبر الإمام الهادي (عليه السلام) عن المستقبل وعما سوف يقع ويتحقق بإذن الله تعالى.

يعقوب - وهو يتعجب من تحقّق ما قاله الإمام الهادي (عليه السلام) لأخيه ويقول: فأقام موسى ثلاث سنين يبكّر كل يوم، فيقال له: إن المتوكل اليوم مشغول عنك، فاذهب وائت مساءً، فيأتي مساءً، فيقال له: إنه سكر فبكّر، فيبكّر فيقال له: قد شرب الدواء، فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قُتل المتوكل ولم يجتمع معه [1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٥٨ ح٤٩، عن الكافي، بتصرف.

ادفع لكل منهم ثلاثين ألفاً

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن المناقب بإسناده قائلاً:

دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق القمي الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني، على الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام).

أحمد بن إسحاق يتقدم إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويشكو إليه دَيناً عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يأمر وكيله أبا عمرو عثمان بن سعيد ويقول له: ادفع إلى أحمد بن إسحاق ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، ثم يقول لأبي عمرو: وخذ أنت ثلاثين ألف دينار.

وهذا الجود والكرم، والتسوية في البذل والعطاء، معجزة من الإمام الهادي (عليه السلام)، ولا يقدر عليه إلا المؤيد من عند الله تعالى، ولم نسمع بمثل هذا العطاء السخي من أحد غيرهم (عليهم السلام)[1].

وقد قال بعض العلماء: إن مثل هذا العطاء الكبير، لم يكن فيه طابع شخصي، بل كان كل واحد من هؤلاء ملجئاً للفقراء والمحتاجين من الشيعة، فكان الإمام (عليه السلام) يبذل لهم ما يصرفونه على أنفسهم بقدر الحاجة ويساعدون به الموالين في قضاء حوائجهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٧٣ تتمة ح٥٣، عن المناقب، بتصرف.

أنا عمّ أبيه

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار عن إعلام الورى، عن العمي قائلاً:

حدثني سعيد بن سهل وهو يقول: طلب زيد بن موسى عمّ الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) من عمر بن الفرج مراراً: أن يقدّمه في مجلسه على ابن أخيه أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، محتجاً بأنه (عليه السلام) شاب حدث، وهو شيخ كبير وعمّ أبيه.

ـ ولا يخفى أن مثل هذه الأمور الصادرة من ذوي الإمام، كانت لإثبات مكانة الإمام (عليه السلام) في قلوب من لا يعرف مكانته. ـ

عمر بن الفرج يردّ على زيد بقوله: ذلك لأبي الحسن الهادي (عليه السلام)، ثم إنه يخبر الإمام الهادي (عليه السلام) بذلك ويستشيره فيه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يشير على ابن الفرج ويقول له: افعل ذلك وجرّبه ولو مرة واحدة.

عمر بن الفرج يجيبه: وكيف أجرّب ذلك يا إبن رسول الله؟

الإمام الهادي (عليه السلام): اجعل لي صدر المجلس غداً قبله، ثم انظر وجرّب.

عمر بن الفرج يطلب حضور الإمام الهادي (عليه السلام) من يوم غد أولاً وقبل زيد بن موسى، فيدخل الإمام الهادي (عليه السلام) ويجلس في صدر المجلس،

ثم يأذن لزيد بن موسى ثانياً، فيدخل زيد ويجلس بين يدي الإمام أبي الحسن (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام): يقوم لعمه ويأخذ بيده ويعرض عليه بإصرار الجلوس مكانه.

زيد: يأبى وبإصرار من أن يجلس إلا بين يدي الإمام الهادي (عليه السلام).

عمر بن الفرج: يأذن في اليوم الثاني لزيد بن موسى أوّلاً فيدخل قبل الإمام الهادي (عليه السلام) ويجلس في صدر المجلس، ثم إنه يأذن للإمام الهادي (عليه السلام) ثانياً فيدخل الإمام الهادي (عليه السلام)، وفور ما يُبصر زيد ابن أخيه الإمام الهادي (عليه السلام) يقوم من مجلسه ويأخذ بيده (عليه السلام) ويُجلسه مكانه، ثم يجلس هو بين يديه.

وبهذه التجربة يُثبت الإمام الهادي (عليه السلام) لعمر بن الفرج، أن هيبة الإمامة، ومنزلة الولاية ومقامها الرفيع، التي منحها الله تعالى للإمام الهادي (عليه السلام) هي التي تجعل زيد بن موسى منصاعاً لها ومعترفاً بها، مما تجعله لا يجرأ على أن يتصدّر المجلس في حضور الإمام الهادي (عليه السلام) [1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٩٠ تتمة الحديث١، عن إعلام الورى، بتصرف.

ما يكون الا خيراً

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن أمالي الشيخ الطوسي بإسناده، عن كافور الخادم قائلاً:

كان في الموضع وبالقرب من جوار الإمام الهادي (عليه السلام) صنوف من الناس من أهل الصنائع، وكان ذلك الموضع كالقرية، وكان يونس النقّاش يتواجد عند سيدنا الإمام الهادي (عليه السلام) ويخدمه.

يونس النقّاش ـ يأتي يوماً إلى الإمام الهادي (عليه السلام) وهو يرتجف خوفاً ويرتعد رعباً وذعراً، ويقول: يا سيدي ومولاي! أوصيك بأهلي وعيالي خيراً.

الإمام الهادي (عليه السلام): ما شأنك؟ وما الخبر؟

يونس النقاش يجيب مرتعشاً: عزمت على الرحيل، وأشرفت على الموت.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبتسم في وجهه ويُطَمئن قلبه بنظرته الشفيقه ويقول له: ولم ذاك يا يونس؟

يونس وقد سكن قلبه وأحسّ بنوع من الطمأنينه يقول: إن موسى بن بغا قد وجّه إليّ بفصّ ثمين جداً ليس له قيمة ولا يقدّر بثمن، وأراد أن أصوغه خاتماً، فلما أردت أن أنقّشه صار نصفين، وموعده غداً، وهو موسى بن بغا فإما ألف سوط، وإما القتل.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وإبتسامته لا تفارق شفتيه، يطيّب خاطره بقوله:

إمض يا يونس إلى منزلك آمناً مطمئناً، فإنه لا يكون في الغد إلا خيراً.

كافور الخادم: فلما كان من الغد جاء يونس إلى الإمام الهادي (عليه السلام) مبكراً وهو يرتعد ويقول: يا ابن رسول الله! قد جاء الرسول يلتمس الفص.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبشره بالأمان والسلامة ويقول له: إمض إليه فإنك سوف لاترى إلا خيراً.

يونس النقاش ـ يلتفت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول مرتعشاً: وما أقول له يا سيدي ومولاي إذا طالبني بالفص؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يهدّئ قلبه بابتسامته البشوشة ويقول له: إمض إليه واسمع ما يخبرك به؛ وما يريده منك، فإنه لن يكون إلا خيراً.

كافور الخادم ـ يتابع نقل القصة ويقول: فمضى يونس وبعد قليل عاد وهو يضحك ويقول: يا سيدي يا ابن رسول الله: إن رسول بغا جاء إليّ وهو يقول: إن الجواري اختصمن فيما بينهن في الفصّ، فهل يمكنك أن تجعله فصّين اثنين، ونحن نغنيك عوضاً عن ذلك؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يرفع يديه نحو السماء ويشكر الله تعالى على هذه النعمة ويقول: اللهم لك الحمد أن جعلتنا ممن يحمدك حقاً، ثم التفت إلى يونس متسائلاً: فماذا قلت له يا يونس؟

يونس: قلت له: أمهلني حتى أتأمل أمره، وأرى كيف أعمله.

الإمام الهادي (عليه السلام) يحبّذه على جوابه هذا ويقول له: أحسنت، لقد

أصبت وأجدت.

وهكذا ينجّي الإمام الهادي (عليه السلام) محبّه لما التجأ إليه وتوسّل به إلى الله عزوجل [١].

تُكفى إن شاء الله تعالى

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن أمالي الشيخ الطوسي، عن المنصوري، عن أبي موسى عم أبيه، قائلاً:

قصدت الإمام الهادي (عليه السلام) يوماً وقلت: يا سيدي يا ابن رسول الله! إن هذا الرجل (يعني: المتوكل) قد نهرني وطردني وقطع عطائي ورزقي، وما أتّهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك وموّدتي فيك، فلو كلّمته فيّ وأوصيته بي، يلزمه القبول منك.

الإمام الهادي (عليه السلام): يطيّب خاطره ويقول له: تُكفى إن شاء الله تعالى.

أبو موسى: يشكر الإمام الهادي (عليه السلام) وينصرف، ثم يقول: فلما كان في الليل طرقني رُسل المتوكل رسول بعد رسول، فجئت والفتح على الباب ينتظرني.

الفتح يتوجّه نحوي ويقول: يا أخي! ما تأوي في منزلك بالليل؟ كدّني هذا

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٥ ح٣، عن أمالي الشيخ الطوسي، بتصرف.

الرجل (يعني: المتوكل) مما يطلبك ويريدك.

أبو موسى: يلوّح للفتح بيديه إشارة إلى تحيته وشكره له، ثم يتوجه نحو المتوكّل ويدخل عليه، يقول: فإذا بالمتوكل جالس على فراشه يترقب دخولي عليه.

المتوكل عندما يراني يقول: يا أبا موسى نشغل عنك ونغفل، وأنت لا تذكّرنا وتنسينا نفسك، أيّ شيء لك عندنا؟

أبو موسى ـ يلتفت إليه ويقول: الصلة والهدية الفلانية، والعطاء والرزق الفلاني، ويذكر له أشياء ويعدّدها.

المتوكل ـ يأمر له بها جميعاً ويقول: أعطوه ضعفها.

أبو موسى ـ يودّع المتوكل ويخرج من عنده، فيمرّ بالفتح ويقول له متسائلاً: هل وافى الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) إلى هنا؟

الفتح ـ يجيبه قائلاً: كلا.

أبو موسى ـ يكرّ عليه ويسأله ثانيةً ويقول: هل كتب الإمام الهادي (عليه السلام) إليك رقعة ورسالة؟

الفتح ـ يجيبه ثانية بقوله: كلا.

أبو موسى ـ يودّعه وينصرف.

الفتح ـ يتبعه بخطوات ويقول له: لست أشك أنك قد سألت الإمام الهادي (عليه السلام) أن يدعو لك، فالتمس لي منه دعاءً أيضاً.

أبو موسى ـ يعد الفتح بذلك ويقول: فأقبلت إلى الإمام الهادي (عليه السلام) ودخلت مسلّماً وشاكراً.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت اليّ ويقول: يا أبا موسى! هذا وجه الرضا.

أبو موسى ـ وهو فرح مسرور، يقول: هو ببركتك يا سيدي يا ابن رسول الله، ثم يواصل كلامه بقوله: ولكن قالوا لي: إنك يا ابن رسول الله لم تمض إليه ولم تسأل منه شيئاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جوابه: إن الله تعالى علم منا أنا لا نلجأ في المهمات إلا إليه، ولا نتوكل في الملمّات إلا عليه، و عوّدنا إذا سألناه: الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

أبو موسى ـ وهو يتذكّر ما قال له الفتح، فيذكّره بقوله: يا ابن رسول الله إن الفتح قال لي: كذا وكذا.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب عليه: إنه يوالينا بظاهره، ويجانبنا بباطنه، الدعاء لمن يدعو به: إذا أخلص في طاعة الله، واعترف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبحقنا أهل البيت، وسأل الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمه.

أبو موسى ـ يغتنم الفرصة ويقول: يا سيدي هل تمنّ عليّ بدعاءٍ أختصّ به من بين الأدعية؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يُلبيّ طلبه ويقول له: هذا الدعاء كثيراً ما أدعو

الله به، وقد سألت الله أن لا يخيّب من دعا به في مشهدي بعدي وهو:

" يا عُدَّتي عِندَ العُدَد، ويا رَجائي وَالمُعتَمَد، ويا كَهفي وَالسَّنَد، ويا واحِدُ يا أَحَد، يا قُل هُوَ اللهُ أحَد، أسألُكَ اللّهم بحقِّ مَنْ خَلقْتَهُ مِن خَلْقِكَ، وَلَم تجعلْ في خَلْقِكَ مِثْلَهُم أحَداً، أنْ تُصلّي عَلَيْهِم وَتَفعَلَ بي كَيْتَ وَكَيْتَ" (١).

أيّ نعم الله تؤدّي شكرها؟

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن أمالي الشيخ الصدوق بإسناده، عن أبي هاشم الجعفري قائلاً:

أصابتني ضيقة شديدة وعُدم مالي كبير، فصرت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ونيّتي: أن أشكو إليه ما فيه أنا من الضيق، فأستأذنت في الدخول عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يرحّب بي ويأذن لي بالدخول.

الجعفري - يستبشر ويقول: دخلت وسلّمت عليه وقبّلتُ يده، وجلست إلى جواره وأقبلت عليه.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يردّ سلامي وتحيتي ويُقبل عليّ ويقول لي: يا أبا هاشم! أيّ نعم الله عزوجل عليك تريد أن تؤدّي شكرها؟

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٧ ح٥، عن أمالي الشيخ الطوسي، بتصرف.

الجعفري ـ وهو يتفاجأ بهذا السؤال يقول: فوجمت ولم أدرِ ما أقول في الجواب.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكسر وجومه وتحيّره ويقول له: لقد رزقك الله الإيمان بالله ورسوله وبأهل بيت رسوله فحرّم بدنك على النار، ورزقك العافية في بدنك وروحك فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع في المعيشة فصانك عن التبذّل.

ثم إن الإمام الهادي (عليه السلام) يواصل كلامه ويقول له: يا أبا هاشم، إنما ابتدأتك بهذا، لأني ظننت أنك تريد أن تشكو لي من فعل بك هذا، وهو منك ومن أمثالك بعيد، وقد أمرت لك بمائة دينار فخذها.

الجعفري ـ وهو يتصبّب عرقاً، خجلاً في نفسه من ربه الذي أنعم عليه بتلك النعم العظام، وعذراً من إمامه الذي عالج فقره الروحي والمادي في آن واحد بخير علاج، يودّع الإمام وينصرف إلى بيته غانماً سالماً[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٩ ح٧، عن أمالي الشيخ الصدوق، بتصرف.

أطعم أبا هاشم

روي الشيخ الطبرسي في كتابه "إعلام الورى" مسنداً [١]، عن أبي هاشم الجعفري، وهو يروي لنا قصة طريفة، تحكي عن توفيقه الكبير، وعن معانٍ عظيمة وكثيرة، يقول فيها ما يلي:

كان الإمام أبو الحسن علي بن محمد (عليه السلام) يصوم، فإذا أفطر (عليه السلام) كنا نفطر معه على طعام كان يحمله فتاه في جونة[٢] مختومة، وكنت أصوم معه، فضعفت ذات يوم عن الصوم وأفطرت وحدي في بيت آخر على كعكة، وما شعر بي والله أحد، ثمّ جئت إلى البيت الذي كان الإمام الهادي (عليه السلام) فيه وكنا نفطر فيه معاً وجلست معه (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليّ ويوجّه خطابه إلى فتاه ويقول له: أطعم أبا هاشم شيئا فإنّه مفطر.

أبو هاشم يقول: فما كان مني إلاّ أن تبسّمت، فرحاً وسروراً مني بلطف الإمام الهادي (عليه السلام) عليّ، واحتفائه بي.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يتوجه إلى أبي هاشم ويقول له: ما يضحكك يا أبا هاشم؟

---

(١) إعلام الورى: ج٢ ص١٤١، بتصرف.

(٢) الجونة: سلّة مستديرة.

ثم يقول له: إذا أردت القوّة يا أبا هاشم فكل اللحم، فإنّ الكعك لا قوّة فيه.

أبو هاشم ـ يستسلم للأمر الواقع ويقول: صدق الله ورسوله وأنتم، ثم يأكل ما قُدّم له من طعام.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ آنذاك يوصيه قائلاً: يا أبا هاشم أفطر ثلاثاً، فإنّ المنّة (أي: القوّة) لا ترجع لمن أنهكه الصوم في أقلّ من ثلاثة أيام.

قوّاك الله يا أبا هاشم

وعن إعلام الورى، مسنداً عن أبي هاشم الجعفري، أنه شكا إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ما يلقاه من الشوق إليه إذا انحدر من عنده إلى بغداد، قائلاً:

يا سيّدي أدعو الله لي، فما لي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه،

الإمام الهادي (عليه السلام) يدعو الله له ويقول: قوّاك الله يا أبا هاشم وقوّى برذونك.

أبو هاشم الجعفري يقول: إنه كان بعد ذلك يصلّي الفجر ببغداد، ثم يسير على البرذون فيدرك الزوال من يومه ذلك عسكر سرّ من رأى، ويعود من يومه إلى بغداد، إذا شاء على ذلك البرذون بعينه[1].

(١) إعلام الورى: ص٣٤٤.

تقيم غداً عندنا

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن بصائر الدرجات بإسناده، عن إسحاق الجلّاب (أي: الذي يشتري الغنم ونحوها ويسوقها للبيع في مكان آخر) قائلاً:

اشتريت للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) غنماً كثيراً.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يدعوني فيدخلني من إصطبل الدواب في داره إلى موضع واسع لا أعرفه، ويقول لي: فرّق الغنم بين أهل هذه الدور، ووزّعه فيهم.

الجلّاب ـ يمتثل أمر الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فجعلت أفرّق الغنم فيمن أمرني به وأوزّعه بينهم، فبعثت إلى أبي جعفر ابنه، وإلى والدته وغيرهما ممن أمرني، ثم استأذنته في الانصراف إلى بغداد إلى والدي، وكان ذلك اليوم مصادفاً لليوم الثامن من شهر ذي الحجة وهو يوم التروية.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ لم يأذن لي بالإنصراف، ويكتب إليّ: تقيم غداً عندنا، ثم تنصرف.

الجلّاب ـ وهو يستجيب لطلب الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فأقمت في سامراء، فلما كان يوم عرفة أقمت عنده، وبتّ ليلة الأضحى في رواق له.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يأتيه في وقت السحر ويوقظه من نومه ورقاده

ويقول له: قم يا إسحاق فهذا وقت السحر.

وهذا يكشف عن أهمية الاستيقاظ في السحر بعد النوم مبكراً وفي أول الليل لينال ما في السحر من بركات.

الجلّاب ـ ينتبه على صوت الإمام الهادي (عليه السلام) ويفتح عينيه مستيقظاً من نومه ويقول: فقمت وفتحت عيني فإذا أنا على باب دارنا ببغداد، ثم يواصل كلامه قائلاً: فدخلت على والدي، وأتاني أصحابي، وأنا أتحدث عن معجزة الإمام الهادي (عليه السلام) وكرامته وأقول لهم: لقد عرّفت بالعسكر، وخرجت إلى العيد ببغداد[1].

كشف الله عنك وعن أبيك

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن كشف الغمة، عن علي بن محمد الحجّال، قائلاً:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) ما يلي:

أنا في خدمتك يا سيدي، وقد أصابني في رجلي علة لا أقدر معها على النهوض والقيام بما يجب، فإن رأيت يا مولاي أن تدعو الله لي بقضاء حوائجي وهي كالتالي:

١. أن يكشف علتي.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٣٢ ح١٤، عن بصائر الدرجات، بتصرف.

٢. ويُعينني على القيام بما يجب عليّ.

٣. وأداء الأمانة في ذلك.

٤. وأن يجعلني في حِلّ من تقصيري من غير تعمّد، وتضييع ما لا أتعمّده من نسيان يصيبني.

٥. ويوسع عليّ.

٦. وتدعو لي يا ابن رسول الله بالثبات على دينه الذي ارتضاه لنبيه (صلى الله عليه وآله).

الإمام الهادي (عليه السلام) يجيبني في رسالة خاصة يكتبها إلي موقعاً فيها بالدعاء التالي:

"كَشَفَ اللهُ عَنْكَ وَعَنْ أَبِيكَ".

الحجّال ـ وهو يتعجب من توقيع الإمام الهادي (عليه السلام) ويفرح من دعائه له ولأبيه ويقول: لقد كان بأبي علّة ولم أكتب إليه فيها، فدعا (عليه السلام) له ابتداءً، ثم يواصل الحجّال كلامه ويقول: فعافاني الله تعالى وأبي ببركة دعائه (عليه السلام) والحمدلله رب العالمين[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٠ ضمن ح٥٦، عن كشف الغمة، بتصرف.

أذكر إن شاء الله تعالى

ويحدثنا العلامة المجلسي في البحار، عن كشف الغمة، عن داود الضرير قائلاً:

كنت في المدينة المنوّرة وأردت الخروج إلى مكة المكرّمة، فودّعت الإمام أبا الحسن الهادي (عليه السلام) بالعشي وخرجت لألتحق بالجمّال وأخرج معه.

الجمّال ـ يعتذر إليه ويمتنع من الخروج في تلك الليلة.

داود ـ يرجع إلى بيته ويقول: بتّ تلك الليلة في منزلي، ولمّا أصبحت جئت أودّع القبر الشريف. فإذا رسول الإمام الهادي (عليه السلام) يدعوني، فأتيته واستحييت وقلت: جعلت فداك يا إبن رسول الله! إن الجمّال تخلّف أمس عن المسير.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبتسم إليّ، ويأمرني بأشياء وحوائج كثيرة، ويُوصيني بوصايا ومهامّ عديدة، ثم قال ـ وهو يختبرني في حفظي لها: كيف تقول؟

داود: وهو لم يحفظ كل ما أوصاه به الإمام الهادي (عليه السلام) ولا جميع ما أمره به، فيختار السكوت ولم يقل في جوابه شيئاً.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يمدّ الدواة ويكتب في قرطاس: بسم الله الرّحمن الرّحيم، أذكر إن شاء الله، والأمر بيدك كله.

داود ـ عندما يرى الكتاب هذا يتذكر أمراً فيبتسم له.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يرى ابتسامة داود، يُقبل عليه ويقول له متسائلاً: ما لك تبتسم يا داود؟

داود يقول في الجواب: خير إن شاء الله تعالى.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يعود عليه بقوله: نعم، خير إن شاء الله تعالى ولكن لا بأس أن تخبرني عن سبب ابتسامتك؟

داود ـ وهو يستجيب لطلب الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول معتذراً: لقد ذكرت يا سيدي حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا عن جدك الرضا (عليه السلام)، بأنه كان إذا أمر بحاجة كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أذكر إن شاء الله.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ وهو يعوّل في إبلاغ الحوائج هنا على حفظ داود بادئ الأمر: وكأنه إنما لم يبتدئ بالكتابة للتقية، يبتسم إليه ويقول له: يا داود! لو قلت لك: إن تاركَ التقية كتاركِ الصلاة لكنت صادقاً[1].

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨١، تتمة ح٥٦، عن كشف الغمة، بتصرف.

سأقصد الله تعالى فيك

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن رجال الكشي، عن يوسف بن السخت قائلاً:

كان علي بن جعفر وكيلاً للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام)، وكان رجلاً من أهل هُمَينيا، وهي قرية من قرى سواد بغداد تقع في ضفّة دجلة فوق النعمانية.

المتوكل: يأمر بحبسه ويسجنه على أثر تقارير جواسيسه المرفوعة ضدّه القائلة: بأنه من وكلاء الإمام الهادي (عليه السلام)، فيطول في السجن بقاؤه، وكان قد قبل الحوالة من قبل عبد الرحمان بن خاقان بمال ضمنه عنه وقدره ثلاثة آلاف دينار.

وزير المتوكل ـ وهو عبيد الله بن يحيى بن خاقان، يكلّمه ثم يعرض حاله على المتوكل ويتوسط له في إطلاق سراحه والإفراج عنه.

المتوكل ـ يغتاظ من وساطة وزيره عبيد الله بن خاقان في إطلاق سراح علي بن جعفر ويقول له مهدّداً: يا عبيد الله! لو شككت فيك لقلت: أنك رافضي، هذا ـ يعني: علي بن جعفر ـ وكيل فلان وأنا عازم على قتله، وأنت تتوسط له وتتشفع فيه؟

يوسف بن السخت ـ يواصل حديثه ويقول: وصل الخبر هذا إلى علي بن

جعفر، فكتب رسالة إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) يستنجد به فيها ويقول: يا سيدي ومولاي! الله الله فيّ، فقد والله خفت أن أرتاب.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب في جوابه، ويوقع في رقعته ما يلي: أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى، فسأقصد الله تعالى فيك. وكان ذلك في ليلة الجمعة.

علي بن جعفر ـ يفرح من جواب الإمام الهادي (عليه السلام) ويطمئن بالفرج، فيشكر الله تعالى على ذلك.

المتوكل: يصبح في يوم الجمعة محموماً دنفاً، ويزداد عليه مرضه، ويشتد به سقمه، حتى يُصرخ عليه يوم الإثنين، عندها يأمر بتخلية كل محبوس عرض عليه اسمه، ويقرّر الإفراج عنهم وإطلاق سراحهم، حتى يتذكر هو علي بن جعفر: فيلتفت إلى وزيره عبيد الله بن خاقان قائلاً: لماذا لم تعرض عليّ أمره، وتذكرّني بخبره؟

وزير المتوكل ـ يغتنم الفرصة للاعتراض عليه ويقول: لا أعود ـ بعد أن هدّدتني فيه ـ إلى ذكره أبداً.

المتوكل ـ يتجاهل ما جرى بينه وبين وزيره في وساطته لعلي بن جعفر ويقول بحنق وغيض: خلّ سبيله الساعة، وأطلق سراحه، وسله أن يجعلني في حلّ.

وزير المتوكل ـ يقوم بتنفيذ ما أمر به المتوكل، فيخلّي سبيل علي بن جعفر، ويطلق سراحه.

علي بن جعفر ـ يخرج من السجن مرفوع الرأس، ويصير بأمر من الإمام الهادي (عليه السلام) إلى مكة ويبقى بها مجاوراً لبيت الله الحرام، وقاطناً في الحرم المكي الشريف.

المتوكل ـ يبرأ من علته، وتعود إليه سلامته، ويرجع إلى ما كان عليه من ظلم وعدوان تجاه الإمام الهادي (عليه السلام) ومواليه ومحبّيه[1].

إنه رجل من أهل الجنة

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن غيبة الشيخ الطوسي، عن عمرو بن سعيد المدائني ـ وكان فطحياً ـ، قائلاً:

كنت عند الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) بمنطقة صريا، إذ دخل أيوب بن نوح، فسلّم ووقف بين يدي الإمام الهادي (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيب على سلامه ويأمره بشيء.

أيوب ـ يمتثل ويقول: سمعاً وطاعة، ثم ينصرف.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت عندها نحو المدائني ويقول له: يا عمرو! إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا.

(إلى هذا): يعني إلى أيوب بن نوح، وكان وكيلاً للإمام الهادي (عليه السلام) ثم من بعده للإمام العسكري (عليه السلام)، وكان عظيم المنزلة عندهما،

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٣ ح٥٨ عن رجال الكشي بتصرف.

مأموناً على الدين والدنيا، شديد الورع، كثير العبادة، ثقةً في رواياته.

وهكذا كان الإمام الهادي (عليه السلام) يعامل خواصه وخاصته، ويثني عليهم، ويقدّر موقفهم من ولائهم لله ولرسوله ولأهل بيت رسوله (صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

لا روع عليك ولا بأس

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره أيضاً، عن مهج الدعوات، عن اليسع بن حمزة القمي قائلاً:

إن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم، قد جاء عليّ بالمكروه الفظيع، والبلاء الفجيع، حتى تخوّفته على نفسي: من إراقة دمي، وفقر عقبي، فكتبت إلى سيدي ومولاي الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أشكو إليه ما حلّ بي، ونزل بساحتي.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يكتب إليّ جواباً جاء فيه: لا روع عليك ولا بأس، فادع الله بهذه الكلمات يخلّصك الله وشيكاً مما وقعت فيه، ويجعل لك فرجاً، فإن آل محمد (صلى الله عليه وآله) يدعون بها عند إشراف البلاء، وظهور الأعداء، وعند تخوّف الفقر، وضيق الصدر.

اليسع بن حمزة - يفرح من وصول الدعاء إليه ويقول: فدعوت الله

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٠ ح٧، عن الغيبة للشيخ الطوسي، بتصرف.

بالكلمات التي كتب إليّ سيدي بها، في صدر النهار، فوالله ما مضى شطره، حتى جاءني رسول عمرو بن مسعدة وقال لي: أجب الوزير، فنهضت ودخلت عليه.

وإذا بالوزير عمرو بن مسعدة ينظر إليّ ويبتسم في وجهي، ثم يأمر بفك الحديد والأغلال عني، ويأمر لي بخلعة من فاخر ثيابه، ويتحفني بأطيب طيبه، ثم يدنيني منه، ويقرّبني إليه، ويعتذر مني ويتنصّل إليّ، ويردّ علي جميع ما كان قد أخذه وصادره مني، ثم يحسن رفدي ويردّني إلى الناحية التي كنت أتقلّدها، ويضيف إليها الكورة والمنطقة التي تليها.

اليسع بن حمزة ـ يضيف بعد ذلك قائلاً: كل ذلك بفضل الدعاء الذي علّمنيه الإمام الهادي (عليه السلام) في رسالته إليّ[1].

والدعاء مذكور في كتاب "مهج الدعوات" لإمام الفضيلة السيد علي بن موسى بن طاووس، وكان من أعاظم فقهاء الشيعة الإمامية، ومن علماء القرن السابع الهجري، وهو من أحفاد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) من جهة الأب، والإمام الحسين (عليه السلام) من جهة الأُم، ولعلنا نتوفق لذكر هذا الدعاء في باب الأدعية والزيارات إن شاء الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٢٤ ح١٢، عن مهج الدعوات: ص٣٣٨، بتصرف.

قد نجوت من كل هم وغم

ويحدثنا كتاب تاريخ سامراء قائلاً: لقد عاد الإمام الهادي (عليه السلام) مريضاً من أصحابه وكان قد أشرف على الآخرة وهو يبكي ويجزع من الموت.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليه ويطيّب خاطره ويقول له: يا عبد الله إنك تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسختَ وتقذّرتَ، وتأذيتَ من كثرة القذر والوسخ عليك، وأصابك قروح وجرب، وعلمتَ أن الغَسل في الحمّام يزيل ذلك كله، أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك، أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟

المريض المُعاد ـ يجيب بطيب خاطر ويقول: بلى أريد أن أدخله يا ابن رسول الله وأزيل كل ذلك عني.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يردّ عليه بقوله: فإن الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك، وتنقيتك من سيّئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاورته، فقد نجوت من كل هم وغم وأذى، ووصلت إلى كل سرور وفرح وبشرى.

المريض المعاد: يسكن ويهدأ، وينشط ويقوى، ثم يستعد للقاء الآخرة، فيستسلم للموت، ويغمّض عينيه، ويمضي لسبيله قرير العين وعلى لسانه كلمة الإخلاص، والشهادة برسالة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، والولاية لأهل بيته

المعصومين (عليهم السلام)[١].

تكفاه إن شاء الله تعالى

ويحدثنا العلامة المجلسي في بحاره، عن محمد بن الريّان بن الصلت، أنه قال:

كتبت إلى الإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) أشكو إليه عدواً لي وأستأذنه في كيده والانتقام منه.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ نهاني عن ذلك وأجابني بما معناه: تُكفاه إن شاء الله تعالى.

ابن الصلت يقول: فكُفيته والله أحسن كفاية، فقد ذلّ وافتقر، ومات أسوء الناس حالاً في دنياه ودينه[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢١١، بتصرف.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٨٠، عن كشف الغمّة، بتصرف.

تزيّنوا لهم

ويحدثنا الشيخ الكليني في الكافي، مسنداً عن عبد الله جبلّة الكناني أنه قال:

استقبلني الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) وقد علّقت سمكة في يدي.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت إليّ ويقول: اقذفها، إنّني لأكره للرجل السري أن يحمل الشيء الدني بنفسه.

ولعل في هذا إشارة إلى أدب من الآداب الإسلامية وهو: كراهة حمل الرجل المتشخّص البضاعة من السوق إلى بيته بنفسه.

ثم قال (عليه السلام): إنكم قوم أعداؤكم كثيرة، عاداكم الخَلق، يا معشر الشيعة إنكم قد عاداكم الخلق، فتزيّنوا لهم بما قدرتم عليه[1].

(١) الكافي: ج٦ ص٤٨٠، بتصرف.

فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم

روى ابن الشيخ الطوسي في المجالس، ـ كما في تاريخ سامراء[١] ـ مسنداً عن علي بن عمر العطار، أنه قال:

دخلت على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) يوم الثلاثاء، فسلمت عليه، فردّ عليّ جواب السلام بأحسنه، ثم التفت إليّ وقال متفقّداً: لم أرك في يوم أمس؟

قلت: يا ابن رسول الله، كرهت الحركة في يوم الاثنين.

فقال (عليه السلام) عند ذلك وهو يخاطبني: يا علي من أحب أن يقيه الله شر يوم الاثنين، فليقرأ في أول ركعة من صلاة الغداة سورة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ﴾، ثم قرأ (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾[٢].

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٢، بتصرف.

(٢) سورة الإنسان: ١١.

لا تذرني فرداً

روى الفقيه الشامي في الدر النظيم، بسنده عن علي بن أحمد الصيمري الكاتب، أنه قال:

تزوجتُ ابنة جعفر بن محمد الكاتب فأحببتها حباً شديداً، ولكن أبطأ عليّ الولد، فصرت إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) وذكرت له ذلك وإبطاء الولد عليّ.

الإمام الهادي (عليه السلام) - يبتسم من كلامي ويقول: خذ خاتم الفضة من فيروزج، وأكتب عليه:

﴿رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

الكاتب - يمتثل كلام الإمام الهادي (عليه السلام) ويقول: فصنعت ما أوصاني به (عليه السلام)، فما أتى عليّ حول حتى رزقني الله منها ولداً ذكراً[2].

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٩.

(٢) تاريخ سامراء: ج٣ ص٢٤٢، بتصرف.

الحسنات كرمل عالج

روى الشيخ الكليني في الكافي مسنداً عن أبي هاشم الجعفري أنه قال:

دخلت على صاحب العسكر الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، فجاء إليه صبي من صبيانه فناوله وردة.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يأخذ الوردة ويقبّلها ويضعها على عينيه، ثم ناولنيها وقال: يا أبا هاشم من تناول وردةً أو ريحانةً، فقبّلَها ووضَعَها على عينه، ثم صلّى محمد وآل محمد، كتب الله له من الحسنات مثل رمل عالج، ومحى عنه من السيئات مثل ذلك[1].

(١) الكافي: ج٦ ص٥٢٥، بتصرف.

السعي في التزويج

يحدثنا الشيخ الصدوق في كمال الدين، والشيخ الطوسي في غيبته، مسنداً عن بشر بن سليمان النخّاس ـ والنخّاس هذا هو من وُلد أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد موالي الإمامين الهمامين: الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام) والإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، وجارهما بسر من رأى ـ أنه قال:

أتاني كافور الخادم فقال: مولانا الإمام أبو الحسن علي بن محمّد الهادي (عليه السلام) يدعوك إليه.

فقمت فأتيته، فلما جلست بين يديه قال لي بعد أن رحّب بي وتفقّد حالي ما يلي:

إني مزكيك

يا بشر إنك من ولد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإني مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة بها: بسرٍّ أطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع أَمَة.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يكتب حينئذٍ كتاباً لطيفاً، بخط رومي ولغة رومية، ويطبع عليه بخاتمه، ثم يُخرج شستقة صفراء، فيها مائتان وعشرون

ديناراً ويقول لبشر: خذها وتوجّه بها إلى بغداد.

فإذا وصلت إلى بغداد، فاحضر منطقة كذا، ضحوة يوم كذا، عندها تصل إلى جانبك زوارق السبايا وترى الجواري فيها، وستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العباس، وشرذمة من فتيان العرب يُحدقون بهم.

فإذا رأيت ذلك فأشرف من البُعد على المسمّى باسم عمر بن يزيد النخّاس، من بين النخّاسين، وراقبه عامة نهارك، إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، تمتنع من العرض، ومن لمس المعترض، ومن الانقياد لمن يحاول لمسها، فيزجرها النخاس فتصرخ صرخة رومية من وراء الستر تقول ما معناه: واهتك ستراه.

فيقول بعض المبتاعين: عليّ ثلاثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة.

الجارية تقول مخاطبة للمشتري: لا رغبة لي فيك ولو برزت في زيّ سليمان بن داود وعلى شبه مُلكه، فأشفِق على مالك وانصرف.

النخاس ـ يلتفت إليها ويقول: فما الحيلة مع أنه لابدّ من بيعك؟

الجارية تجيب النخاس قائلة: وما العجلة، ولابد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه، وإلى ديانته وأمانته؟

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يواصل كلامه ويقول لبشر: عند ذلك قم إلى النخاس عمر بن يزيد، وقل له: إن معي كتاباً ملطّفاً لبعض الأشراف، وقد كتبه بلغة رومية، وخط رومي، ووصف فيه كرمه ووفاءه، ونُبله وسخاءه،

فخذه وناولها إياه لتقرأه وتتأمّل منه ما جاء فيه من أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورغبت فيه ورضيت به، فأنا وكيله في ابتياعها منك.

امتثال كامل ودقيق

بِشر يقوم بالمهمة ويقول: امتثلت جميع ما حدّده لي مولاي الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) في أمر الجارية، ثم قمت وقدّمت الكتاب إلى النخّاس حتى يقدّمه إليها.

الجارية ـ تأخذ الكتاب وتفتح الختم وتطالعه، وإذا بها تجهش بالبكاء، وتبكي بكاءً شديداً، ثم تلتفت إلى النخاس وتقول له: بعني من صاحب هذا الكتاب، ثم أخذت تحلف له حلفاً مغلّظاً بأنه لو امتنع من بيعها منه قتلت نفسها.

بشر ـ يتقدم حينئذ ليشتريها من النخاس بالوكالة، ويقول: فما زلت أماكس النخّاس في القيمة وأشاحّه في الثمن حتى استقر الأمر فيه على مقدار من المال الذي كان أصحبنيه مولاي الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام).

النخاس ـ يرضى بهذا البيع فيستوفي المال ويسلّم الجارية إلى بشر.

بشر ـ يتسلّم الجارية وهي فرحة مستبشرة وينصرف بها إلى بغداد.

الجارية ـ حين يستقر بها المكان وتأخذ قرارها، تُخرج الكتاب الذي كتبه الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) إليها وتقوم بلثمه وتقبيله، ثم تتبرّك به

بتطبيقه على جفنها، ووضعه على جبينها، وتتمسّح به وتبكي شوقاً إليه (عليه السلام).

بشر ـ يتعجب من ذلك ويسألها مستغرباً ويقول: تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه، وتقبّلين رسالة لا تألفين كاتبها؟

الجارية ـ تنهر بشراً على تعجّبه وتزجره على استغرابه وتقول له باستنكار: أيها العاجز علماً عن مكانة عترة المرسلين، والضعيف معرفة بمحلّ أولاد الأنبياء، أعرني سمعك، وفرّغ لي قلبك، لتعي ما أقوله لك، وأقصّه عليك.

بشر: نعم .. تفضلي بقصتك، فإني لك أُذُن صاغية.

بدء القصة

الجارية ـ تبدأ بالحديث لبشر وتقول: أنا "مليكة بنت يشوعا بن قيصر" ملك الروم، وأمّي من وُلد الحواريّين، وتُنسب إلى وصيّ المسيح: شمعون، أُنبئك بالعجب العجاب وهو كالتالي:

إن جدّي قيصر، أراد أن يزوّجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع جدّي في قصره من نسل الحواريين من القسيسين و الرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهو ملكه عرشاً مصنوعاً من أصناف الجواهر، إلى صحن القصر، ورفعه فوق أربعين

مرقاة.

فلما صعد ابن أخيه فوقها، وأحدقت الصلبان به، وأقامت الأساقفة عكّفاً عليه ونشرت أسفار الإنجيل، وإذا بالصلبان تتسافل من الأعلى وتلتصق بالأرض، وتتقوّض أعمدة عرش قيصر وتنهار إلى القرار، ويخرّ الصاعد من العرش على الأرض مغشياً عليه.

عندها تغيرّت ألوان الأساقفة، وارتعدت فرائصهم، خوفاً مما وقع، وخشية مما اتفق، فقال كبيرهم لجدّي: أيها الملك أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال دولة هذا الدين المسيحي، والمذهب الملكاني.

الملك ـ يتطيّر من ذلك تطيراً شديداً، فيلتفت إلى الأساقفة ويقول: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصلبان، وأحضروا أخا هذا المدبر العاثر، المنكوس حظّه، حتى أزوّجه هذه الصبيّة، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

الحضور ـ يمتثلون كلام الملك، ولكن ما إن فعلوا ذلك حتى حدث على الثاني مثل ما حدث على الأول، وتفرق الناس.

الملك ـ يقوم وهو مهتم مغتم ويدخل منزل النساء وتُرخى الستور ويأخذ كل واحد منا مضجعه وينام.

منبر من نور

الجارية تواصل حديثها وتقول: فلما استولى عليّ النوم، رأيت في تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي الملك، ونصبوا فيه منبراً من نور، يباري السماء علواً وارتفاعاً، وذلك في نفس المكان الذي كان جدي قد نصب فيه عرشه، وإذا بي أرى النبي وصهره ووصيّه وعدّة من أبنائه (عليهم السلام) يدخلون المجلس وينوّرونه بنورهم.

ثم تضيف قائلة: عندها رأيت المسيح (عليه السلام) يقوم إلى نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) ويعانقه، وإذا بالنبي يخاطبه بعد المعانقة ويقول له: يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته "مليكة" لابني هذا، وأومأ بيده إلى أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) ابن صاحب هذا الكتاب.

المسيح (عليه السلام) ـ يلتفت حينئذ إلى شمعون و يقول له: قد أتاك الشرف، فَصِل رحمك برحم آل محمد (عليهم السلام).

شمعون ـ يستجيب للمسيح ويقول: قد فعلت وبكل فخر واعتزاز.

النبي (صلى الله عليه وآله) ـ يصعد على ذلك المنبر ويخطب، ثم يزوّجني من ابنه، و يشهد بذلك المسيح والحواريون، ويشهد أبناء النبي (عليه وعليهم السلام) بذلك أيضاً.

الجارية ـ تواصل كلامها وتقول: فلما استيقظت أشفقت أن أقص هذه

الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل، فكنت أسرّها في نفسي ولا أُبديها لهم، وامتلأ قلبي بحبّ أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) حتى امتنعت من الطعام والشراب، فضعف جسمي، ودق شخصي، ومرضتُ مرضاً شديداً، وما بقي في مدائن الروم طبيب إلّا أحضره جدّي وسأله عن دوائي، لكن دون جدوى.

الملك ـ وقد حصل له اليأس فيقول لي: يا قرة عيني وهل يخطر ببالك شيء تشتهيه فأوفّرها لك في هذه الدنيا؟

الجارية تقول: فقلت له: يا جدي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفتَ العذاب عمن في سجنك من أسرى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدّقتَ عليهم، ومنّيتهم الخلاص، رجوتُ أن يهب لي المسيح وأمه عافية.

فلما فعل جدّي ذلك، تجلّدت في إظهار الصحة من بدني قليلاً، وتناولت يسيراً من الطعام، فسرّ جدّي بذلك، وأقبل على إكرام الأسرى وإعزازهم.

اعتناق الإسلام

مضت أربع عشرة ليلة على ذلك، وإذا بي أرى في المنام كأن سيدة نساء العالمين فاطمة (عليها السلام) قد زارتني وكان معها مريم ابنة عمران (عليها السلام) وألف من وصائف الجنان؛ فالتفتَت إليّ مريم (عليها السلام) وقالت ـ وهي تعرّفني بمن معها: هذه سيدة نساء العالمين أم زوجك أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام).

ثم تضيف قائلة: عندها تعلقت بها وبكيتُ، وشكوتُ إليها امتناع أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) من زيارتي.

السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ـ تلتفت إليّ وتقول لي: إذا كنتِ تميلين إلى رضا الله تعالى، ورضا المسيح ومريم (عليهما السلام) وزيارة أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) فاعتنقي الإسلام وقولي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله.

الجارية تقول: قبلت نصيحتها وقلت تلك الكلمات واعتنقت الإسلام. فضمتني سيدة نساء العالمين إلى صدرها وطيّبَتْ نفسي وقالت: الآن توقعّي زيارة أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام).

فلما كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد الحسن العسكري (عليه السلام) وكأني أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلتَ قلبي بجوامع حبّك.

الإمام أبو الحسن العسكري (عليه السلام) يقول في جوابي: إذ قد أسلمتي فأنا زائرك في كل ليلة إلى أن يجمع الله تعالى شملنا في العيان، ثم لم يقطع زيارته لي بعدها حتى هذه الليلة.

بشر ـ يلتفت إليها ويسألها قائلاً: وكيف وقعتي في الأسر وصرتي بين الأسارى.

الجارية تقول في جوابه:

أخبرني الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) ليلة من الليالي أن

جدّي سوف يُسيّر جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا، ثم يتبعهم، فعليكِ باللحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا.

مع طلائع المسلمين

الجارية ـ تواصل كلامها وتقول: ففعلتُ ذلك، فوقعَت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت أنت وشاهدته، ولم يشعر أحد سواك بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية، وذلك بإطلاعي إياك عليه.

ثم تقول: ولقد سألني الشيخ الذي وقعتُ إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته، وقلت له: نرجس، فقال: إنه اسم الجواري.

بشر ـ يتعجب من جارية روميّة تتكلم بالعربية بصورة جيدة، فيسألها عن ذلك قائلاً: العجب أنكِ رومية ولسانكِ عربي؟

الجارية ـ تجيب على سؤاله بقولها: نعم تعلمتُ العربية من شدة ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب، حتى أنه أوعز إلى امرأة ترجمانٍ له في أن تأتي إلينا صباحاً ومساءً وتعلّمني اللغة العربية، حتى قويت عليها واستمرّ لساني عليها و استقام.

بشر يقول: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلتُ على مولاي الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، فقال لها:

كيف أراكِ الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانية، وشرف محمد (صلى الله عليه وآله)

وأهل بيته (عليهم السلام).

الجارية ـ تقول في الجواب: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟

شرف الأب

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يُكرمها ويخيّرها بين هدية مادية أو معنوية، ويقول لها: إني أحببتُ أن أُكرمَكِ، فما أحبّ إليكِ: عشرة آلاف دينار، أم بشرى لك بشرف الأبد؟

الجارية ـ تختار الهدية المعنوية وتقول: أريد بشرى بشرف الأبد.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبشرها بشرف الأبد ويقول لها: أبشري بولد يكون حجة الله على الخلق، ويملك الدنيا شرقاً وغرباً و يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

الجارية ـ تفرح بهذه البشرى وتحاول الإطمئنان على أن زوجها هو أبو محمد الحسن (عليه السلام) فتقول متسائلة: وممن يكون هذا الولد؟

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول في جواب سؤالها: هو ممن خطبك رسول الله (صلى الله عليه وآله) له، ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالرومية.

الجارية ـ تطلب الاطمئنان الأكثر مستفهمةً قائلة: من المسيح ووصيّه.

الإمام الهادي (عليه السلام) يقول لها: نعم ممن زوّجك المسيح (عليه السلام)

ووصيّه منه.

الجارية ـ تقول مستعلمة:

من ابنك أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يجيبها بقوله: نعم، هل تعرفينه إذا رأيتيه؟

الجارية تقول: كيف لا أعرفه ولم تمض ليلة لم يرني فيها منذ الليلة التي أسلمتُ على يد سيدة النساء (صلوات الله عليها).

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يلتفت حينئذ إلى كافور ويقول له: ادعولي أختي حكيمة، فدعاها، فلما دخلَتْ قال (عليه السلام) لها: ها هي التي سوف تنال شرف الأبد بولدها.

السيدة حكيمة (عليها السلام) ـ تُقبل عليها وتعتنقها طويلاً وتقول لها: لقد سررتُ بكِ كثيراً، فأهلاً ومرحباً بك.

الإمام الهادي (عليه السلام) ـ يبارك لأخته حكيمة ذلك ويقول لها: يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك، وعلّميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد الحسن العسكري، وأم القائم المهدي (عليه السلام) وعجل الله تعالى فرجه الشريف.

وكان هذا بعضاً مما تيسّر لنا بيانه من الظاهرة الطبيعية: بُعد السيرة الاجتماعية والسياسية للإمام الهادي (عليه السلام)، فننتقل بعده بإذن الله تعالى إلى بيان البُعد الثاني من الظاهرة الطبيعية: بُعد سيرته (عليه السلام) العلمية والثقافية، فمعاً إلى ذلك بتوفيق من الله عزوجل.

البُعد الثاني

من الظاهرة الطبيعية :

سيرة الإمام الهادي عليه السلام العلمية والثقافية

ويحتوي على مجالات خمسة :

١ : أصول الدين والمسائل الاعتقادية.

٢ : أحكام الشريعة والفروع الفقهية.

٣ : الحِكَم والآداب الإجتماعية

٤ : الطب والمسائل الوقائية.

٥ : الأدعية والزيارات.

السيرة العلمية والثقافية

حياة الإنسان والمجتمع، وصلاح الكون والحياة، إنما هو بالفكر والعلم، والثقافة والمعرفة، كما أن موت الإنسان والمجتمع، وفساد الكون والحياة، يكون بموت الفكر والعلم، واندراس الحكمة والمعرفة فيه، وغياب الثقافة الإنسانية والإسلامية عنه. وقد قال الله العزيز في كتابه الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[3].

وقال عزوجل في قصّة طالوت: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال: ٢٤.

(٢) سورة النساء: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧.

وقال تبارك وتقدس: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١].

وقال الله العلي العظيم: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ﴾[٢].

وقد ورد: «الناس مَوْتَى وأهلُ العِلم أحياء»[٣].

نعم إن الإسلام الذي جاء ليحيي الإنسان والمجتمع، ويصلح الكون والحياة، أكدّ على العلم والحكمة، وعلى الفكر والثقافة، واختار أعلم الناس وأتقاهم، وأوفرهم فكراً وعقلاً، وأعظمهم حكمةً وكمالاً، ألا وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن بعده أهل بيته المعصومون (عليهم السلام)، ليكونوا أئمةً للناس وقادة، وأسوةً وقدوة.

وبارتحال الرسول (صلى الله عليه وآله) عن هذه الحياة شهيداً، ارتحل من بين الناس أكمل قدوة وأتم أُسوة، من آدم إلى انتهاء العالم، لكنه خلّف بعده وبأمر من الله تعالى، من يليه في كمال القدوة وتمام الأُسوة، ألا وهو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، حيث أخذ له البيعة من المسلمين بإمرته على المؤمنين في واقعة الغدير المعروفة، وصرّح (صلى الله عليه وآله) فيها بأسماء الأئمة الأحد عشر من ذرية علي وفاطمة (عليهم السلام). وأنزل الله تعالى فور أن تمّت البيعة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

---

(١) سورة فاطر: ٢٨.

(٢) سورة فاطر: ٢٢.

(٣) ديوان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ص٢٤ حرف الألف

الإِسْلاَمَ﴾[١].

قضية الانقلاب على الأعقاب

لكن بعد ارتحال النبي (صلى الله عليه وآله) شهيداً، وقعت الفتنة السياسية الكبرى، التي نقضت بيعة يوم الغدير، وأنكرت حتى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي أوجب الله تعالى عليهم مودّته وطاعته، وأقْصَته عن منصّة الخلافة وكرسيها، وأبعدته عن تصدي منصب الإمامة ومركزها، وحرمت المسلمين والعالم بأكلمه ـ وليس العالم الإسلامي فحسب ـ عن خيره وعدله، وعلمه وفضله، وحكمته ومعرفته، وثقافته وفكره، وبكلمة واحدة: حرمت البشرية من التقدم والرقي المطلوب لها، ومن النمو والازدهار اللائق بشأنها.

كيف لا، وهو باب مدينة علم الرسول الكريم، الذي قال عنه (صلى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد المدينة والحكمة فليأتيها من بابها»[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: «أقضاكم علي»[٣].

وقال (عليه السلام): «علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) مفاتيح الجنان: ضمن دعاء الندبة.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٢٦٣ ح٢.

باب ألف باب»[١].

وبانقلابهم ذلك أصبحوا مصداقاً كاملاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٢].

وصاروا مصداقاً تاماً لقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[٣].

فكان الطابع العام للقيادة الجديدة ـ التي استولت على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتربّعت على كرسي الحكم والخلافة من دون إذن إلهي ولا مجوّز شرعي، بل عبر انقلاب عسكري مخطّط، وضمن مؤامرة ظالمة مدروسة، دُبّرت بليل، ونفّذت في ضوء النهار السّافر، على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) واستمرت حتى شملت جميع الأئمة المعصومين والأوصياء المكرّمين من أهل بيت رسول الله الأكرمين (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) ـ هو العنف والخرق.

نعم، كان الطابع العام للقيادة الجديدة ـ التي جاءت عبر انقلاب عسكري دموي، وصارت تجري دماء مظلوميه حتى يومنا هذا ـ هو: العنف والخرق،

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٠ ص١٣٠ ح٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

والغلظة والجفاء، والغيلة والغدر، والقتل والإرهاب، وخاصة لمن يعارضهم أو يطالبهم بالشرعية على حكمهم وسلطانهم.

الدليل على الانقلاب

ويدل على هذا الجفاء والانقلاب بوضوح: غصبهم من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فدكاً، ولمّا طالبتهم به واعترضت على تصرّفهم الظالم في حق بعلها علي بن أبي طالب وكشفهم عن بيتها، ضربوها ضرباً مبّرحاً أدى إلى إسقاط جنينها الذي كان قد سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته محسناً، وسبّب ذلك وفاتها واستشهادها وهي في عمر الأزهار والورود، واستشهدت وهي ساخطة على ابن أبي قحافة وابن الخطاب[١].

ويؤيده قول أبي بكر عند موته: «وددت أني لم أكشف بيت فاطمة وتركته»[٢].

ويدل عليه أيضاً: رميهم الصحابي الجليل مالك بن نويرة بالارتداد وقتلهم له غدراً وغيلةً[٣]، واغتيال الصحابي المعروف سعد بن عبادة واتهامهم الجن بقتله[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: في: ٥٧ كتاب فرض الخمس، ١ـ باب فرض الخمس: ح١٤٦٠ ـ ١٤٦١.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير: ج١ ص٦٢ ح٤٣، والذهبي في ميزان الاعتدال: ج٣ ص١٠٩.

(٣) الطبري في تاريخه: ج٢ ص٥٠٢.

(٤) تاريخ دمشق: ج٢٠ ص ٢٦٨، وطبقات ابن سعد: ج٣ ص٦١٧.

نعم كان طابع القيادة الجديدة: العنف والإرهاب إلى جانب الختل والمراوغة كما وصف ذلك وصوّره الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المعروف بالشقشقية[١].

وهذا الطابع كان مستلزماً ومتزامناً مع تمويه الحقائق، وتشويه الواقعيات، ومحاربة الفكر والعلم، ومقارعة الحكمة والثقافة، فكانوا يحرّمون دراسة العلم ورواية الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) ويعاقبون عليها، وقد جمعوا أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وأحرقوها متذرعين بقولهم: «يكفينا» أو: «حسبنا كتاب الله»[٢].

وعلى إثر ذلك باتت الأمة الإسلامية في سبات عميق، ورقاد طويل، بعيدةً عن العلم القرآني الصحيح، ونائيةً عن المعارف الإسلامية الحقة، محرومة من عدل السماء ورحمته، ومن رفاهية العيش ورغده.

أهل البيت عليهم السلام حفظة الإسلام

لذلك بقي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده يحاولون جادّين حفظ العلم والمعرفة، وحراسة الحكمة والثقافة، وصَون تعاليم القرآن الحكيم وأحاديث الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) من الاندراس والانطماس، مضحّين

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٠ ص٢٨٤. وأخرجه البخاري: ج٨ ص١٦١، وفي ج٧ ص٩ وفي ج٥ ص١٣٨.

من أجل ذلك بكل مصالحهم الشخصيته التي شرّعها الله لهم، وحقوقهم الفردية التي خصها الله بهم.

وكانت القيادة الجديدة غير الشرعية ومن تلاهم من الأمويين والعباسيين، يعرفون ذلك التفاني من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) جيداً، ويرونه مناهضاً لسلطانهم، ومنافياً لاستمرارية بقائهم، لذلك قاموا حفاظاً على سلطانهم، وبقاءً على دنياهم، يحاربونهم، ويحاولون القضاء عليهم وعلى من يتحدث عنهم ويروي كلامهم.

وقد جرى ذلك للإمام أبي الحسن الهادي (عليه السلام) من قبل العباسيين أيضاً، حيث إنهم لم يتحملوا ما كانوا يرونه من الإمام الهادي (عليه السلام) من تفانٍ في سبيل الله، وتضحيةٍ من أجل دين الله.

فإن الإمام الهادي (عليه السلام) كان ـ مثل سائر الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) ـ يحاول بسيرته الفكرية والعلمية، ملأ الفراغ الفكري، وسدّ الثغرات العلمية، التي بقيت الأمة الإسلامية وبتسبيب من القيادة غير الشرعية، تعاني منها.

لقد توسّع العالم الإسلامي، وتشعّبت الأفكار والمذاهب: كالمذاهب الأربعة، والأفكار الفلسفية المنحرفة، التي كان يدعمها أصحاب القيادة ومن والاهم، للتغطية على مذهب أهل البيت، وإعفاء فكر الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والقضاء على معالمهم ومعارفهم: معالم السماء ومعارفها، فجاء الإمام الهادي (عليه السلام) وبحسب ما تقتضيه ظروفه الخاصة بأمتن القواعد، وأتقن

الأصول، للاستدلال الشرعي، والاستنباط الفقهي والعلمي حفظاً لتعاليم السماء.

كما وقدّم (عليه السلام) في المجال العلمي وعلى الساحة الثقافية، أجمل المقاييس الدقيقة، وأضبط الموازين الرصينة، مما يجعل الناس قادرين على معرفة الحق من الباطل، والصادق عن الكاذب.

لولا الإمام الهادي عليه السلام

فلولا وجود الإمام الهادي (عليه السلام)، ولولا جهوده في هذا المجال، لضاع الحق على الناس، وما عرفوا القدوة من غير القدوة، والأسوة من غير الأسوة، ولما وصل أمواج ذلك المحيط الهائل من الثقافة والحكمة، والبحر الزاخر من الفكر والمعرفة، من سامراء إلى أقصى العالم الإسلامي، بل إلى كل العالم، ومن ذلك الجيل إلى هذا الجيل، وإلى جميع الأجيال القادمة حتى يوم القيامة.

نعم، إن حصار بني العباس بصورة عامة، والمتوكل بصورة خاصة، كلما كان يزداد على الإمام الهادي (عليه السلام)، ويشتد خناقه عليه، كان يزداد اشتياق طلاب العلوم إليه للنيل من معارفه وعلومه، والارتواء من معينه ونميره، والتشرف بخدمته ولقائه، والتزود من حكمته وثقافته.

قصة طريفة

ومن الطريف ما جاء في كتاب "تاريخ سامراء" [١]، نقلاً عن شرح القصيدة لأبي فراس، عن محمد بن جعفر: من التخطيط العباسي الغاشم، لإطفاء نور أهل البيت (عليهم السلام)، واغتيال شخصيّتهم العلمية، وصدّ الناس عن معين علومهم، ومنعهم من نمير ثقافاتهم، وإراءتهم للناس بأنهم كأحدهم، وذلك بتعيين أستاذ له ليقوم بتعليمه قسراً وجبراً، والقصة كالتالي وباختصار:

روي عن محمد بن جعفر أنه قال: قدم المدينة عمر بن الفرج بعد مضي الإمام الجواد (عليه السلام) فأحضر جماعة من أهل المدينة من أهل الأدب والقرآن، المخالفين والمعاندين لأهل البيت، وقال لهم: اطلبوا رجلاً من أهل المدينة من أهل الأدب والقرآن والعلم لا يوالي أهل البيت لأضمّ إليه هذا الصبي - يعني الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) الذي وصلته الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الجواد (عليه السلام) وهو في سن مبكّر لم يبلغ الشعر سنوات (صلوات الله وسلامه عليه) - وأوكله بتعليمه... فذكروا له رجلاً يكنّى أبا عبد الله، ويعرف: بالجنيدي، وكان ظاهر النصب والعداء لأهل البيت (عليهم السلام).

فأحضره عمر بن الفرج وعيّن له راتباً من بيت المال، وعرّفه أن السلطان أمره باختياره وتوكيله بهذا الصبي وتعليمه ومنع الرافضة من الدخول إليه.

---

(١) تاريخ سامراء: ج٣ ص١٢٥ و١٢٦، بتصرف.

فقبل الجنيدي ذلك كله، وكان يلازم أبا الحسن الهادي (عليه السلام) في القصر نهاراً، فإذا كان الليل أغلق عليه الباب وأخذ المفاتيح، فمكث على ذلك مدة، وانقطعت الشيعة عنه وعن الاستماع إليه والقراءة عليه.

قال محمد بن جعفر: ثم إني لقيت الجنيدي... وقلت له: ما حال الصبي؟

الجنيدي ـ يستنكر مقالة محمد بن جعفر ويقول له: دع عنك هذا القول، والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى... وإنه حافظ القرآن من أوله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله، وأنا أستفيد منه، ويظن الناس أني أعلّمه، وأنا والله أتعلّم منه.

قال جعفر بن محمد: ثم لقيت المعلّم الجنيدي بعد ذلك وقد نزع عن النصب وتاب منه، وعرف الحق وقال بإمامة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

أجل، هكذا وبكل الأساليب الشيطانية، كانوا يحاولون إطفاء نور الإمام الهادي (عليه السلام) ولكن كان لا يزداد إلا علواً.

استقدام الإمام الهادي عليه السلام

ومن تلك الأساليب والمخططات: إخراج الإمام الهادي (عليه السلام) من مدينة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى دار السلطنة، وإسكانه بين المعسكر.

فلقد استقدمه المتوكل إلى سامراء، وجعله وسط العسكر، كي يمنع الناس من الوصول إليه، ويمنعه من الالتقاء بهم، والتحدث إليهم، والتواصل معهم، وإبلاغ معالم الدين من آبائه وأجداده المعصومين (عليهم السلام) إليهم، وإلقائه على مسامعهم.

ولكنه مع كل ذلك التحديد والتقييد، وجميع المضايقات والملابسات، استطاع الإمام الهادي (عليه السلام) أن يخلّف تراثاً علمياً ضخماً، يحيي ما كان حدّث به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأخبر به الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ورواه الإمام الصادق (عليه السلام)، ويربّي ما يقرب من مائة ألف مفكر إسلامي، في مختلف العلوم الإسلامية والعصرية، ويبثّهم في كافة أرجاء العالم لتعليم الناس وتثقيفهم.

وذلك رغم كل ما حدث من التحولات السياسية الناتجة من توارد القوى المختلفة: من ترك وديلم، وعرب وعجم، في الساحة السياسية، ورغم جميع ما التحق بالمراكز العلمية في مكة والمدينة والكوفة والبصرة، من مراكز علمية جديدة مثل سامراء وبغداد، وغرناطة والقاهرة، وصقلية واشبيلية.

وعليه: فسيرة الإمام الهادي (عليه السلام) الفكرية والعلميّة كانت ـ كسيرته الاجتماعية التي تقدم الحديث عنها ـ سيرة ناجحة وناجعة، وجامعة وشاملة، تعمّ مسائل الأصول والعقيدة، وتشمل مسائل الفروع الفقهية والأحكام الشرعية، وتسع علم الأديان من مبدأ ومعاد، وعلم الأبدان من طب ووقاية، وحرز وعلاج، وتحتوي على الآداب الإسلامية والأخلاق الفردية والاجتماعية، من حِكَم وعِظات، وأدعية وزيارات، وغير ذلك، فإلى استعراض كل واحد من هذه البنود والمجالات، وبيان بعض النماذج من كل منها، إن شاء الله تعالى، بالترتيب والتدريج.

أما الآن: فإلى المجال الأول منها ـ بإذن الله تعالى ـ وهو: الأصول الدينية والمسائل الاعتقادية.

الفهرس

الإهداء..... ٥
تمهيدات أوّليـــة ٩
المدخل..... ١١
حكمة انتخاب العدد..... ١٤
هشام يناقش فقيه البصرة ١٥
الضرب على الوتر الحساس ١٩
الإمام الباقر عليه السلام يفسّر الاثني عشر ٢٣
تطابق التأويل والتفسير ٢٥
الزمخشري يؤكّد ٢٦
دور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢٨
دور الإمام الحسن عليه السلام..... ٣٠
دور الإمام الحسين عليه السلام ٣٤
أدوار البقية من الأئمة عليهم السلام..... ٣٧
الإمام الهادي عليه السلام يُشبـــّه أدوارهم بالأزمنة..... ٤٢

الصقر يلتقي بالإمام الهادي عليه السلام ٤٣
الدور الأعمق و الأدقّ ٤٦
المحدّث القمي والأعلام الثلاثة ٤٧
الشيخ المفيد و رواية ابن عباس ٥١
أهل البيت عليهم السلام : النقطة المركزيـــة ٥٣
السعادة الواقعيـــة ٦٠

الفصل الأول : الإرهاصات قبل الولادة ٦٥
إرهاصات قبل الولادة ٦٧
من هو الأفضل؟ ٦٩
روّاد السعادة الروحيـــة ٧١
الله جل جلاله و أنوار المعصومين عليهم السلام ٧٣
الفترة الطويلة قبل آدم ٧٥
أربعون ألف عام قبل آدم ٧٧
خمسة عشر ألف عام قبل آدم ٧٩
أربعة عشر ألف عام قبل آدم ٨١
سبعة آلاف عام قبل آدم ٨٢
ألفا عام قبل آدم عليه السلام ٨٥
قبل خلق الخلق ٨٨
آدم عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام ٩٠

إبراهيم الخليل عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام ٩٣
موسى الكليم عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام ٩٧
الأئمة عليهم السلام في سفر التكوين ٩٩
الخضر عليه السلام و نور أهل البيت عليهم السلام ١٠١
الأنبياء و نور أهل البيت عليهم السلام ١٠٦
النبي الخاتم صلى الله عليه و آله و نور أهل البيت عليهم السلام ١١١
على ساق العرش ١١٥
و لم ينضب المعين ١٢٠

الفصل الثاني : على أعتاب الولادة و الحوادث التي تلتها ١٢٣
على أعتاب الولادة ١٢٥
سؤال يخطر في الفكر ١٢٥
وجمال في الصنع ١٢٧
والخليفة من السنّة المطهرة ١٢٩
الميزات العامة ١٣١
طينة أهل البيت عليهم السلام ١٣١
الطينة الطيبة ١٣٢
من طينة العرش ١٣٣
الطينة المباركة ١٣٣
من مؤهّلات أهل البيت عليهم السلام ١٣٤

من خصائص أهل البيت عليهم السلام ١٣٦
من مميزات أهل البيت عليهم السلام ١٣٨
من مواصفات أهل البيت عليهم السلام ١٤٠
من سمات أهل البيت عليهم السلام ١٤٢
شربة ماء من تحت العرش ١٤٣
عمود النور و معناه ١٤٥
التكوين من الجنة ١٤٧
علامات أهل البيت عليهم السلام ١٤٩
طهارة أهل البيت عليهم السلام ١٥١
من بركات أهل البيت عليهم السلام ١٥٢
أم الأئمة الأطهار و كيفية ولادتها ١٥٣
و لم يتم البحث بعد ١٥٤

المميّزات الخاصـــة ١٥٦
هوية الإمام الهادي (عليه السلام) ١٥٦
الإسم الكريم ١٥٦
الآباء الكرام ١٥٦
الأم المكرّمة ١٥٦
الزوجة الكريمة ١٥٧
الكنية الشريفة ١٥٧

اللقب الكريم ١٥٧
تاريخ الولادة ١٥٨
محلّ الولادة ١٥٨
مدة العمر الشريف ١٥٨
مدة الإمامة المباركة ١٥٨
نصوص الإمامة ١٥٩
الشمائل الكريمة ١٦٠
الفضائل والمناقب ١٦٠
الإقامة في المدينة مع الأب ١٦١
بدأ الإمامة برواية الكليني ١٦٢
بدء الإمامة برواية الشرَيف المرتضى ١٦٣
الإقامة في المدينة بعد الأب ١٦٤
مجموع الإقامتين ١٦٤
الهجرة إلى سامراء ١٦٤
الإقامة في سامراء ١٦٥
في سجون بني العباس ١٦٦
في محلّة العسكر ١٦٨
مع الحكام المعاصرين ١٦٩
نقش الخاتم ١٧٠
الأولاد والذريّة ١٧١

التنصيص على العسكري عليه السلام ١٧١
التنصيص على المهدي عليه السلام ١٧٢
النائلون شرف الخدمة ١٧٢
السفراء و الأبواب ١٧٣
الوكلاء الثقات ١٧٤
الأصحاب الأوفياء ١٧٥
عبد العظيم الحسني وفضله ١٧٥
الشيعة والمحبّون ١٧٨
الشعراء النبلاء ١٧٩
الشهادة المفجعة ١٨٠
سبب الشهادة ١٨٠
الشهادة و واعيتها ١٨٠
نبأ الشهادة الأليمة ١٨١
القائم بمراسيم التجهيز ١٨٢
الصلاة و المصلي ١٨٣
المرقد الشريف ١٨٥
الرثاء و الراثون ١٨٥
هم كما وصفوا أنفسهم ١٨٧

الفصل الثالث: إمامة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ١٨٩
ودوره الكبير في سعادة الحياة و المجتمع و سيادة الإنسان و كرامته ١٨٩
الصفوة من الخلق ١٩١
الحديث عن الإمام الهادي عليه السلام ١٩٤
من خصائص الإمامة و أدورها ١٩٥
الإمام الأول ١٩٥
الإمام الثاني ١٩٥
الإمام الثالث ١٩٦
الإمام الرابع ١٩٦
الإمام الخامس ١٩٦
الإمام السادس ١٩٧
الإمام السابع ١٩٨
الإمام الثامن ١٩٨
الإمام التاسع ١٩٩
الإمام العاشر ٢٠٠
استدراك ٢٠١
دور الإمام الهادي عليه السلام ٢٠٣
السيرة المباركة ٢٠٤
أقسام السيرة الكريمة ٢٠٦

القسم الأول من السيرة العطرة: الظاهرة الطبيعية ٢٠٩
الظاهرة الطبيعية..... ٢١١
سؤال و جواب ٢١٤
أبعاد السيرة الطبيعية وأقسامها ٢١٧

البُعد الأول: سيرة الإمام الهادي عليه السلام الاجتماعية والسياسية..... ٢١٩
السيرة الاجتماعية والسياسية..... ٢٢١

المجال الأول: سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام مع السلطة الحاكمة..... ٢٢٥
الإمام عليه السلام والسلطة الحاكمة..... ٢٢٧
الحكومة عند أهل البيت عليهم السلام..... ٢٢٩
الحكّام المعاصرون له عليه السلام..... ٢٣٠
الإمام عليه السلام في المدينة المنوّرة..... ٢٣٤
رسالة المتوكل ٢٣٧
انتداب ابن هرثمة..... ٢٣٨
وصول الرسالة و ابن هرثمة إلى المدينة..... ٢٤٠
الإمام عليه السلام في سامراء ٢٤١
شحّ التاريخ و بُخله ٢٤٣
اغتراب وهجرة..... ٢٤٥

حكومة بوليسية..... ٢٤٦
تحرّيات جبانة..... ٢٥٠
جنون و غضب..... ٢٥٥
طلب واحضار..... ٢٦٠
حاشية المتوكل وبطانته..... ٢٦٣
هريسة خطيب المتوكل..... ٢٦٤
ابن الجهم..... ٢٦٧
سعيد الحاجب..... ٢٧٢
ابن كركر..... ٢٧٥
ابن خاقان..... ٢٧٧
تضييقات جديدة..... ٢٧٩
رحلات عابثـــــة..... ٢٨٠
ألعاب رياضيّة..... ٢٨٤
أسئلة محرجة..... ٢٨٨
من هو الظالم؟..... ٢٩١
شيخ الأبطح..... ٢٩٣
ملوك أهل الجنة..... ٢٩٥
الاستدلال لإيمان أبي طالب عليه السلام..... ٢٩٧
الفرار الماكر والخاسر..... ٢٩٩
سياسة خاطئـــة..... ٣٠٢

مسرحية كاذبـــــة ٣٠٤
المسابقة وساعة الصفر ٣٠٦
الحمّاني أشعر الشعراء..... ٣١٠
الشعبذة و الأعمال السحريـــة ٣١٢
بين جيش السماء و جيش الأرض..... ٣١٤
مع اليسع بن حمزة القمي ٣١٦
مع القاضي العباسي ٣١٨
لا أمان من الحكام الظلمة ٣١٩
جبرائيل يحلق رأس آدم عليه السلام ٣٢٠
موقف الإمام و قرار الإمامة..... ٣٢٤
توكيل عام ٣٢٦
توكيل خاص..... ٣٢٧
توثيق وتفويض ٣٢٩
قرار عزل ونصب..... ٣٣٠
تعزيز الوكلاء..... ٣٣١
توقير أصحاب الشخصيات ٣٣٣
التوكيل تمهيد للغيبـــــة..... ٣٣٥
الترحم على الوكلاء ٣٣٧
تمويل الوكلاء..... ٣٣٨
إسعاف وإغاثة..... ٣٣٩

كشف المندسّين..... ٣٤٠
فارس القزويني..... ٣٤١
علي بن حسكة..... ٣٤٢
قاسم اليقطيني..... ٣٤٤
ابن حسكة واليقطيني..... ٣٤٦
الفهري وابن بابا..... ٣٤٧
الممطورة..... ٣٤٨
الغالية..... ٣٤٩
شكوى و إعراض..... ٣٥٠
الإمام و الامامة..... ٣٥٢
التنصيص على إمامة العسكري عليه السلام..... ٣٥٣
سبع الدجيل: السيد محمد عليه السلام..... ٣٥٤

المجال الثاني: سيرة الإمام الهادي عليه السلام مع عامة الناس..... ٣٥٧
الإمام عليه السلام وعامة الناس..... ٣٥٩
ما شأنكم جلستم ها هنا؟..... ٣٦١
هو وصي نبي المسلمين..... ٣٦٢
عرسّوا و كلوا و اشربوا..... ٣٦٤
تنحّ عافاك الله..... ٣٦٧
استجاب الله دعاءك..... ٣٦٨

الرياح المتعقبة للمطر ٣٧٠
هكذا يملأ الله البريّة قبوراً ٣٧٣
هنا موضع ماء ٣٧٨
قلبك اشدّ سواداً ٣٨٠
سيُسلم ولدك و يكون من شيعتنـــــا ٣٨٣
لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك ٣٨٧
نحن على قارعة الطريق ٣٩٠
ما كان هنالك ولا كذلك ٣٩١
الأكرمين على اللـــــه ٣٩٢
إلى كم هذه النومة؟ ٣٩٤
طب نفساً وقرّ عيناً ٣٩٥
مع قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام ٣٩٨

المجال الثالث والأخير: سيرة الإمام الهادي عليه السلام مع خواصه وأسرته ٤٠١
سيرته عليه السلام مع خوّاصه وأسرته ٤٠٣
يا عم خذ هذه السبيكة ٤٠٥
لا تضع من قدرك ٤٠٦
ادفع لكل منهم ثلاثين ألفاً ٤٠٨
أنا عمّ أبيه ٤٠٩
ما يكون الا خيراً ٤١١

تـــــُكفى إن شاء الله تعالى ٤١٣
أيّ نعم الله تؤدّي شكرها؟ ٤١٦
أَطعم أبا هاشم ٤١٨
قوّاك الله يا أبا هاشم ٤٢٠
تقيم غداً عندنا ٤٢١
كشف الله عنك وعن أبيك ٤٢٢
أُذكر إن شاء الله تعالى ٤٢٤
سأقصد الله تعالى فيك ٤٢٦
إنه رجل من أهل الجنة ٤٢٨
لا روع عليك ولا بأس ٤٢٩
قد نجوت من كل هم وغم ٤٣١
تكفاه إن شاء الله تعالى ٤٣٢
تزيـــّـــنوا لهم ٤٣٣
فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ٤٣٤
لا تذرني فرداً ٤٣٥
الحسنات كرمل عالج ٤٣٦
السعي في التزويج ٤٣٧
إنّي مزكيك ٤٣٧
امتثال كامل ودقيق ٤٣٩
بدء القصة ٤٤٠

منبر من نور ٤٤٢
اعتناق الإسلام..... ٤٤٣
مع طلائع المسلمين..... ٤٤٥
شرف الأب ٤٤٦

البُعد الثاني من الظاهرة الطبيعية: سيرة الإمام الهادي عليه السلام العلمية والثقافية..... ٤٤٩
السيرة العلمية والثقافية ٤٥١
قضية الانقلاب على الأعقاب ٤٥٣
الدليل على الانقلاب ٤٥٥
أهل البيت عليهم السلام حفظة الإسلام ٤٥٦
لولا الإمام الهادي عليه السلام ٤٥٨
قصة طريفة..... ٤٥٩
استقدام الإمام الهادي عليه السلام..... ٤٦١

الفهرس ٤٦٣